

شوال ١٤١٩هـ / يناير - فبراير ١٩٩٩م



عددُ خاص

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

AL - QAFILAH

شوال ١٤١٩ هـ - العدد العاشر - المجلد السابع والأربعون   January-February 1999

ردمد ISSN 1319 - 0547

عدد خاص بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لتأسيس المملكة العربية السعودية

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن إدارة العلاقات العامة في شركة أرامكو السعودية لموظفيها وتوزع مجاناً

في هذا العدد

٢	افتتاحية العدد	
٤	موحِّد المملكة العربية السعودية	عبدالله بن خميس
٨	دخول الملك عبدالعزيز الرياض ومسيرة توحيد المملكة	محمد عبدالعزيز العصيمي
١٤	بدايات التطور الحضاري للمملكة في عهد الملك عبدالعزيز	د. محمد بن عبدالله السلمان
٢٠	الرياض تتقلد عقدها الماسي	محمد غرم الله الدميني
٣٥	الملك عبدالعزيز آل سعود في مرآة الشاعر خالد الفرج	جمال عبدالجبار علوش
٣٨	تطور الصناعة البترولية في المملكة العربية السعودية	علي حسن المرهون
٥٤	توسعة الحرمين الشريفين عبر التاريخ وقصة التوسعة الكبرى	عمر محمد البنيان
٧٤	لقطات مصوَّرة من حياة الملك عبدالعزيز	
٨٠	ماذا يقول الشعر عنك .. يا بلادي ؟	أحمد سالم باعطب
٨٢	قراءةٌ في كتاب: الرياض .. مدينة وسكاناً	باسم عبدالحميد حمودي
٩٠	بئر الدمام رقم (٧) : بشارة الخير العميم	محمد عبد القادر الفقي





المدير العام :
سالم سعيد آل عائض

رئيس التحرير :
عبد الله خالد الخالد

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .
- كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولايعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها .
- لايجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في القافلة إلا بإذن خطي من هيئة التحرير .
- لا تقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها .

العنوان

أرامكو السعودية
صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٨٧٤٧٣٢١ فاكس : ٨٧٣٣٣٣٦
للاستفسار عن الاشتراكات في المجلة
الاتصال بهاتف : ٨٧٣٨٩٨٦
www.saudiaramco.com.

تصميم وطباعة **مطابع التريكي** - الدمام

Designed and Printed by **Altraiki Printing Press**, Dammam

عيد مبارك

إنّه لمن دواعي غبطتي وسروري أن انتهز فرصة حلول عيد الفطر المبارك لأقدم لإخواني موظفي الشركة أحر التهاني وأسمى الأماني بمناسبة عيد الفطر السعيد، الذي أراد الله سبحانه وتعالى، هذا العام، أن يتوافق مع ذكرى مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، على يد القائد المؤسس جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - ولاشك أن هذا مما يضاعف فرحتنا ويزيد من مسراتنا، ويستوجب شكرنا لرب العزة والجلال، الذي وحّد أمرنا وجمع كلمتنا تحت راية التوحيد العزيزة الخالدة، في دولة راسخة البنيان تنعم بالأمن والأمان والخير والازدهار. كما أرجو من الله تعالى أن تعم الجميع مظاهر الفرحة بهاتين المناسبتين السعيدتين في جميع أنحاء الوطن، الذي غرس بذرته الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وتولى رعايته من بعده أنجاله الكرام -رحمهم الله- وصولاً إلى العهد الزاهر لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد، وولي عهده الأمين، حفظهما الله. أعاد الله علينا جميعاً التئام مثل هاتين المناسبتين السعيدتين بالخير واليمن والبركات.

عبدالله صالح جمعة

رئيس الشركة، كبير الإداريين التنفيذيين

كل عام وأنتم بخير

يستقبل المسلمون هذه الأيام عيد الفطر المبارك بالبهجة والسرور. ويسر هيئة التحرير أن تغتنم هذه المناسبة الكريمة لترفع إلى مقام خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وإلى القراء الكرام، وإلى المسلمين كافة أخلص التهاني وأطيب التمنيات بهذا العيد السعيد. وإنه لمن طيب الفأل أن يتزامن هذا العيد السعيد مع الذكرى المئوية الأولى لتأسيس المملكة العربية السعودية التي كانت انطلاقتها على يد القائد المؤسس جلالة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في ٥ شوال ١٣١٩هـ. وبذلك أضحت فرحة العيد فرحتين للمواطنين في المملكة العربية السعودية، سائلين الله أن يعيد مثل هاتين المناسبتين السعيدتين والمسلمون عموماً، وأبناء هذا الوطن خصوصاً، يرفلون بثياب السعادة والرخاء.

هيئة التحرير

مائة سنة مضيئة



قارئ مجلة القافلة العزيز،

يصل عدد شهر شوال هذا إلى يديك والمملكة العربية السعودية تحتفل، على المستويين الرسمي والشعبي، بذكرى مرور مائة عام على وضع جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- حجر الأساس لهذه الدولة العزيزة، وذلك إثر عودته الى الرياض في الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ، وانطلاقه منذ ذلك اليوم، وحتى انتقاله إلى رحمة ربه، في مسيرة توحيد وبناء هذه المملكة التي تحتل اليوم موقعاً مرموقاً بين أمم العالم، موقعاً يكتسب ثباته ورسوخه من اللبنات الرواسي التي وضعها القائد الملهم عبدالعزيز بدافعٍ من إيمانه العميق بالله وحرصه على كل مافيه خير هذه البلاد وأهلها.

لاشك أن من يستعرض مجمل ماكُتب عن قاده العصر الحديث، الذين تُقاس منجزاتهم بمقدار تأثيرهم في حياة من حولهم، وبقدر مالعبوا من أدوار مهمة في محيطهم الوطني والإقليمي والعالمي، يدرك أن الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، يقف كنموذج بارزٍ بين هؤلاء القادة، بل إنه يُعد بالنسبة لهم شخصيةً استثنائيةً، اجتمعت لها كثيرٌ من خصال العظماء باعتباره مؤمناً عميق الإيمان، ارتبطت جميع أهدافه وإنجازاته بتقوى الله والسعي إلى الإصلاح ، وباعتباره إنساناً نبيلاً تمثلت فيه أعمق معاني الإنسانية، حتى عند تعامله مع خصومه ومنافسيه، وباعتباره بطلاً مقداماً وقائداً موهوباً، حقق الانتصار تلو الانتصار، وباعتباره، كذلك سياسياً محنكاً ومؤسساً لدولة حديثة، كانت ضمن محيطها الجغرافي، تعاني من الفرقة والفقر والجهل وانعدام الأمن، كما كانت تعاني، جراء هذا، من الإحباط والتجاهل والبعد عن المشاركة في صنع القرار الإقليمي والدولي.

إن السنوات المائة التي مضت منذ ذلك اليوم الميمون ؛ يوم دخل الملك عبدالعزيز -رحمه الله- الرياض، هي في عمر الزمان فترةٌ قصيرةٌ، ولكنها في ميزان وطننا مائة سنة مضيئة ؛ تبدلت فيها أحوال البلاد وشعبها، وتكونت فيها المملكة، وتبلور كيانها لتصبح دولة لها اعتبارها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. فإذا عُدت دول العصر الحديث كانت المملكة من ضمن أبرزها وأكثرها تأثيراً في مسيرة العالم نحو مستقبل أفضل. ولاشك أن المملكة ظفرت بهذه المكانة المتميزة بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بما تحقق لها من أسباب الاستقرار والوحدة والتقدم على الأصعدة كافةً، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم علمية.

وهنا، لابد للمنصف أن يذكر أن ماأسسه الراحل العظيم عبدالعزيز، تواصل على يد أبنائه البررة من بعده ؛ أصحاب الجلالة الملوك سعود وفيصل وخالد، رحمهم الله، وخادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد، حفظه الله لتستمر قفزات البناء والتنمية الوطنية، ولتظل بلادنا محط أنظار العالم، الذي اعترف تكراراً بشواهد المعجزة التاريخية والاقتصادية السعودية، وسجل حيالها الكثير من التقدير والإشادة مؤكداً بذلك أنها معجزة لم يسبق لها مثيل في العصر الحديث، إذا ما قورنت بمنجزات قادة آخرين ودول أخرى.

ولاشك أننا، نحن السعوديين نشعر بالفخر لأن الإنجاز الذي تحقق على يدي الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، وتواصل على

أيدي أبنائه من بعده، لم يكن نتيجة حماسٍ مؤقتٍ أو أهداف آنية محدودةٍ، وإنما كان، بفضل الله، ثمرة إيمانٍ عميقٍ ورؤى مستقبليةٍ واضحة المعالم. ولعلنا نذكر من بين شواهد هذه المعجزة، التي اهتم كثيرون بإيضاح دلالاتها، سعي الملك عبدالعزيز الدائم إلى توطيد دعائم دولته الفتية بالاعتماد، بعد الله، على ثرواتها البشرية والطبيعية، والقرار التاريخي الذي اتخذه، بُعيد أشهرٍ قليلةٍ من اكتمال توحيد المملكة ببدء التنقيب عن النفط في الأجزاء الشرقية من المملكة، بعد أن أدرك، بثاقب بصيرته، احتمال وجود هذه الثروة في أراضي وبحار بلاده من خلال ما أشارت إليه اكتشافات سابقة في مواقع قريبة منها. وبالفعل صدق حدسه وحقق الله رجاءه بأن تغير هذه الثروة، التي أنعم الله بها، أحوال شعبه الذي طالما عانى شظف العيش وعسر الحال. وبفضل الحكمة التي تميز بها الملك عبدالعزيز في إدارة الأمور، تدفق خير هذه الثروة ليشمل كل أرجاء المملكة على حدٍّ سواء، وليستمر ويتصاعد عطاء ذلك القرار التاريخي الحكيم إلى اليوم، تعززه وتدعمه حكمة القيادات الرشيدة من أبناء المؤسس العظيم.

ومع فخرنا بما تحقق من إنجازاتٍ متميزةٍ في مجال تطوير واستثمار ثروات بلادنا النفطية فإننا لابد أن نفخر كذلك بالسواعد والعقول الوطنية التي تقود وتنفذ هذه الإنجازات، والتي هي ثمرة إصرار الملك عبد العزيز، منذ بواكير البناء الوطني، على أن تأخذ مكانها الصحيح والطبيعي، بكفاءةٍ واقتدارٍ، في جميع مرافق التنمية والإنتاج، سواءٌ في مجال النفط وفي المجالات الأخرى.

إنني، بطبيعة الحال، لن أحيط من خلال هذه الافتتاحية بكل المآثر التي تركها الراحل والمؤسس العظيم الملك عبدالعزيز – رحمه الله– لكننا، أيها القارئ العزيز، سنقف على بعض هذه المآثر والإنجازات، وكذلك على بعض ماتحقق في المملكة من قفزاتٍ تنمويةٍ، عن طريق مصادر متعددة، كان احتفال المملكة بهذه الذكرى المئوية العزيزة سبباً في توفرها وانتشارها. ومن هذه المصادر هذا العدد الخاص الذي بين يديك من مجلة القافلة، وهو عدد يحتفل بالمناسبة ويحتفي بها عبر أكثر من موضوع ذي ارتباط وثيق بالمناسبة وبشخصية الملك عبدالعزيز ومآثره التي يصعب حصرها، وبما شهدته وتشهده بلادنا الغالية من مظاهر التنمية والتطور والحضارة.

وختاماً لايسعني، وهذه الفرحة الوطنية الغامرة تلف كل أرجاء وطني، إلا أن أحمد الله على مامن به على بلادنا من نعم، وأن أتقدم بتهنئةٍ خالصةٍ من القلب، إلى قيادتنا الرشيدة، ممثلة في خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود؛ وولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني، صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز: والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران، المفتش العام، صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وإلى جميع أفراد الأسرة المالكة الكريمة، وإلى الشعب السعودي الكريم، وإليك أيها القارئ العزيز. كما لايفوتني أن أهنئ إخواني وزملائي منسوبي أرامكو السعودية بمناسبة هذه الذكرى العزيزة، داعيا الله، جلت قدرته، أن يعيننا على أن نستلهم من هذه الذكرى ومن قصة جهاد الملك عبدالعزيز –رحمه الله– كل مافيه تعزيز مسيرة بلادنا ورفعة شأنها، وأن تكون هذه الذكرى عونا لنا على بذل المزيد من الجهد والعطاء في سبيل بناء مستقبلٍ مشرقٍ للأجيال القادمة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

عبدالله صالح جمعة

رئيس أرامكو السعودية

كبير إدارييها التنفيذيين

موحّد المملكة العربية السعودية *

بقلم: الأستاذ عبدالله بن خميس

قد يكون من أهم العوامل التي نقلت الحواضر الإسلامية من قلب جزيرة العرب إلى العراق والشام والأندلس وشمالي إفريقيا، عوامل مناخية واقتصادية وثقافية بالدرجة الأولى. إذ لم يكن لقلب جزيرة العرب منها ما يغري الخلافة الاسلامية بأن تتخذ عاصمة دولتها فيها، رغم أنها منطلق الإسلام، ومهد النبوة، ومركز البيت الحرام، ودار الهجرة، ومنجبة الأبطال والفاتحين.

وإذا كانت قدسية الحجاز قد أبقت له صفة تحترمها الدولة الإسلامية، وتعيرها شيئاً من الاهتمام والعطف، أخذاً في الانكماش تبعاً للعوامل والمؤثرات التي منيت بها الخلافة، فإن بقية أجزاء الجزيرة العربية لم تكن قط موضع اهتمام ولارعاية عواصم الخلافة. وقد ساعد على ذلك، قسوة مناخها، وتباعد أجزائها وقلة حاصلاتها.

ولم يكن وازع الدين وحده ليبقى مهيمناً على النفوس، ويحول بينها وبين نوازع الشر، الكامنة في الطبيعة البشرية، دون أن يكون هناك وازع سلطان، وظل حكم يُخاف ويُرجى. لذلك ضعف في النفوس وازع الحرمات، وهانت حرمة الحقوق، وتقلص ظل الأمن، وانحل رباط الوحدة ليقوم في كل صقع أكثر من حاكم، يتنازعون السلطة، ويتجاذبون مصالح الرعية، وتروج بضاعة الحرب بين الأقاليم المتجاورة وغير المتجاورة، وتعود القبيلة لتبلغ أشدها، وتجد الثارات، والحزازات، والضغائن مكاناً خصيباً لها، وتنكمش العاطفة الإسلامية، والأخوة الروحية، والمبادئ المثلى، التي جاء بها الإسلام، وحث عليها، ونقلت العرب من جاهليتهم الجهلاء إلى الصفاء، والوفاء، والحب والوئام.

لقد عادت الجزيرة أو كادت إلى جاهليتها، وعاد العرب إلى عهودهم المظلمة، وعادت الخرافات، وعبادة الأموات، وتعظيم القبور، والأشجار والأحجار، كما كانت. وتعاقبت قرون إثر قرون، والحال كما هي، حتى أطل القرن الثاني عشر الهجري، فانطلقت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من قلب جزيرة العرب، تدعو الناس إلى العودة إلى دينهم، كما جاء به محمد بن عبدالله، لا شائبة فيه، ولا ريبة ولا مرية، ليحيوا حياة كريمة، ويفوزوا من الله بحسن المثوبة في آخرتهم. وقام إلى جانبها الأشاوس من آل سعود، يشدون أزرها، ويحوطونها ويرعونها، فتربعت على أرض الجزيرة دولة سلفية، عادت بها إلى عصورها الكريمة السليمة، وانبسط ظلها من عمان واليمن، إلى العراق والشام. مما أخاف العثمانيين وأتباعهم في المناطق المجاورة، من أن يمتد هذا النفوذ إلى عقر ديارهم، فبدأوا يكيدون لها ويدبرون الدسائس، والمؤامرات، حتى أعلنوها حرباً

أرامكو السعودية

جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود- رحمه الله-

* نشر هذا المقال لأول مرة في مجلة «قافلة الزيت» في شهر رجب عام ١٣٨٩هـ.

سافرة على هذه الدولة الفتية. وبعد مواقف بطولية، ومعارك رهيبة استطاع البغي أن يكسر شوكتها، ويفل حدها، ويمزق من الجزيرة العربية ما اجتمع، ويصدع ما التأم، ويتركها مسرحاً للفتن، واضطراب الأمن، ونهباً لإمارات شتى، وزعامات متباينة، وبدأ الحكم التركي ومن بعده الاستعمار الإنجليزي يشعر بأهمية المنطقة، ويمد يده إلى بعض إماراتها ومشائخ العشائر بها، ويلهب ما فيها من فتن وحروب، لتكون وحدتها، واجتماع كلمتها، تحت راية واحدة، أعز من عنقاء مغرب. ولكن الأقدار كانت تسير في اتجاه آخر.

كان ذلك في أوائل القرن الرابع عشر الهجري. كان أبرز شخص من أسرة آل سعود، الإمام عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، لاجئاً بأولاده لدى الشيخ مبارك آل صباح في الكويت، نضو حروب وبقية شلو ممزق. يرقب ما يجري في قلب الجزيرة من عسف، وعنف، واضطراب بكل أسى وشفقة، يهم بأمر الحزم ولكن لا يستطيعه، ويحلم بمجد أسرته الغابر، ولكن أنّى وكيف؟ فابن رشيد باسط نفوذه على الجزء الأكبر من نجد، والدولة العثمانية تسيطر على الجزء الشرقي من الجزيرة - الأحساء وما جاورها - والحجاز وما جاوره شمالاً تحت أيدي الأشراف، وعسير ونواحيها بيد آل عائض، والجزء المصاقب من تهامة تحت نفوذ الأدارسة، وأمراء العشائر في هذه كلها، وما بينها، حكام بلا حكم. إلى جانب ما تعانيه البلاد من مسافات متباعدة، قوام مواصلاتها الجمل، الذي تتخطفه اللصوص قبل أن يقطع ربع طريقه. والموالون لآل سعود، المتذكرون لعهودهم، لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً، ولا إمكانات مالية، أو عسكرية لديهم، يمكن أن تستعمل في هذا المجال. أما الشيخ مبارك آل صباح حاكم الكويت، الذي يستضيف الإمام عبدالرحمن وأولاده، فهو وإن كانت لديه القدرة المالية، كما أنه يكن العداء لابن رشيد، الذي يسيطر على الجزء الأكبر من نجد. إلا أن معركة «الصريف» التي هزم فيها ابن صباح، ومعه الإمام عبدالرحمن، لم تترك لابن صباح أيما تفكير للقيام بعمل حربي.

كانت هذه ظروف تقوم كلها أمام الإمام عبدالرحمن، وتمنعه من أن يبدي حراكاً، أو يفكر مجرد تفكير في السعي لاسترداد بلاده. كان هذا وابنه الأكبر عبدالعزيز موقفٌ تفكيره وشعوره وإحساسه نحو هذه القضية، مستوعبٌ كل ما يحيط بها، لايترك مناسبة تمر، ولا فرصة تسنح، إلا ويلح في سؤال والده، ويستطلع دخيلة أمره. وكان لا يفارق مجلس والده، الذي يرتاده أهالي نجد، المقيمون في الكويت، أو من يأتون إليها للامتيار أو لطلب الرزق، وكانت كل أحاديثهم أو جلها في نجد، وأحداثها وأحوالها وما جرى ويجري فيها.

وكانت عين ابن رشيد، حاكمها آنذاك، يقظة. كان يرقب حركات وسكنات الإمام عبدالرحمن وأولاده. وذات مرة قال لرسوله، الذي بعثه إلى الكويت في حاجة له: مرّ بمجلس الإمام عبدالرحمن متنكراً، واسمع ما يجري فيه، وانقل لي أخباره. ودخل الرسول، فسلم على الإمام، ووجد المجلس غاصاً بالزوار، فوقف لا يدري ماذا يفعل، أيرجع، أم لعل بعض الجالسين يفسح له ليجلس إلى جانبه. ولكن ذلك لم يكن، فأنقذ الموقف عبدالعزيز، الذي كان جالساً إلى جانب والده، فقام وأجلس الرجل مكانه، وذهب. ومن ثم حرص رسول ابن رشيد على أن يقابل عبدالعزيز، ويحادثه، فكان ذلك، وكان أن امتلأ به الرسول اعجاباً. لقي شاباً حسن الطلعة، متوقد الذكاء، سريع الخاطر، لماحاً، صادق اللهجة، حلو الحديث. فنقل انطباعه إلى ابن رشيد، وقال: «إذا كان ثمة من ينازعك حكم نجد، فهو هذا الغلام..».

لقد تحولت آمال الإمام عبدالرحمن من تحقيق أمانيه بنفسه، إلى تحقيقها عن طريق هذا الغلام. فهو وإن لم يفاتحه بذلك، إلا أن ترشيحه لهذا الأمر، نفسياً، وعن طريق أحاديثه العابرة، وإشاراته المعبرة، وما يلقاه الإبن من معاملة والده الوقورة المهذبة. كل ذلك جعل عبدالعزيز يفطن إلى ما رشح له، وأخذ يعد نفسه له، ويطيل التفكير فيه.

لقد أدرك عبدالعزيز الصعوبات التي تحول بينه وبين تحقيق أحلامه. والصعوبات التي تحدثنا عنها آنفاً وغيرها، ولكن نفسه الأبية، وطموحه الكبير، لايقنعان بالدون، ولا يرضيان عيش الذلة والمهانة. أبا الطيب المتنبي، حينما أطلق حكمته السائرة، كأنما أراد عبدالعزيز بعينه، وكأنما كان عبدالعزيز يحمل فلسفة أبي الطيب، ويصر على تطبيقها. إنه يقول:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتكبر في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم

لقد أراد عبدالعزيز أن يحرر جزيرة العرب ويوحدها، ويقودها إلى حضارة

ما عرفتها من قبل، ويؤاخي بين أهلها، ويجمع كلمتهم تحت راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله». بماذا؟ بأربعين من أصحابه، اجتمعوا حوله في الكويت، ليمتطوا ظهور رواحلهم، المصاب أكثرها بالهزال، ليقتحموا مدينة الرياض، قاعدة الحكم في أواسط نجد، و يستردوها من يد ابن رشيد بها، ويعلن عبدالعزيز نفسه حاكماً على نجد، أولى الخطوات في تحقيق حلمه الكبير.

وهكذا بدأ تاريخ الملك عبدالعزيز، لايقفل من غزوة، إلا ويشرع في الإعداد لأخرى، ولا يخمد نار فتنة، إلا ويعد نفسه لإخماد الأخرى، ولا ينهي تاريخ عدو، إلا وتشرئب نفسه إلى إسكات صوت آخر، لا يستقر له مضجع، ولا تهدأ له عين، ولا توضع له راية، ولا يقف عزمه عند مدى، تاريخ حافل بجلائل الأمور، ومنطلقات العظماء.

وما بمقال عابر أن يلم بتاريخ عبدالعزيز، ولكن حسبنا أن نتناول بالإشارة جانباً من جوانب هذا التاريخ، وليكن هذا الجانب أهم الأزمات التي واجهت الملك عبدالعزيز في بناء مجده، إذ أن العظمة تبرز هنا، حيث يستطيع العبقري أن يواجه أزمته بما يوائمها من استعداد يفرق بين الماء واللبن، كما يقول أبو الطيب، ثم يخرج منها منتصراً لا يطغيه النصر، ولا يقعد به عن مواجهة الأزمات الأخرى:

• ولعل مغامرة فتح الرياض، على نحو ما وصفناه، تأتي من حيث تجسيد الأزمة وبطولة المواجهة، في مقدمة ما لقيه البطل على نحو لم يسبق له نظير في تاريخ العظماء.

• لم تكن الانتصارات التي أحرزها الملك عبدالعزيز بعد استرداده للرياض انتصارات طبيعية، تتفق وإمكاناته، وتتلاءم والصعاب التي يواجهها كحاكم يؤسس حكماً يحتاج إلى شيء من التبصر والتصبر، ومهادنة الأعداء، حتى يتم له ما يريد، بل جاءت انتصاراته متساوقة، وفتوحاته متلاحقة، ولم تهزم له راية أو يبرد له حد، فهو إلى جانب استيلائه على القسم الأكبر من نجد، أصبح قوة مخوفة في وجه ابن رشيد، الذي توطد حكمه في نجد عشرات السنين، إلى جانب أنه يركن إلى ركن شديد، وهو الدولة العثمانية، حليفته وصديقته، فقد هزمه في وقعة «البكيرية»، ثم في وقعة «المقوعى»، ثم قضى عليه في «روضة مهنا». وهكذا لم يعد ابن سعود ذلك الغلام الحدث، الذي جاء في مغامرة عجيبة لاستعادة الرياض، بل أصبح قوة مخوفة، يخشاها كل من حوله من الحكام، بمن فيهم الصديق القديم مبارك آل صباح، والحسين في الحجاز الذي هاله ما يتواتر إلى ديوانه من أنباء الحاكم الجديد. ماذا سيكون حينما يشتد ساعده، وتقوى صعدته، ويصفي من حوله.

• بعض الأقرباء اتفقوا على خطة تهدد الكيان الجديد «قريباً من العرين، وداء في الكبد»، طلباً للسلطة، وحباً في البروز، وآل مهنا في القصيم يلعبون على ثلاثة حبال، فهم ظاهرا مع ابن سعود، وباطناً يمالئون الأتراك تارة، وابن رشيد تارة أخرى، ويميلون مع من تثقل كفته.

وآل الرشيد يتحينون الفرصة المواتية لينقضوا ، فهم الخصوم الأصلاء، الذين ذاقوا اليأس، ورزئوا في حاكمهم وصفوة رجالهم وأموالهم في معارك شتى. ولا يخلو الجو من أعداء بين هؤلاء وهؤلاء ينتظرون الفرصة ليهتبلوها.

• والدول الكبرى التي تتنازع التبعية في جزيرة العرب تريد لنفسها المحافظة على مكانتها، وتحديد موقف الوافد الجديد، فإما أن يضع يده في يدها، وهو العربي الأصيل المسلم، الذي جاء لتحرير جزيرة العرب من النفوذ الأجنبي ومن التبعيات المريبة ويعيد لها صفاءها ونقاءها، وهذا يتنافى والتبعية ووضع اليد في أيدي هؤلاء ، وإما أن يصارمها، فتصارمه، وما في وسعه أن يشهر سيفه لمحاربة دولة كبرى، وهو ما يزال بعد في دور النشوء والارتقاء، وأعداؤه يحيطون به من كل جانب، ينتظرون الإشارة من هذه أو تلك.

موقف في غاية التأزم والحرج، يقتضي أعصاباً فولاذية، وعزيمة مستحصدة، وإرادة فاعلة، فكان عبدالعزيز لها، بجنانه الثابت، وعزيمته الماضية، ورأيه الثاقب، هادن جيرانه برسائل لطيفة، تسيل رقة وسلاسة، لتخفف من السخيمة، وتبعد شبح التحامل، وانفجار الحقد.

وعلم أن الدول الكبيرة التي تملك تبعية بعض الحكام، تحترم القوة، وتصادق من له الغلبة ويملك الحيلة والوسيلة، ما دامت مصالحها لم تمس بعد، فلاينها، وأبدى موقفاً يضمن اطِّراح جانبها، حتى يخرج من أزمته بسلام.

• وكان عليه بعدئذ أن يصفي الخصم الذي يلازمه في عقر داره، فأراد أن يكون حل مشكلة القصيم حلاً سلمياً، ولكنه أعذر في ذويه، فأدبهم بما يليق بهم،

متمثلاً قول أبي الطيب:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضر كوضع السيف في موضع الندى

ولم يكن حال بعض ذوي القربى بأحسن من حال غيرهم من الخصوم، فاستعمل معهم نفس الأسلوب، وقطع دابر الشر.

● ولما لم يجد مع الدولة العثمانية أسلوب المهادنة، و لما لم تقف منه موقفاً لائقاً يضمن احترامها، ويحفظ حقوقها، بل راحت تحاول إغراء أهل القصيم تارة، وتمد ابن رشيد بالجيوش والأسلحة والأموال تارة أخرى، وتضيق عليه أنفاسه في الأحساء والخليج العربي تارة ثالثة. ولابد أن يكون له منفذ إلى البحر. فالأحساء، جزء لايتجزأ من نجد، من حيث الجغرافية الطبيعية.

حينئذ قرر مواجهة الدولة العثمانية في هذه المنطقة، فكان ذلك، وبانضمام هذا الجزء من البلاد إليه تنفس الصعداء، وجنى واحدة من أحلى ثمار النصر.

وهكذا خرج من هذه الأزمة ملء إهابه النصر، لم يغمز له جانب، ولم يخالف أمراً أراده الله، أو اقتضاه الشرف والمجد والعلا.

● معلوم إن كيان هذه الدولة قام على أساس دعوة دينية، ساندها أهل نجد بادية وحاضرة، ولم يكن أهلها في بادئ الأمر من المرونة وسلاسة الفهم، بحيث يستوعبون سماحة الدين، ومقاصده، وتمشيه مع كل زمان ومكان، وقد فاجأهم عصر الصناعة والعلم، بمخترعات وابتكارات وأنظمة وفنون، ما كانت تدور لهم بخلد ، فظنوها مما ينافي الدين ويتعارض مع مقاصده. وبالنسبة للدولة الفتية الناشئة التي تنبسط رقعتها على مئات الآلاف من الكيلومترات المربعة، تقتضي دواعي الأمن وسنن التطور أن يكون مركز الحكومة على صلة دائمة بجميع أجزائها عن طريق المواصلات الحديثة، كما يقتضي الوضع أن يكون لها دخل متصاعد، يتواءم وما تتطلبه الأحوال من بناء الجيش، وتعزيز أجهزة الأمن، ونشر التعليم والعلاج، وما إلى ذلك مما هو ضروري للمحافظة على كيان الدولة ونموها وتطورها، وهذا لا يكون إلا عن طريق سن أنظمة الجمارك، وتعزيز روافد ميزانية الدولة عن طريق الدخل القومي، كما أن العصر أصبح، بحكم مخترعاته ومواصلاته وروابطه، متشابك الصلات مترابط الحلقات. وبلاد نامية مثل بلادنا ،لاسيما في عصور نهضتها الأولى، ينقصها العلم والخبرة في كثير من المجالات، بحاجة إلى الاستفادة من خبرات الآخرين لا سيما في المجالات الفنية، وهذا لا يكون إلا عن طريق استقدام ذوي الخبرة من الأجانب الذين ربما كانت دياناتهم مختلفة عن ديانة البلاد.

إذن فدخول المخترعات الحديثة، وإدخال أنظمة الجمارك، والجبايات الأخرى، ودخول الأجانب إلى هذه البلاد، والاستفادة منهم، وغير ذلك من الأحوال المماثلة، شكلت أزمة دقيقة، واجهها الملك عبدالعزيز من العلماء، ووجهاء القوم، ورجال البادية، وإذا كان أجلة العلماء والمتبصرون منهم وخواص الأعيان قد أدركوا الحقيقة، وعرفوا مصلحة هذه الأشياء، وأنها لاتتنافى مع سماحة الإسلام ومقاصده الكريمة، إلا أن أهل البادية، خصوصاً من هاجر منهم واستوطن الحضر، كونوا انتفاضة (دينية) مثّلوا فيها مسلمي صدر الإسلام، مع فارق عمق الفهم وإدراك روح الإسلام وسماحته في أولئك، والسطحية وقلة محصول العلم والسذاجة في هؤلاء، إلا أنهم وقد برزت فتنتهم بشكل خطير، وواجهت الأمة وضعاً متأزماً مخيفاً، هدد الأمن، وقطع السبل، وضعضع الثقة، وممن؟ من بعض جند عبدالعزيز الذين خاضوا المعارك، وفتحوا البلدان معه، وخفقت رايتهم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، إحدى يدي عبدالعزيز؛ إن أبقاها مريضة، سرت حماها وسهرها إلى سائر الجسم، وإن قطعها قطع إحدى يديه.

إنه موقف خطير من المواقف التي واجهت الملك عبدالعزيز ولكن لا بد مما ليس منه بد:

وقسى ليزدجروا، ومن يك حازما

فليقس أحياناً على من يرحم

لقد وجد عبدالعزيز أن علاج هذا العضو في بتره، فبتره، فنامت الفتنة، وقطع دابر الشر.

نماذج أوردناها لاقى عبدالعزيز منها، ومن أمثالها، وهي كثيرة جداً، لاقى العنت والشدة ولكنه ذللها - مع توفيق الله - بمثل ما قاله الشاعر:

وكنت متى قوم غزوني غزوتهم

فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم

متى تجمع القلب الذكي وصارما

وأنفا حميا تجتنبك المظالم

هذا هو عبدالعزيز، وحدّ شمل الجزيرة بعد تفرق، وآخى بين أهلها بعد عداء، وأمّنها بعد خوف، وجعلها تعيش في سعة من العيش، وخفض من الرخاء. ■

دخول الملك عبدالعزيز الرياض ومسيرة توحيد المملكة

بقلم: محمد عبدالعزيز العصيمي - هيئة التحرير



يُقسّم المؤرخون التاريخ السعودي إلى ثلاثة أدوار يُسمى كل دور منها دولة. بدأ الدور الأول، من هذه الأدوار الثلاثة، بالمبايعة التاريخية التي تمّت بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود -رحمهما الله- سنة ١١٥٨هـ وانتهى سنة ١٢٣٣هـ، بينما بدأ الدور الثاني، حسب أغلب المصادر، سنة ١٢٤٠هـ وانتهى بخروج الإمام عبدالرحمن بن فيصل، -رحمه الله- من الرياض سنة ١٣٠٨هـ، أما الدور الثالث فبدأ بدخول جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود -رحمه الله- إلى الرياض في الخامس من شهر شوال لعام ١٣١٩هـ، وهو التاريخ الذي تبدأ منه ملحمة تأسيس وتوحيد المملكة العربية السعودية، والذي يكون قد مرَّ عليه في الخامس من شهر شوال لهذا العام ١٤١٩هـ مائة سنة.

خروج الإمام عبدالرحمن بن فيصل:

كما سبقت الإشارة، خرج الإمام عبدالرحمن بن فيصل سنة ١٣٠٨هـ مع أسرته من الرياض واتجه أولاً إلى المناطق الواقعة بين يبرين والأحساء لبعدها عن متناول خصومه ولوجود فئات من المتعاطفين معه من أهالي تلك المنطقة، ثم إنه بعث ابنه عبدالعزيز إلى حاكم البحرين آنذاك الشيخ عيسى بن خليفة يطلب منه إقامة أسرته لديه، فرحب الشيخ بالطلب ولقيت أسرة الإمام كرم الضيافة في البحرين.

وبعد ذلك أقام الإمام شهرين في قطر إلى أن استقر به وبأسرته الترحال في نهاية المطاف في الكويت. وكان عمر الملك عبدالعزيز آنذاك، حسب الرواية المرجحة، حوالي سبعة عشر عاماً. وتذكر بعض المصادر أن تاريخ أسرة الملك عبدالعزيز، إضافة إلى ما في نفسه من طموح وما تحلى به من قدرات عقلية، كانت من أكبر الدوافع التي جعلته يلازم مجالسة الزعماء والقادة في تلك البلاد، ويتأمل ما يحيط بالمنطقة من تيارات سياسية ليأخذ من هذا وذاك العبر والدروس.

المحاولة الأولى لاستعادة الرياض:

يمهد كثير من المؤرخين لحديثهم عن الدولة السعودية الثالثة ودخول الملك عبدالعزيز إلى الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ بذكر محاولته السابقة لاستعادتها، والتي جرت في العام ١٣١٨هـ عندما سار على رأس قوة ليدخل المدينة التي طالما حلم باستعادتها من خصومه، وتشير بعض المصادر إلى أن الملك عبدالعزيز بعد أن دخل المدينة، في محاولته الأولى تلك، مكث فيها أربعة أشهر ثم تركها بعد أن بعث إليه والده الإمام عبدالرحمن ليعود مع والده مرة أخرى إلى الكويت، إلا أن عودته تلك لم تترك في نفسه سبيلاً إلى اليأس والقنوط، حيث ظل يفكر ملياً، إلى أن استأذن والده ليقوم بمحاولة أخرى لاستعادة عاصمة ملك آبائه وأجداده.

دخوله المظفر إلى الرياض:

أدرك الملك عبدالعزيز بعد النجاح النسبي لمحاولته الأولى في دخول الرياض، وتأمله ما يحيط بالمنطقة من ظروف، أن الوقت قد حان كي يتولى مسؤولية إعادة حكم أسرته للبلاد. ومن هنا



جاء إلحاحه الشديد على والده للسماح له بالخروج من الكويت قائداً لغزوات في سبيل تحقيق هدفه، وقد وقف والده ضد إلحاحه في بداية الأمر. إلا أنه نجح، في النصف الأول من عام ١٣١٩هـ، في إقناعه ليوافق في النهاية على خروج ابنه في طريقه لاستعادة الرياض.

وتتفق مجمل المصادر التاريخية على وصف هذا الخروج وما تلاه من دخول الملك عبدالعزيز المظفر للرياض. فقد غادر الكويت، كما هو مرجح عند أكثر المؤرخين، بما لايزيد على أربعين رجلاً إلا قليلاً. مضى بهم في غفلة من الناس، يسيرون ليلاً ويتنحون عن مسالك الطرق في النهار، وقد أدركهم الشتاء بعد أن قطعوا الصحراء وهم يعانون آلام الجوع والعطش في ترحالهم دون أن تهن لهم عزيمة أو يعتورهم فتور.

وفي اليوم الحادي والعشرين من رمضان، سنة ١٣١٩هـ انطلق الملك عبدالعزيز بمن معه من واحة يبرين صوب الرياض، ولمَّا تجاوز منتصف الطريق بين المكانين أخبر رفاقه بهدفه فواصلوا السير الحثيث، ولم ترخ ليلة الخامس من شهر شوال سدولها إلا وهم في ضواحي الرياض. وضع الملك عبدالعزيز، عندئذ، خطة محكمة لدخولها، فَقَسَّم رجاله إلى ثلاث مجموعات: واحدة ترابط عند الإبل حتى الصباح، فإن جاء الصباح ولم يأتها منه خبر فعلى أفرادها أن ينجوا بأنفسهم. والثانية بقيادة أخيه محمد، تكمن في إحدى مزارع البلدة حتى تأتيها أوامره. أما الثالثة فتدخل البلدة بقيادته، ولم تجد هذه المجموعة صعوبة في الدخول إلى الرياض، ذلك لأن أسوارها كانت مهدمة، كما أن عدد أفراد المجموعة الداخلة كان قليلاً لايحدث ضجة ولا يثير انتباهاً، إذ لم يتجاوزوا السبعة، وقد استطاعوا بقيادة الملك عبدالعزيز، أن يدخلوا بيتاً مجاوراً لبيت حاكم الرياض وعامل خصومه عليها، فلما وصلوا إليه تسلل هو ورفاقه الستة إلى بيت الحاكم لكنهم لم يجدوه فيه، وأخبرتهم زوجته أنه نائم في قصر المصمك (القصر التاريخي المعروف) عند رجال الحامية، وذلك لعدم اطمئنانه إلى الأوضاع المحيطة به، وأنه يأتي من ذلك القصر إلى بيته بعد طلوع الشمس. آنذاك، التحق بالملك عبدالعزيز أخوه محمد بن عبدالرحمن ورفاقه، وانتظر الجميع خروج الحاكم من قصر المصمك في الصباح. ولمَّا خرج انقض عليه الملك عبدالعزيز ورفاقه. فحاول العودة إلى القصر، لكنهم تمكنوا من مداهمة بوابة ذلك القصر والدخول إليه، وقتل ذلك الحاكم بيد عبدالله بن جلوي ابن عم الملك عبدالعزيز. كما قتل عدد من أتباعه، واضطر باقي رجال الحامية إلى الاستسلام.

وما أن تم ذلك حتى نودي في البلدة أن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وهكذا خطا القائد المنتصر خطوته الأولى لاستعادة الحكم السعودي في البلاد وتوحيد أجزائها المختلفة، لتبدأ بذلك الدولة السعودية الثالثة يوم الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ، (الخامس عشر من يناير عام ١٩٠٢م). واندفع سكان الرياض يبايعون حاكمهم الجديد، الذي كانت بلدتهم عاصمة لدولة أسرته من قبل. وكانوا وهم يضعون أيديهم في يده مبايعين، يأملون أن تعود به إلى هذه البلدة مكانتها السياسية، وتنتعش حياتهم الاقتصادية.

وما أن استتب الأمر للملك عبدالعزيز في الرياض حتى بدأ يعدُّ لكل خطر محتمل عدته، فشرع في بناء أسوارها المهدمة، ولم تمر خمسة أسابيع إلا وكانت الرياض محصنة كل التحصين.

ولقد عني كثير من المؤرخين بوصف بطولة الملك عبدالعزيز وشجاعته من خلال عملية دخول الرياض، فمنهم من وصفها بأنها كانت عملية جريئة ومحكمة، باعتبار أن الموقف يتطلب تلك الجرأة وذلك الإحكام، فبدونهما كان من غير الممكن تحقيق ما تحقق من نجاح.

ومن المؤرخين من قال أن هذه العملية جذبت انتباه الناس في الجزيرة العربية إلى الملك عبدالعزيز فصاروا يتحدثون عنه ويسمرون في لياليهم على ذكر شجاعته وجرأته وبطولته، إضافة إلى أنها كانت فاتحة غزوات موفقة وحروب منظمة من تنظيم قائد خبير، أدهش الناس في الجزيرة العربية وخارجها.

توحيد أطراف المملكة:

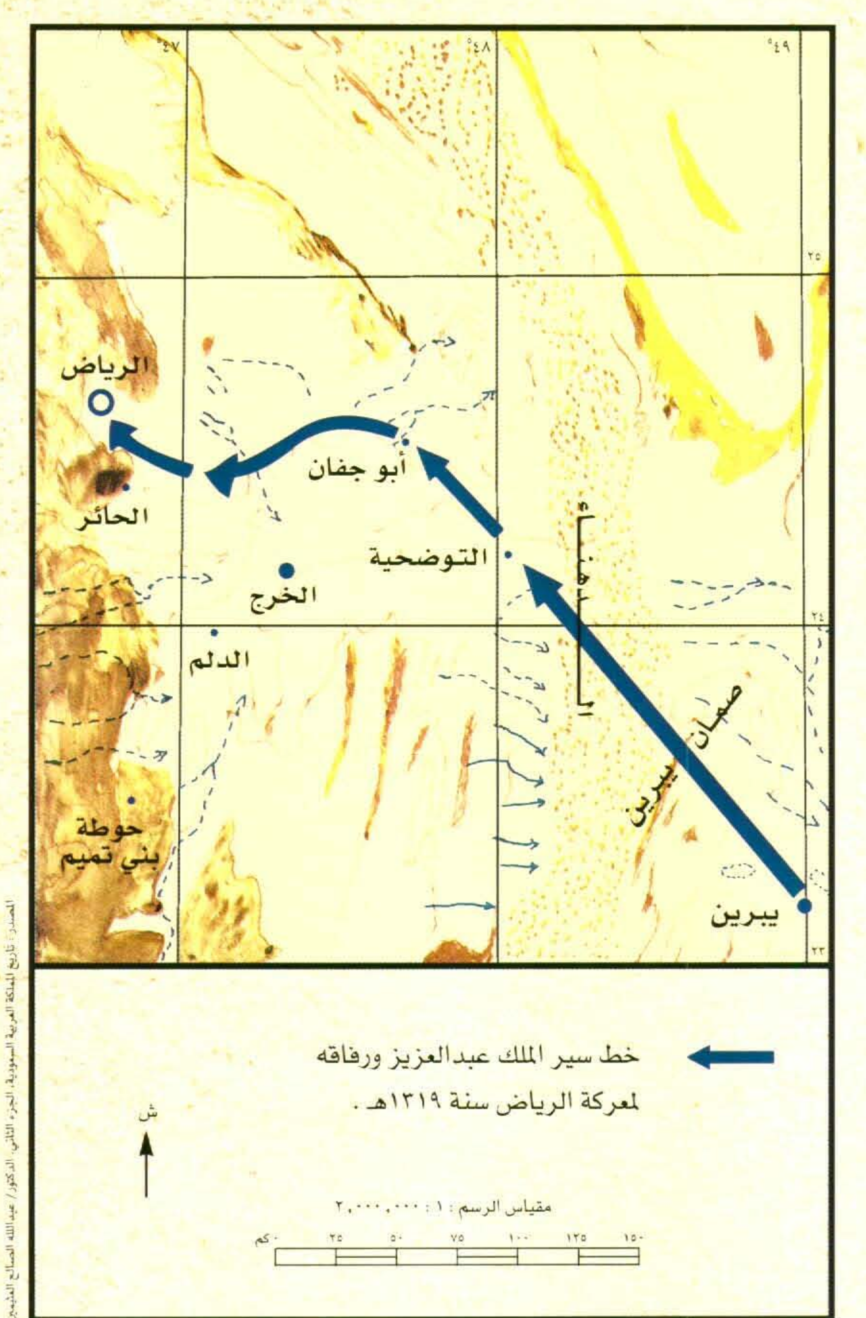
بعد أن استتب الأمر للملك عبدالعزيز في الرياض بدأت مسيرته لتوحيد أطراف المملكة، وقد فضل أن يبدأ حركته التاريخية تلك بالجهات الواقعة جنوب الرياض باعتبار أن اتجاهه لتوحيد هذه الجهات سيكون أقل إثارة لخصومه لبعده جغرافياً عن قاعدة حكمهم الواقعة إلى الشمال، كما أن الملك عبدالعزيز رأى أنه إذا تمكن من كسب ولاء سكان الجهات الجنوبية من نجد استطاع أن يتحرك إلى الجهات الشمالية والغربية وظهره أكثر أماناً، ولقد وجد من سكان جنوبي نجد، بصفة عامة، ما توقعه من استجابة له وتعاون معه، ودخلت تحت حكمه الخرج والأفلاج والحريق وحوطة بني تميم، وأصبح نفوذه يمتد من الرياض إلى وادي الدواسر.

تلى ذلك الانتصار الذي تحقق للملك عبدالعزيز في الجهات الجنوبية من نجد عودة والده الإمام عبدالرحمن من الكويت إلى الرياض، ليلتئم بعودته شمل الأسرة في مقر الحكم السعودي.

القصيم تحت راية الملك عبدالعزيز:

بعد مواجهات مع خصومه في بلدة الدلم جرت سنة ١٣٢٠هـ وانتصر فيها استتبت الأمور في عام ١٣٢١هـ للملك عبدالعزيز في أطراف أخرى من نجد كان من بينها أقاليم الوشم وسدير والشعيب والمحمل، وفي العشر الأواخر من ذي الحجة عام ١٣٢١هـ خرج من الرياض قاصداً القصيم، وبدون صعوبة دخل أتباعه عنيزة التي تمت السيطرة على مقاليد الأمور فيها مع إطلالة اليوم الخامس من محرم سنة ١٣٢٢هـ، ولقد شجع ما حدث في عنيزة كبار أهل بريدة على إيضاح موقفهم المؤيد للملك عبدالعزيز، وقدم منهم وفد لإبلاغه بوقوفهم معه. ثم توجه إليها هو بقواته فبايعه سكانها. وهكذا أصبحت بريدة تحت حكم الملك عبدالعزيز، وبدخول بريدة وعنيزة تحت الحكم السعودي يمكن القول بأن إقليم القصيم كله أصبح منضوياً تحت لواء هذا الحكم.

بعد ذلك حصلت في إقليم القصيم معارك عديدة بين الملك عبدالعزيز وخصومه الذين أثارهم دخول بريدة وعنيزة تحت حكمه وشهدت تلك المعارك انتصارات وهزائم إلى أن استقرت بريدة وما يحيط بها في عام ١٣٢٦هـ تحت راية الملك عبدالعزيز.



المصدر: تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني، الدكتور/ عبدالله الصالح العثيمين

ضم الأحساء والقطيف:

كان العثمانيون قد استولوا على الأحساء، التي كانت جزءاً من الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، في عام ١٢٨٨هـ، وقد ظل الملك عبدالعزيز يفكر في ضم منطقة الأحساء والقطيف منذ عام ١٣٢٤هـ بعد أن اطمأن إلى سلامة وضعه في كثير من نواحي منطقة نجد، وبالفعل فقد ساعده أنصاره داخل بلدة الهفوف، الذين أمدوه بمعلومات عن أمكنة الأتراك وقوتهم وتحركاتهم وهيأوا له بعض الوسائل، على دخولها سنة ١٣٣١هـ، وبعد ذلك أرسل سرية، بقيادة أحد رجاله وهو عبدالرحمن بن سويلم، إلى القطيف، فتمكنت هذه السرية من دخولها دون صعوبة لتدين المنطقة نتيجة لذلك لحكم الملك عبدالعزيز.

استكمال توحيد نجد:

كان لنجاح الملك عبدالعزيز في ضم منطقة الأحساء والقطيف مع ما سبق أن دخل تحت رايته من أقاليم نجد أثر واضح في تعزيز موقفه، مما دعاه إلى اتخاذ موقف حازم تجاه إمارة جبل شمر في حائل، وقد بدأ عملياته العسكرية لهذا الغرض في شوال عام ١٣٣٨هـ بإرسال ابنه سعود على رأس قوة كبيرة نجحت في غارتها ثم عادت من هناك. وتلا ذلك مناوشات عديدة إلى سنة ١٣٤٠هـ عندما زحف الملك

أبرز المعارك والأحداث في مسيرة توحيد المملكة بالتاريخ الهجري

الحدث	اليوم	الشهر	السنة
دخول الرياض	٥	شوال	١٣١٩هـ
دخول عنيزة	٥	محرم	١٣٢٢هـ
وقعة البكيرية	١	ربيع الأول	١٣٢٢هـ
وقعة الشنانة	١٨	رجب	١٣٢٢هـ
وقعة روضة مهنا	١٨	صفر	١٣٢٤هـ
وقعة الطرفية	٥	شعبان	١٣٢٥هـ
دخول بريدة	٢٠	ربيع الآخر	١٣٢٦هـ
وقعة هدية	١	جمادى الأولى	١٣٢٨هـ
ضم الأحساء	٥	جمادى الآخرة	١٣٣١هـ
وقعة جراب	٧	ربيع الأول	١٣٣٣هـ
وقعة تربة	٢٥	شعبان	١٣٣٧هـ
ضم عسير		شوال	١٣٣٨هـ
ضم حائل	٢٩	صفر	١٣٤٠هـ
ضم الطائف	٧	صفر	١٣٤٣هـ
دخول مكة	١٨	ربيع الأول	١٣٤٣هـ
تسليم المدينة	١٩	جمادى الأولى	١٣٤٤هـ
تسليم جدة	٦	جمادى الآخرة	١٣٤٤هـ

عبدالعزيز بأتباعه صوب حائل، فشدد الحصار عليها، ثم رأى بعض كبار سكانها أن يتصلوا بالملك لتسهيل دخوله إلى البلدة مقابل الأمان لأهلها، وقد كان لهم ما أرادوا، وذلك في التاسع والعشرين من شهر صفر عام ١٣٤٠هـ. وبهذا انضم إقليم جبل شمر إلى ما سبق توحيده من أقاليم البلاد ومناطقها.

ضم منطقة عسير:

في عام ١٣٣٨هـ رأى الملك عبدالعزيز أن الوقت مناسب لتحركه صوب منطقة عسير، وأرسل إلى هناك جيشاً بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مساعد، الذي انضم إليه المؤيدون للحكم السعودي حين وصل إلى المنطقة، بينما خرج المعارضون لصد حملة ابن مساعد، إلا أنهم انهزموا وعادوا إلى أبها. ثم غادروها عندما اقترب قائد الحملة السعودية منها. وحين رأوا عدم مقدرتهم على الصمود استسلموا. ليعين على المنطقة، إثر ذلك، أمير من قبل الملك عبدالعزيز. ثم إن الأمر في عسير لم يستقر تحت راية الحكم السعودي إلا بعد أن جهز الملك عبدالعزيز جيشاً بقيادة ابنه فيصل قوامه ستة آلاف مقاتل وانطلق ذلك الجيش من نجد في شوال سنة ١٣٤٠هـ، ولما اقترب من منطقة عسير التحق به حوالي أربعة آلاف من أهالي المنطقة المؤيدين للملك عبدالعزيز، وعندما اقترب هذا الجيش من أبها تركها الخصوم، ثم عين عليها مجدداً أمير من قبل الملك عبدالعزيز، إلى أن استقر أمر المنطقة تماماً تحت راية الملك عبدالعزيز لتنضم عسير إلى بقية مناطق البلاد الموحدة.

ضم الحجاز:

كانت معركة تربة في عام ١٣٣٧هـ أول معارك الملك عبدالعزيز التي مهدت لضم إقليم الحجاز إلى بقية أقاليم البلاد الموحدة، وقد انتصر أتباعه في هذه المعركة على خصومه الذين أثار مخاوفهم إنهاؤه لإمارة جبل شمر، وما تلا ذلك من بسط نفوذه في عام ١٣٤٠هـ على ما يليه من جزيرة العرب، وتوطيد حكمه في عسير. وفي عام ١٣٤٣هـ بعث الملك عبدالعزيز بقوة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل، اتجهت صوب الطائف حتى اقتربت منها في بداية شهر صفر من ذلك العام، فاكتسحت حصونها الأمامية ودخلتها، لتصبح الطائف تحت حكم الملك عبدالعزيز، ثم حدثت بعد ذلك معركة الهدى بين أتباع الملك عبدالعزيز وخصومه، وقد انتصر أتباعه في هذه المعركة وبقوا ينتظرون تعليماته. وفي السابع عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ دخل أتباع الملك عبدالعزيز، بعد أن اتصل بهم بعض من كانوا في مكة، إليها مهللين مكبرين دون إراقة دماء لتكون بذلك في أيدي أتباع الملك عبدالعزيز، الذي توجه، في الثامن من جمادى الأولى، إلى مكة المكرمة ودخلها معتمراً، وبقي فيها أشهراً، ثم أمر أتباعه بالزحف إلى جدة، التي احتاط خصومه

بوسائل متعددة للدفاع عنها توقعاً لقدومه، على أن الملك عبدالعزيز، في هذه الأثناء لم يقصر نشاطه على جبهة جدة، بل بعث بسرايا من جيشه إلى جبهات متعددة في الحجاز. وكان أمير الليث والقنفذة قد دخل في طاعته سلماً بعد دخول أتباعه مكة، ونجح من بعثهم إلى رابغ في إدخالها تحت حكمه، وقد مكنه ذلك من الإعلان بأن السبل إلى مكة آمنة. وفي غضون ذلك أرسل الملك عبدالعزيز إلى الجهات الشمالية والغربية من الحجاز عدة سرايا، منها سرية اتجهت إلى ينبع لمنع الاعتداء على القوافل القادمة من هناك.

أما المدينة المنورة فقد وجه إليها تباعاً عدداً من سرايا جيشه، وفي عام ١٣٤٤هـ بقي أتباعه محاصرين لها، إلى أن أدرك بعض كبار أهلها أن من الأفضل الدخول في طاعة الملك، وفي الثامن عشر من شهر جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ سلم وفد من أهلها جميع ما للحكومة من أموال وأسلحة وغيرهما لقائد القوات السعودية الأمير محمد بن عبدالعزيز، وانضوت المدينة المنورة بذلك تحت راية الحكم السعودي.

وقد أدى ضم المدينة المنورة، بعد الطائف ومكة، إلى تعزيز قوة الملك عبدالعزيز، مع ما كان يصله تباعاً من إمدادات من أرجاء البلاد التابعة له. وفي هذه الأثناء ازداد موقف المحاصَرين داخل جدة حرجاً، فدب اليأس في نفوسهم. وكان الملك عبدالعزيز يعلم بما يحدث داخل تلك البلدة، فأعلن العفو العام عمن يغادرها إلى مكة أو أي مكان آخر، مما شجع بعضاً من أهلها، بل شجع جزءاً من قواتها النظامية وكبار موظفيها على مغادرتها، وأمام هذا الوضع أدرك خصومه تردي وضعهم، وجرت على إثر ذلك مفاوضات أعقبها نهاية حكم خصومه لمنطقة الحجاز، لتتوحد هذه المنطقة مع ما وحده الملك عبدالعزيز من مناطق البلاد، وقد كان ذلك في السادس من جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ.

ضم جازان:

بعد نجاح الملك عبدالعزيز في استكمال ضم الحجاز رأى حاكم جازان الحسن الإدريسي أن من الأفضل له لمواجهة خصومه الحصول على حماية الملك عبدالعزيز، وعقد معه لهذا الغرض اتفاقية مكة عام ١٣٤٥هـ، وكان أهم ما نصت عليه هذه الاتفاقية بقاء الأمور في منطقة جازان لحاكمها الإدريسي، والأمور الخارجية للملك عبدالعزيز المتعهد بالدفاع عنها ضد أي عدوان عليها، وأرسل الملك عبدالعزيز مندوباً من قبله لمساعدة الحسن الإدريسي على تصريف شؤون البلاد وظلت العلاقات بين الطرفين جيدة إلى أن تنازل الحسن عن إدارة البلاد للملك عبدالعزيز سنة ١٣٤٩هـ، وبذلك تم توحيد منطقة جازان عملياً مع بقية المناطق السعودية.

بعد ذلك انضم الإدريسي إلى خصوم الملك عبدالعزيز في الحجاز فأرسل إليه من يذكره بالعهد ويحذره، إلا أنه لم يصغ إلى ذلك وتوالت السرايا التي بعث بها الملك عبدالعزيز إلى المنطقة حتى غادرها خصومه واطمأن إلى سلامة وضعها تحت حكمه.

وبذلك تكون منطقة جازان نهاية مطاف توحيد البلاد على يد الملك عبدالعزيز من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، لتأخذ بعد ذلك اسمها الموحد.

اتخاذ البلاد لاسمها الموحد:

كان أول لقب اتخذه الملك عبدالعزيز بعد دخوله الرياض وضمه عدداً من الأقاليم هو «سلطان نجد وملحقاتها» وقد تقرر ذلك في مؤتمر عقد في الرياض سنة ١٣٣٩هـ. وفي عام ١٣٤٤هـ بايعه أهل الحجاز ملكاً عليهم، فأصبح لقبه «ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها». وفي العام التالي بايعه أهل نجد ملكاً عليهم أيضاً، فأصبح لقبه «ملك الحجاز ونجد وملحقاتها». وفي الشهور الأولى من عام ١٣٥١هـ ظهر أنه من المناسب توحيد البلاد رسمياً تحت اسم واحد، وبناء على ذلك صدر في السابع عشر من جمادى الأولى لذلك العام مرسوم ملكي بتوحيدها باسم «المملكة العربية السعودية» اعتباراً من الحادي والعشرين من الشهر نفسه فأصبح لقب الملك عبدالعزيز «ملك المملكة العربية السعودية». ■

المراجع:

١- تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الأول، الدكتور عبدالله الصالح العثيمين، الطبعة الثامنة، ١٤١٨هـ.

٢- تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني (عهد الملك عبدالعزيز)، الدكتور عبدالله الصالح العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

٣- الملك الراشد جلالة المغفور له عبدالعزيز آل سعود، عبدالمنعم الغلامي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٤- ابن سعود مؤسس مملكة، لزلي مكلوغن، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٥- تاريخ نجد الحديث، أمين الريحاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م.

٦- نجد وملحقاتها، أمين الريحاني، منشورات الفاخرية ودار الكاتب العربي في بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.

الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يفتتح في حفل كبير، مشروع خط سكة الحديد الذي يربط الرياض بالدمام مروراً بالخرج والأحساء عام ١٩٥١م. بحضور عدد من أصحاب السمو الأمراء.

بدايات التطور الحضاري للمملكة في عهد الملك عبدالعزيز

بقلم: د. محمد بن عبدالله السلمان



يمكن القول أن ضم الملك عبدالعزيز الحجاز عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)، هو المفتاح الأول لبدايات التطور الحضاري للمملكة في عهد الملك عبدالعزيز. لأن الحجاز كان يعد أكثر مناطق الجزيرة العربية تحضراً. فالدولة العثمانية أولت هذه المنطقة اهتماماً خاصاً وبالذات مكة المكرمة والمدينة المنورة، لمكانتهما الدينية، فنالتا نصيباً لا بأس به من التطور حينذاك، ثم جاء الملك عبدالعزيز ليكمل هذه البدايات. ولكن يلاحظ أن هذه البدايات كانت ضعيفة، أول الأمر، بسبب قلة موارد الدولة في مرحلة التأسيس، حتى جاءت مرحلة اكتشاف البترول السعودي عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م)، ثم توسع تصديره تجارياً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م). فزاد اهتمام الدولة وإنفاقها على هذه البدايات التطويرية، وذلك بتوجيه مباشر من الملك عبدالعزيز -رحمه الله. إلا أن الأجل لم يمتد بالملك المؤسس أكثر من تسع سنوات بعد ذلك، فقد توفي عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م)، قبل أن يرى آثار إصلاحاته التطويرية للمملكة بشكل أكبر، والتي شملت كثيراً من مظاهر الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

ولعل أهم مظاهر هذا التطور وبداياته ما يتصل بالتعليم والمواصلات والبرق والبريد والهاتف، والدفاع والطيران، والزراعة، والصحة . وسنلقي الضوء على كل حقل من هذه الحقول :

التعليم

كان التعليم في أول عهد الملك عبدالعزيز، وقبل انضمام الحجاز، يقوم على النظام المعروف بالتعليم التقليدي، والذي يتألف من الدراسة في ثلاث مراحل تعليمية [1]: هي الكتاتيب، وحلقات المساجد، ثم رحلات طلب العلم. وكانت تلك الكتاتيب منتشرة في كثير من مدن وقرى نجد، وتقوم بتعليم طلابها الصغار غالباً مبادئ القراءة والكتابة، مع قلة الإقبال على هذه الكتاتيب، بسبب حاجة الأب لأبنائه في عمله المعيشي، وذلك لضيق ذات اليد حينذاك.

أما حلقات المساجد فكانت توجد في المدن الصغيرة، حيث كان للشيخ حلقة أو حلقات تدرس فيها العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية. أما السفر لطلب العلم فكان لفئة قليلة نابغة من طلاب تلك الحلقات [2].

ولم يبدأ التعليم الحديث في البلاد إلا بعد أن ضم الملك عبدالعزيز الحجاز عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)، وذلك لنشأة بعض المدارس الحديثة الحكومية والأهلية في ذلك الإقليم في عهد الدولة العثمانية في مكة والمدينة. كما أن مجموعة قليلة من مثقفي نجد رحلوا إلى البلاد المجاورة مثل العراق والشام، ودرسوا في بعض مدارسها الحديثة، ولما عادوا إلى أوطانهم في نجد خاصة، فتحوا بعض المدارس على غرار المدارس التي درسوا فيها، وقد لعبت مدارسهم الأهلية دوراً مهماً في الحركة العلمية في البلاد، وسدت فراغاً كبيراً [3]. وكذا الحال لمنطقتي الأحساء وعسير، وبخاصة مدينتي الهفوف وأبها.

اهتم الملك عبدالعزيز بإدخال التعليم



للملك عبدالعزيز - رحمه الله - جهود واهتمامات خاصة بالحرمين الشريفين، وخدمة الحجيج والمعتمرين والزائرين، وتبين هذه الصورة اكتظاظ الناس في الطواف حول الكعبة وهم ينعمون بالأمن والطمأنينة.

الحديث إلى بلاده، لذلك أمر بإنشاء مديرية المعارف في نفس العام الذي ضم فيه الحجاز كاملاً في رمضان عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) [4]. وصار لهذه المديرية ميزانية خاصة بها، ومجلس معارف. وبدأت تزاول نشاطها منذ ذلك الحين، فبدأت عام ١٣٥٦هـ بفتح المدارس الابتدائية في بعض مدن الحجاز ونجد والأحساء وعسير، كما أنشأت المعهد العلمي السعودي عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) بمكة المكرمة، وهو يعادل الدراسة الثانوية، ثم أنشأت مدرسة تحضير البعثات عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)، وذلك لتسهيل مهمة ابتعاث الطلاب إلى مصر للدراسة في الجامعات المصرية، وذلك بتدريسهم مواد لم يدرسوها اشترطتها الجامعات المصرية [5]. وكان طلاب هذه المدارس من مدن الحجاز ومناطق أخرى مثل نجد والأحساء وعسير. وفي الحقيقة كانت مسيرة التعليم الحديث في هذه الفترة بطيئة، بسبب الظروف الاقتصادية التي كانت تمر بها المملكة حينذاك، وعدم القدرة على توفير متطلبات التعليم المادية والفنية، بسبب ضعف موارد الدولة المالية في تلك الفترة التي سبقت اكتشاف البترول.

وبعد اكتشاف البترول السعودي عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م)، والبدء بتصديره عالميا عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) والتوسع في ذلك بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م)، توفر لخزينة الدولة أموال كثيرة أنفقت على التعليم الحديث بسخاء، ولهذا خطى التعليم في هذه المرحلة خطوات وثابة. فقد عمَّت المدارس الابتدائية معظم مدن وقرى المملكة، بل تضاعف عددها عدة مرات، ففي حين أنه كان في المملكة من المدارس الحكومية للمرحلة الابتدائية ١٢ مدرسة فقط عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)، فقد تضاعف هذا الرقم حوالي خمس عشرة مرة عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م)، فبلغ ١٨٢ مدرسة ابتدائية. وفي عام ١٣٧١هـ (١٩٥١م) ارتفع هذا الرقم إلى ٢١٠ مدارس، ثم بلغ ٣٠٦ مدارس في عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) [6]. كما فتحت مديرية المعارف بمكة فروعاً للمعهد العلمي السعودي في بعض المدن، وفتحت مدرسة دار التوحيد الثانوية في الطائف عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م). بل وصلت المملكة إلى مستوى المرحلة الجامعية [7] حينما فتحت كلية الشريعة بمكة عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) [8]، كما فتحت بمكة أيضاً كلية المعلمين عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م).

أما في نجد، فقد تم افتتاح معهد الرياض العلمي عام ١٣٧٠هـ، وهو يعادل الشهادة الثانوية، وفي عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) تم افتتاح كلية الشريعة بالرياض، كما افتتحت معاهد علمية على غرار معهد الرياض العلمي في بعض المدن الكبيرة، وجعل لهذه المعاهد مع كلية الشريعة إدارة خاصة [9] مستقلة عن مديرية المعارف. أما المدارس الثانوية العامة فقد قامت مديرية المعارف بفتح أربع مدارس عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م)، ثم صار عددها ثماني



صورة لقصر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بالرياض، تعود لعام ١٩٤٥م.

مـــدارس عـــام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م)، وذلك في المدن الكبرى بالمملكة [١٠]، في الحجاز ونجد والأحساء وعسير. وذلك بعد انتشار المدارس الابتدائية فيها منذ عام ١٣٥١هـ.

وهكذا نجد أن مرحلة حكم الملك عبدالعزيز بدأت بالكتاتيب ولم تنته حتى كان التعليم الجامعي قد ظهر في مكة والرياض، وهو تطور كبير في المستوى الثقافي في ذلك العهد. ومما هو جدير بالذكر أن التعليم في المملكة بدأ مجانياً في جميع مراحله تدريساً وكتباً منذ عهد الملك عبدالعزيز، بل خصصت الحكومة مكافآت شهرية لطلاب بعض المدارس كالمعاهد العلمية، ودار التوحيد، والكليات الجامعية، وذلك تشجيعاً لطلابها. ولا أدل على اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم من أن ميزانية مديرية المعارف بلغت عشرين مليون ريال وذلك عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) [١١]، وهو مبلغ له قيمته في تلك الفترة.

المواصلات

المواصلات في أي بلد هي شريان حياته الحقيقي. وقد اقتصرت طرق المواصلات في أول عهد الملك عبدالعزيز على الطرق البرية، التي كانت تسلكها قوافل الإبل التجارية أو قوافل الحج. ومضى ردح كبير من الزمن في عهد الملك عبدالعزيز وهذه الطرق هي شريان الدولة [١٢] مع ما تزامن معها من متاعب مثل قلة المراكز الحضرية عليها، وطول المدة التي تستغرقها القافلة في السفر، وكذلك انعدام الأمن وكثرة قطاع الطرق في كثير من أجزائها [١٣]، وذلك قبل توحيد البلاد على يد الملك عبدالعزيز. يرحمه الله. وكانت وسائل النقل على هذه الطرق هي الإبل أولاً، ثم الخيل، ثم الحمير في بعض الأحيان لقطع المسافات القصيرة.

ثم بدأت المملكة تدخل عهد المواصلات الحديثة، وذلك بظهور السيارات في أراضيها، وبداية انتشارها بين السكان، وكان ذلك في منتصف القرن الرابع عشر الهجري [١٤]. ومن هنا بدأ اهتمام الملك عبدالعزيز يظهر بمد شبكة الطرق البرية، فتم في عهده تعبيد طريق مكة - جدة وطوله ٧٣ كيلومترا، وطريق مكة - عرفات - منى وطوله ٢٠ كيلومترا، وطريق الطائف - الحوية وطوله ٣٠ كيلومترا، وطريق الهفوف - عين دار، والبدء في تعبيد طريق مكة - الطائف، وطريق جدة - المدينة، وطريق الرياض - الطائف - مكة، وطريق الرياض - الهفوف - الظهران - القطيف - الجبيل. كما قامت شركة أرامكو السعودية، أو أرامكو كما كانت تعرف آنذاك، بتعبيد بعض الطرق بين مدن المنطقة الشرقية، مثل الخبر والدمام وبقيق ورأس تنورة، وغيرها، حيث عبّدت طريق الظهران - الدمام - الخبر بطول ٤٠ كيلومتراً، وعبدت طريقاً تربط الظهران برأس تنورة طوله ٥٠ كيلومتراً، وطرق أخرى تربط بين حقول الزيت المختلفة. كذلك أقامت، شركة التعدين السعودية، طريق جدة - منجم الذهب، كما عبدت طرقاً داخلية في مكة والمدينة وجدة والرياض والأحساء وعسير [١٥].

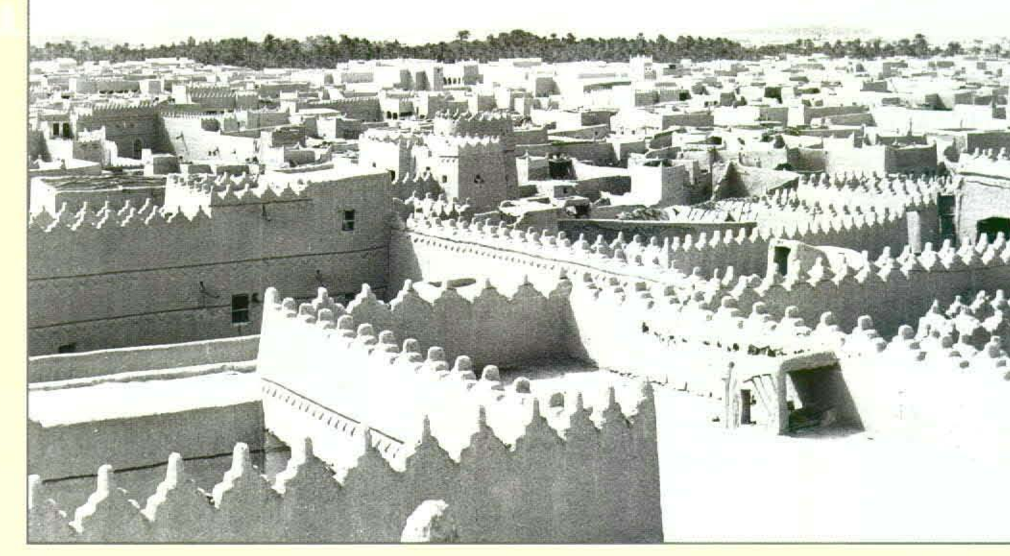
وبجانب هذه الطرق البرية، افتُتح في عهد الملك عبدالعزيز في المحرم عام ١٣٧١هـ (١٩٥١م) خط للسكة الحديد يصل العاصمة الرياض بالهفوف والدمام في المنطقة الشرقية من المملكة، حيث آبار البترول. وبلغت تكلفته حوالي ٢٠٠ مليون ريال [١٦]، وكان لدى الملك عبدالعزيز نية لمد سكة حديد بين الرياض وجدة مروراً بالقصيم والمدينة المنورة ومكة المكرمة [١٧]. وكان هذا الخط الحديدي ثاني خط حديدي تشهده الجزيرة العربية بعد سكة حديد الحجاز التي تربط بين دمشق والمدينة، التي أنشأها السلطان عبدالحميد الثاني، وقد افتتحت عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، إلا أن بعض أجزائها دمّر عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) إبان ثورة الحسين بن علي ضد الدولة العثمانية [١٨].

كما اهتم الملك عبدالعزيز بالمواصلات البحرية أيضاً، وذلك بتطوير الموانئ على الخليج العربي والبحر الأحمر، وأهمها ميناء الدمام، وميناء جدة. وبدأ في تكوين أسطول سعودي من بعض السفن الصغيرة لحراسة السواحل الطويلة للمملكة. ثم أنشئت (مديرية مصلحة خفر السواحل) عام ١٣٥٠هـ (١٩٣٦م)، التي بدأت في شراء قطع بحرية كبيرة نسبياً منذ عام ١٣٧١هـ (١٩٥١م). كما أدى اكتشاف البترول إلى إنشاء ميناء رأس تنورة على الخليج العربي، حيث حضر الملك عبدالعزيز شحن أول ناقلةٍ بالزيت الخام السعودي فيه عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) [١٩].

وفي عهد الملك عبدالعزيز ابتدأت المواصلات الجوية أيضاً وذلك بتأسيس مصلحة الطيران عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م). وقد بدأت بطائرة واحدة من نوع (داكوتا) للرحلات الداخلية بين جدة والرياض والظهران. تلاها شراء طائرات أخرى وانتقلت بعد ذلك إلى مرحلة الرحلات الخارجية أيضاً، وشيدت مطارات في جدة والمدينة والحوية بالطائف والرياض والظهران [٢٠]. ثم أصبحت الخطوط السعودية تابعة لوزارة الدفاع والطيران، فزادت في تطويرها وأنشأت بعد ذلك بعض المطارات الداخلية في مدن مهمة بمناطق أخرى كالأحساء وعسير ونجد.

اهتم الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بالتعليم الحديث فأنشأ له المدارس النظامية في مختلف مدن البلاد. وتظهر في هذه الصورة إحدى المدارس الحكومية في الأحساء، وقت انصراف الطلاب.





منظر عام للمباني السكنية في مدينة الرياض كما كانت عام ١٩٥٠م. يبين النمو العمراني الذي شهدته هذه المدينة بعد توفر الأمن والاستقرار. وتتجلى في هذه المباني جماليات الزخرفة، والتشكيلات العمارية.

البرق والبريد والهاتف

يعد البرق (أو التلغراف) أول وسيلة اتصالات حديثة تدخل البلاد. فقد رآها الملك عبدالعزيز ضرورية لربط مناطق بلاده المترامية الأطراف، فاستُقدمت الآلات اللازمة، وأُنشئت المراكز العديدة في عشرات المدن، بل فتحت مدارس للتدريب على استخدام هذه الوسيلة في مكة وجدة والمدينة والرياض، حتى وصل عدد مراكز البرقيات في المملكة إلى أكثر من ٦٠ مركزاً في آخر عهد الملك عبدالعزيز، شملت مناطق المملكة الرئيسة كلها [٢١].

أما البريد الذي يشمل الرسائل والطرود فكانت قوافل الجمال تقوم بنقله، ثم حلت السيارات محلها ثم الطائرات. وقد بدأت مكاتب البريد الحكومية في الظهور، بعد ضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م)، حيث أنه كان فيه مثل هذه الخدمة إبان العهد العثماني. ولكن مكاتب البريد الحكومية في المملكة لم تبدأ في الانتشار إلابعد الحرب العالمية الثانية، وإثر توفر المال لدى الحكومة بعد بداية تصدير البترول - كما مر - وفي آخر عهد الملك عبدالعزيز قارب عدد مراكز البريد في المملكة المائة مركز [٢٢].

أما الهاتف، فقد كان موجوداً في الحجاز، حين دخول الملك عبدالعزيز إليها [٢٣]. وقد قرر تعميمه في البلاد دون تردد. فظهر الهاتف السلكي العادي في بعض المدن الكبيرة بالمملكة. ودخلت المملكة عهد الهاتف اللاسلكي، وفي عام ١٣٥١هـ (١٩٣٠م) تأسس في الرياض ومكة مركزان للهاتف اللاسلكي، وكانت أول محادثة، فيما بين هذين المركزين، بين الملك عبدالعزيز في مكة، وولي عهده آنذاك الأمير سعود في الرياض. وفي آخر عهد الملك عبدالعزيز وأول عهد الملك سعود، فتح المجال للمواطنين لاستعمال الهاتف داخلياً وخارجياً [٢٤].

الدفاع والطيران

كان جيش الملك عبدالعزيز، الذي نفذ بنجاح توحيد البلاد، يتكون من رجال حاضرة نجد المسمى (جيش الجهاد)، ورجال من القبائل من أهل البادية سكان الهجر، الذين كانوا يُعرفون بلقب الإخوان وبعد توحيد البلاد واستقرارها أمر الملك عبدالعزيز بتنظيم الجيش تنظيماً حديثاً، وتأسيس (إدارة الشؤون العسكرية) التي أنيط بها كل ما يتصل بالدفاع. ولم يمض عام حتى جرى الإعداد لأول استعراض عسكري حديث للقوة العسكرية السعودية، وتم ذلك في جدة عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م). وفي عام ١٣٥٤هـ طورت الإدارة العسكرية إلى وكالة للدفاع وإدارة الأمور العسكرية، وأصبح الجيش السعودي مكوناً من سلاح المشاة والمدفعية والفرسان، ونظم الجيش على أساس كتائب وألوية، ووزع على خمس مناطق في المملكة، في الوسط والشمال الغربي والشمال الشرقي والجنوب الغربي والجنوب الشرقي [٢٥]. وفي عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) حولت مديرية الشؤون العسكرية إلى رئاسة الأركان الحربية. ثم جاء التطور الأكبر في هذا المجال وذلك بإنشاء وزارة الدفاع في ربيع الآخر عام ١٣٦٥هـ (مارس ١٩٤٦م) [٢٦]، وعين الأمير منصور بن عبدالعزيز، أول وزير لها برتبة فريق، وفي عهده بدأت النهضة العسكرية الحديثة بشكل منظم، حيث اعتنى بالتعليم العسكري، وأنشأ لهذا الغرض بعض المدارس العسكرية المتوسطة والثانوية في عدد من مناطق المملكة ومدنها المهمة، كما اعتنى باستيراد السلاح الحديث، واستقدام مدربين من الخارج لتدريب طلائع السلك العسكري عليه. كما قام بإرسال بعثات عسكرية إلى الخارج، وخاصة أوروبا وأمريكا [٢٧]. كما شاركت فرقة من الجيش السعودي في القوات العربية لقتال المعتدين الصهاينة في فلسطين عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) وأبلت في ذلك بلاء حسناً.

كما استهلت الوزارة أوجه أنشطة أخرى، حيث أنشأت مصنعاً للذخيرة في مدينة الخرج، ومدرسة للطيران في الطائف. ووضعت نواة كلية الملك عبدالعزيز الحربية في الرياض. واستمر الأمير منصور في نشاطه بالوزارة حتى وفاته عام ١٣٧٠هـ (١٩٥١م)، فخلفه أخوه الأمير مشعل. وبعد وفاة الملك عبدالعزيز عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) تولى وزارة الدفاع على التوالي الأمير فهد بن سعود بن عبدالعزيز، ثم أعقبه الأمير محمد بن سعود، ثم الأمير سلطان بن عبدالعزيز منذ عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) [٢٨].

الزراعــــة

يقسم سكان الجزيرة العربية إلى حضر مستقرين، وبدو رحَّل، وتعد الزراعة أهم مقومات الحياة الاقتصادية لدى الحاضرة، أما سكان البادية فكانت مهنة الرعي هي أساس حياتهم الاقتصادية، ثم جاء إنشاء الهجر جذباً لهم نحو الزراعة والاستقرار. وكانت الزراعة تقوم على حفر الآبار للحصول على المياه، وتوفير إبل السواني لإخراج هذه المياه إلى سطح الأرض وسقي زرعهم منها،



تبين هذه الصورة، التي تعود إلى عام ١٩٤٦م، جانباً من سوق الأحساء، بجوار قصر إبراهيم، حيث نشطت الحركة التجارية بعد أن توفر الأمن والاستقرار .

وكانت ممارسة هذه المهنة تمثل معاناة شديدة، وقد تؤدي إلى كثير من الخسائر المادية .

وقد بدأت العناية الرسمية بأمور الزراعة تظهر جلية بعد استكمال التنظيمات الإدارية، ولهذا كلف الملك عبدالعزيز معتمديه في العراق وسورية ومصر اختيار عدد من المهندسين الزراعيين ومساعديهم وارسالهم للعمل في بعض المناطق الزراعية بالملكة، مثل القصيم والأحساء والقطيف والخرج والمدينة المنورة ووادي فاطمة والطائف، حيث تتوفر مياه العيون والآبار، وفي عسير حيث تتوفر مياه الأمطار. واهتم جلالته بتوفير الماء للمناطق التي يشح فيها الماء مثل الحجاز. ويظهر هذا جلياً في اهتمام الملك عبدالعزيز بأن تشمل أعمال الجيولوجي المعروف كارل توتشل، الذي استقدمه الملك لإجراء دراسة جيولوجية عن البلاد عام ١٣٤٩هـ (١٩٣١م)، البحث عن موارد المياه [٢٩].

وفي عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) بدأت عمليات حفر الآبار الارتوازية لتوفير المياه للمزارعين، وقدمت لهم الحكومة بأمر من الملك عبدالعزيز العون في جلب الآلات لهذه الآبار، وتقسيط أثمانها عليهم. وكان ذلك قبل التوسع في تصدير البترول إلى الخارج. وفي عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) أنشئت مديرية الزراعة - بعد اكتشاف البترول - حيث توسعت أكثر في إقراض المزارعين لشراء الآلات الزراعية الحديثة، وحفر الآبار الارتوازية، وإنشاء مزارع نموذجية، واستيراد شتلات الفواكه والخضراوات، وتوزيعها على المزارعين مجاناً [٣٠]. حتى بلغت ميزانية تلك الإدارة عام ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) أكثر من ثلاثين مليوناً من الريالات، وكانت تتبع وزارة المالية. وبعد وفاة الملك عبدالعزيز عام ١٣٧٣هـ صار لها وزارة خاصة بها، وكان الأمير سلطان بن عبدالعزيز، أول وزير لها [٣١].

الصحة

كان السكان في المملكة يعانون من انتشار الأمراض والأوبئة، مثل الجدري والسل والالتهابات الرئوية والنزلات المعوية، والحصبة والسعال الديكي وغيرها دون أن يكون لديهم ما يدفع غائلتها. وكان مما يزيد في خطورة بعض هذه الأمراض أنها سريعة العدوى والانتشار، مما جعل ضحاياها، من الأطفال والشباب والشيوخ كثيرين. وكان السكان يواجهون هذه الأمراض وغيرها بالعلاجات المعروفة بالطب العربي، أو الشعبي، كالتداوي بالأعشاب، ومركباتها، وبالكي والحجامة والفصد. أما الكسور فكانوا يقومون بتجبيرها بطريقة متوارثة [٣٢].

وبقيت الحال على ذلك فترة طويلة من عهد الملك عبدالعزيز، ولم يدخل الطب الحديث البلاد إلا بعد ضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)، وإن سجلت بعض الجهود الفردية لبعض الأطباء الأجانب الذين وفدوا إلى المنطقة قبل ذلك التاريخ [٣٣]. وذلك مثل الطبيب الأمريكي (لويس دامي) الذي جاء إلى نجد بطلب من الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م)، وزار بعض مدنها الكبيرة، وعالج كثيراً من المرضى، كما أجرى بعض العمليات الجراحية، في الرياض وبريدة وعنيزة وشقراء [٣٤].

ويبدو أن منطقة الحجاز كانت أسبق مناطق الجزيرة العربية تبنياً للطب الحديث، ففيها أقيمت بعض المراكز الصحية الحديثة لخدمة الحجاج خاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة. وباستقرار عهد الملك عبدالعزيز بدأ الاهتمام بتنظيم الرعاية الصحية للسكان، فأنشأ مصلحة الصحة العامة عام ١٣٤٤هـ في مكة المكرمة، وأعقبها بإقامة إدارة للصحة البحرية والمحجرية في جدة، وتم استقدام الأطباء والصيادلة والممرضين، وأنشئت المراكز الصحية في طرق الحج من بين مكة والمشاعر، وبين مكة وجدة، وبين جدة والمدينة. كما أنشئت مستشفيات أو مستوصفات في كبريات مدن المملكة، كالرياض، والأحساء، وأبها، تتبعها مستشفيات ومستوصفات ومراكز صحية، بلغ عددها حتى أواخر عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) ١١ مستشفى و ٢٥ مستوصفاً و٣٤ مركزاً صحياً [٣٥]، وذلك عدا المستوصفات الأهلية.

وفي عام ١٣٥٠هـ (١٩٣٢م) انضمت المملكة إلى المكتب الصحي الدولي، وبعد عامين أسست جمعية الإسعاف السعودية . وعندما تأسست منظمة الصحة العالمية عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) كانت المملكة من بين أعضائها [٣٦]. وتجدر الإشارة إلى أن علاج المواطن في المملكة وكل ما يتعلق به يتم مجاناً، بما في ذلك صرف الأدوية، وما يزال كذلك. وتوسع نشاط إدارة الصحة العامة حتى تحولت إلى وزارة في آخر عهد الملك عبدالعزيز عام ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) تولاها مع وزارة الداخلية الأمير عبدالله الفيصل.

أثر هذه البدايات على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد

لا ريب أنه كان لهذه البدايات أثرٌ واضحٌ على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لشعب المملكة العربية السعودية حينذاك، فقد بدأت إيجابيات نتائجها تتضح تدريجيا على السكان، وكان نظام الهجر الذي أنشأه الملك عبدالعزيز منذ عام ١٣٣١هـ (١٩١٢م)، هو المفتاح الأول لهذا التغير. وقد أُنشئت هذه



إحدى واجهات قصر المصمك في الرياض.

الهجر في الصحراء لجذب سكان البادية نحو التحضر والاستقرار والزراعة، بدل التنقل والترحال والرعي. ولاشك أن هذا أدى إلى أن تحل وشائج الانتماء إلى الوطن، المملكة العربية السعودية، محل العلاقات الضيقة السابقة القائمة على الانتماءات القبلية. كما أخذت نسبة البداوة بين سكان المملكة في الانخفاض تدريجياً من ٦٨٪ عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) إلى أقل من ٥٠٪ في أواخر عهد الملك عبدالعزيز ثم إلى ٢٧٪ عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م). كما بدأت تظهر على هؤلاء السكان بعض التغيرات في عادات المأكل والمشرب والملبس والمسكن، واستجد التفنن في بناء المساكن سواء الطينية والإسمنتية. كما ارتفع دخل الفرد السعودي السنوي، وذلك بعد زيادة دخل الدولة من النفط إثر اكتشافه وتصديره عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م). فبعد أن كانت المملكة تعد من الدول الفقيرة أصبحت واحدة من الدول النفطية ذات الإمكانات الاقتصادية الجيدة.

وأثرت زيادة الدخل أيضاً على مشروعات الدولة نفسها داخل البلاد، فبدأ عهد من التنظيم الإداري الحديث، وقامت مشروعات عمرانية عديدة في عدد من مدن المملكة مثل مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والرياض، والدمام، والهفوف. كما نشأت في المنطقة الشرقية من المملكة وعلى ساحل الخليج مدن جديدة حديثة مثل الظهران والخبر وبقيق ورأس تنورة والجبيل، يقطنها آلاف من العمال السعوديين، الذين يعملون في صناعة النفط بجانب عدد من العمال الأجانب [٣٧]، وكان هؤلاء العمال السعوديون قد وفدوا للعمل هناك من عدة مناطق من المملكة؛ من الحجاز ونجد والأحساء وعسير والمناطق الشمالية، مما كان له الأثر الأكبر في ارتفاع مستوى الدخل لدى أسرهم في مناطقهم الأم.

وبزيادة إنفاق الدولة على مشروعات تنموية تدخل في نطاق التعليم والمواصلات والزراعة والصحة والإعلام والحج وغير ذلك، تجلت إيجابياتها واضحة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للسكان في المملكة.

هذه أهم مظاهر بدايات التطور الحضاري للمملكة العربية السعودية وأثرها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، في عهد الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود، يرحمه الله. ويمكن القول أنها تطورات قياسية عظيمة مقارنة بالمدة الزمنية الوجيزة التي استغرقتها، وفي إطار الظروف التي كانت تعيشها البلاد حينذاك. ■

الهوامش والمراجع:

١- هذا في الحاضرة. أما في البادية فيوجد نظام الهجر وإرسال العلماء والمرشدين إليها.

٢- انظر بحثاً بعنوان «التعليم التقليدي في نجد مقارناً بالتعليم الحديث» لكاتب هذه السطور في مجلة الفيصل، عدد صفر/ عام ١٤١٤هـ، ص ٣٤.

٣- انظر «معلم ومجتمع». إصدار مركز ابن صالح الثقافي بعنيزة، ص ٤٨.

٤- عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ «لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة» ص ١٥.

٥- انظر عبدالله أبو راس، وبدر الدين أديب «الملك عبدالعزيز والتعليم» ص ١٤٥، ١٦٣.

٦- عبدالله العثيمين «الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المملكة»، ص ١٠.

٧- هذا كله للبنين. أما تعليم البنات في عهد الملك عبدالعزيز فقد اقتصر على الكتاتيب الخاصة بالبنات مع وجود مدارس أهلية حديثة للبنات تدعمها الحكومة. ولم يبدأ التعليم الحكومي للبنات إلا عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) في عهد الملك سعود، مع أنه سبق أن فتح فرعاً للبنات في معهد الأنجال بالرياض (معهد العاصمة النموذجي حالياً) وذلك عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م). انظر مجلة الرائدة، عام ٨٤-١٣٨٥هـ، ص ١٤ التي يصدرها المعهد المذكور.

٨- هي نواة جامعة أم القرى في الوقت الحالي.

٩- حولت هذه الإدارة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٥م).

١٠- إبراهيم محمد إبراهيم «التعليم النظامي وغير النظامي في المملكة» ص ٦٦.

١١- انظر عبدالله الحقيل، «جوانب مضيئة لمسيرة التعليم في عهد الملك عبدالعزيز»، مجلة الدارة رجب ١٤٠٦ عدد ١١/٤ ص ١٣٤، وعبداللطيف بن دهيش، «التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز»، ص ١١.

١٢- انظر أهم هذه الطرق في لوريمر «دليل الخليج»، القسم الجغرافي ٥/١٦٤٤ - ١٦٨١.

١٣- عبدالمنعم الغلامي «الملك الراشد عبدالعزيز آل سعود» ص ٣٤٨.

١٤- انظر فهد المارك، «من شيم الملك عبدالعزيز» ٣/٣٦٣.

١٥- وزارة المواصلات السعودية، تخطيط وتطوير الطرق، ص ٨.

١٦- بنواميشان، «عبدالعزيز آل سعود» ص ٢٧٠، وجريدة البلاد، عدد ٢٠ محرم، عام ١٣٧١هـ، ص ١، والمجلة العربية، عدد ١٧٥ شعبان ١٤١٣هـ، ص ٢٦.

١٧- انظر حافظ وهبة «خمسون عاماً في جزيرة العرب» ص ١٩٠.

١٨- موفق بني المرجة، «صحوة الرجل المريض» ص ١١٤، وعبدالعزيز الشناوي، «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» ٣/٣٢٩.

١٩- عبدالمنعم الغلامي، المرجع السابق، ص ٢٥٥. والزركلي، «الوجيز» ص ٣٢٧.

٢٠- انظر عبدالرحمن الشريف «جغرافية المملكة» ص ٢١١، ٢٩٠. وكانت إدارة الخطوط السعودية تابعة لوزارة الدفاع والطيران وما زالت، وانظر وزارة التجارة، المرجع السابق، ص ١٣٢، ٢١٣.

٢١- انظر عبدالله الشهيل، «فترة تأسيس الدولة السعودية» ص ٢٣٠.

٢٢- وزارة التجارة / المملكة العربية السعودية، ص ٢١٤، وما بعدها.

٢٣- حسين نصيف «ماضي الحجاز وحاضره» ص ١٢٣.

٢٤- محمد المانع «توحيد المملكة» ص ٢٧٦، والزركلي، «شبه الجزيرة» ١/٤١٦، وانظر جريدة البلاد عدد ٤/١٢/١٣٧٤هـ، والمجلة العربية، عدد صفر ١٤١٣هـ، ص ١٣٦.

٢٥- جريدة أم القرى في عددها الصادر في ٤ شوال ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م ص ١ - ٢.

٢٦- جعلت إدارة الخطوط السعودية تابعة للوزارة.

٢٧- حسن سليمان محمود، «تاريخ المملكة العربية السعودية» ص ٩٧، وعبدالحميد الخطيب «الإمام العادل» ٣/٩٠، ٩١.

٢٨- الزركلي «شبه الجزيرة» ١/٩٩٣، ٩٩٤، ومحمد البديوي، المرجع السابق، ص ٢٧٤، ووزارة التجارة، المرجع السابق، ص ١٢٥ وما بعدها.

٢٩- جمع تويتشل هذا التقرير في كتاب ترجم إلى العربية باسم «المملكة العربية السعودية وتطور مصادرها الطبيعية» ترجمة شكيب الأموي وطبع بالقاهرة عام ١٩٥٥م.

٣٠- انظر بنواميشان «عبدالعزيز آل سعود» ص ٣١٧ - ٣٢٠، ط ١٣٨٥هـ.

٣١- الزركلي «الوجيز» ص ٢٤٣، ٣١٧ - ٣٢٠.

٣٢- انظر عبدالرحمن السويداء، «نجد في الأمس القريب» ص ٣٤٩، ٣٥٥.

٣٣- من هؤلاء أيضاً الرحالة الأجانب الذين جاؤوا إلى نجد مظهرين أنهم أطباء، ومخفين مهمتهم الحقيقية التي جاؤوا من أجلها، وذلك مثل داوتي الذي زار نجداً عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م وزاول مهنة الطب، انظر: Doughty, Op. Cit. p.369.

٣٤- انظر جريدة الأيام البحرينية، عدد ١٣٢٦ في ٨/١/١٤١٣هـ الموافق ٨/٦/١٩٩٢م، ص ٧.

٣٥- الزركلي، المصدر السابق، ص ٩٨.

٣٦- عبدالله الشبل، المرجع السابق، ص ٩٧.

٣٧- عبدالفتاح أبو علية، «الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز» ص ٩. وكان عدد العمال الأجانب بين الألفين والثلاثة آلاف عامل.

* صور الموضوع: أرامكو السعودية.

الرياض تتقلّد عق

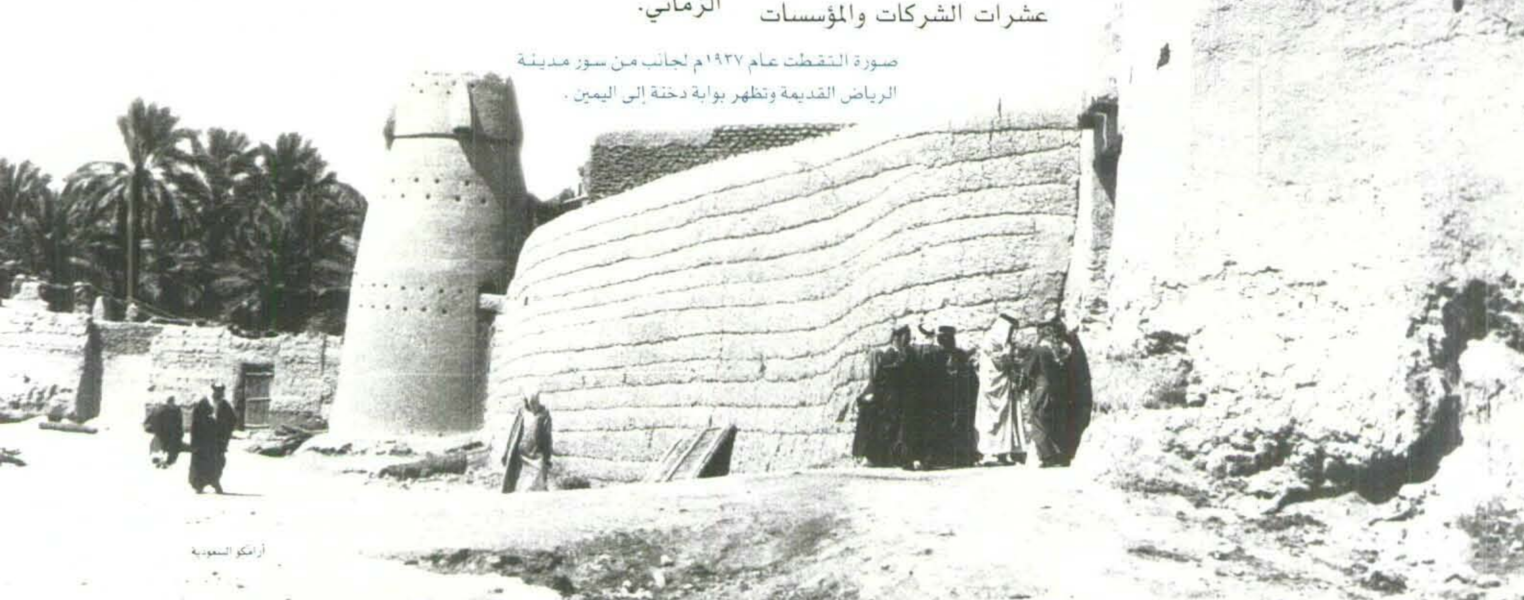
ونحن في طريقنا المؤدية إلى مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، الواقع في قلب مدينة الرياض، قال لنا مرافقنا، معتذراً، إننا سنتجول بين أركان وزوايا المركز ، الذي تزيد مساحته على ٣٧٥٠٠٠ متر مربع، على أقدامنا، فليس هناك من ممر سالك واحد يمكن أن تعبره السيارات، بل إن القوافل التي كانت تطوي البيد تحت أقسى لفحات الهجير في الزمن الغابر، غير قادرة على اجتياز السياجات الحديدية، والحفر الضخمة، والآليات والمعدات والرافعات التي تنتشر في جنبات وأنحاء موقع المركز.

كنا في منتصف شهر يونيه، وقرب منتصف النهار، ودرجة الحرارة تتجاوز ٤٣ درجة مئوية، وكان من الأسلم لنا أن نتحرك من أماكننا بدل التحديق باسترحام في الشمس العالية. وهكذا بدأت أولى خطواتنا داخل هذا المشروع. تركنا شارع الدلم وراءنا، ومضينا باتجاه جنوب المركز. كانت على يميننا بقايا سور متداع. بدا عدد من العمال منهمكين في إزالته، وأخذنا نخوض في أكوام التراب والنشارة والطين، التي خلّفتها عربات النقل والتحميل، ومعدات نقل الخرسانة ، والرافعات، وآليات اللحام والقطع والصهر.

كنا نجتاز بصعوبة عتبة إسمنتية إثر أخرى، وحاجزاً إنشائياً إثر آخر. وما أن قطعنا المسافة، بين قاعة العروض ومبنى المتحف الوطني، وكلها تحت الإنشاء ، حتى شعرنا أننا وسط صفوف من ورش العمل المكتظة التي يمكن للمرء أن يرى شبيهاتها في حواشي مدننا، فشتى الأعمال يجري إنجازها بسرعة عالية، والمقاول الرئيس، ومعه عشرات الشركات والمؤسسات التي تتولى أعمالاً جزئية، وضعوا خططهم وجداول أعمالهم المتشعبة والكثيفة، لكي يكون الموقع جاهزاً بحلول شهر شوال من عام ١٤١٩هـ، الذي يوافق مناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبدالعزيز مدينة الرياض والبدء بتأسيس المملكة العربية السعودية.

مضينا باتجاه مبنى المتحف الوطني، الذي تبلغ مساحته الإجمالية ٢٩٠٠٠ متر مربع، ويقع في الجانب الشرقي من المركز. وبين لغط عشرات العمال، وصرير آلات الثقب واللحام، وكتل الحديد والأخشاب والإسمنت المتناثرة على سطوح الأرضيات، فهمنا من مرافقنا أن المتحف قد صمم ليعكس تطور شبه الجزيرة العربية الطبيعي والإنساني والديني والثقافي والسياسي.

كان الهدف من إقامة هذا المركز الضخم في قلب الرياض، كما يشير عبدالرحمن السري، مدير التطوير العمراني والثقافي في الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، هو إعادة إحياء قلب المدينة. فرحيل مراكز النشاط التجاري والاقتصادي إلى شمال الرياض أوقف النمو الحضري الطبيعي لسكان المدينة القديمة، وحملهم على هجرها. ومشروع إحياء وسط المدينة، أو ما يسمى مشروع تطوير منطقة قصر المربع، يهدف إلى إعادة بناء اللحمة بين سكان المدينة وزوارها، وبين العناصر أو المفردات التاريخية التي تشدهم إلى روح المكان وبعده الزماني.



صورة التقطت عام ١٩٣٧م لجانب من سور مدينة الرياض القديمة وتظهر بوابة دخنة إلى اليمين.

دها الماسي

استطلاع : محمد غرم الله الدميني / هيئة التحرير

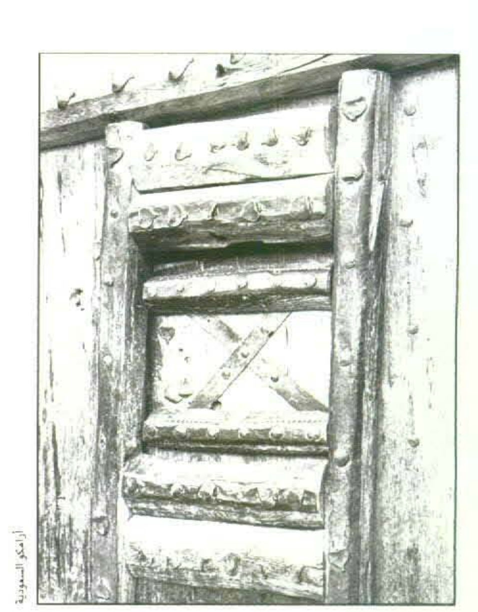


صورة نادرة للملك عبدالعزيز التُقطت في البصرة سنة ١٩١٦م .

ويستطرد عبدالرحمن السري قائلاً: إن التعاون مع إدارة الآثار والمتاحف قائم، وستشتمل قاعات المتحف على معروضات ومحتويات تمثل مرحلة ما قبل الإسلام، ثم الممالك العربية، وصولاً إلى العصر الجاهلي ثم مرحلة بزوغ الإسلام وانتشاره، ثم قاعة الإسلام والجزيرة العربية، التي ستشمل آثاراً من مدينة الربدة، وطرق الحج، وأنواعاً من الأسلحة الإسلامية، وشواهد القبور، وصولاً إلى نهاية الدولة العثمانية، ثم قاعة الدرعية التي تمثل الدولة السعودية الأولى، وقاعة التوحيد، وقاعة الحج والحرمين الشريفين، ثم قاعة تضم معروضات من المملكة والعالم الإسلامي.

وبما أننا نحوم حول تاريخ الجزيرة، وعلى الأخص تاريخ مدينة الرياض، فإن علينا تصفح كتب المؤرخين لنعرف كيف أصبحت مدينة «حَجْر» القديمة، قاعدة إقليم اليمامة، مدينة معاصرة تسابق الزمن، وواحدة من أكثر مدن العالم نمواً، تضاعف عدد سكانها عشرات المرات خلال حوالي نصف قرن، من عشرين ألف نسمة إلى حوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة، واتسعت مساحتها لتقفز من ثمانية كيلومترات مربعة في ستينيات القرن الهجري الماضي إلى حوالي ٨٥٠ كيلومتراً مربعاً في الوقت الحاضر.

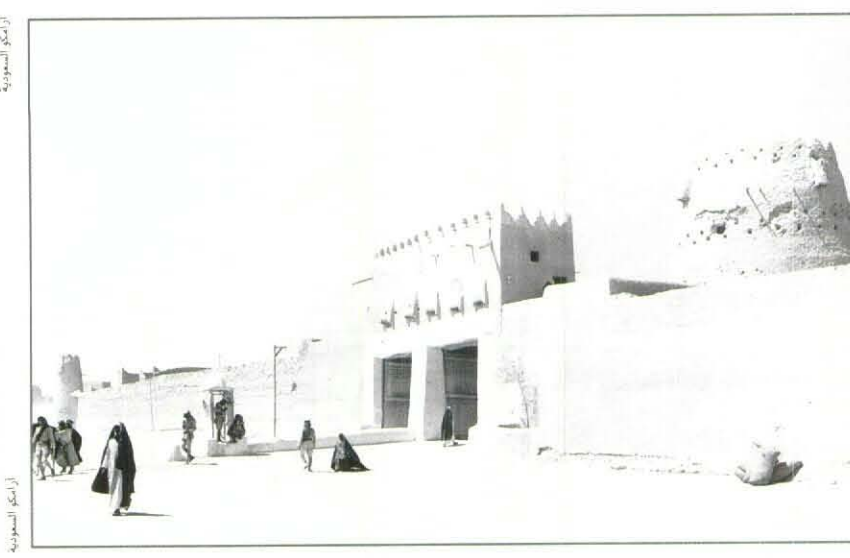
مدينة حَجْر



باب قصر المصمك المشهور، الذي ارتبط بواقعة استعادة الرياض.

تنسب مدينة «حَجْر» إلى عبيد بن ثعلبة الحنفي، الذي أتى اليمامة فوجدها خالية من سكانها من قبيلة «طسم»، التي فنى معظمها وتشتت بقاياها في القبائل الأخرى، فاحتجز فيها ثلاثين قصراً، وثلاثين حديقة، فسمي هذا الاحتجاز «حَجْراً». وإذا صدقت توقعات المؤرخين فإن حَجْراً القديمة كانت تقع بين واديي «الوتر»، وهو الوادي المعروف اليوم باسم «البطحاء»، الذي يخترق الرياض من الشمال إلى الجنوب، و «العرض» وهو الوادي المعروف باسم «وادي حنيفة».

كانت مياه هذين الواديين غزيرة، جعلت بلاد اليمامة واحدة من أخصب مناطق الجزيرة، وعلى جوانبها أقامت قبيلة طسم قاعدة ملكها وحصونها، كما أقامت قبيلة جديس حصونها هناك. ومن أحد تلك الحصون أبصرت «زرقاء اليمامة» التي ذهب اسمها مثلاً، وهي امرأة من جديس، عرفت بحدة البصر، الغزاة وهم جيش أحد ملوك اليمن الذين استجار بهم الطسميون ، فأنذرت قومها إلا أنهم لم



بوابة الثميري وهي البوابة الرئيسة لمدينة الرياض كما تظهر عام ١٩٤٧م.

صورة لقصر المربّع حين أصبح مركزاً للإدارات الحكومية عام ١٩٤٩م .

يصدقوها، فصبّحهم الجيش الغازي، وقضى عليهم، وقُتلت الزرقاء. ويرجح أن الملك الحميري «حسان بن أسعد أبي كرب» هو الذي أزال حكم الجديسيين، وبقي منهم شراذم اندمجت في القبائل العدنانية والقحطانية التي انتشرت في الجزيرة.

بقي حال «حَجْر» كذلك، حتى سكنها بنو حنيفة، قبل حوالي قرنين من بزوغ الإسلام ، وفي ذلك العهد ازدهرت مدينة حَجْر، واتخذها العرب سوقاً من أسواقهم، وأصبحت مقراً لولاة اليمامة، إلى أن أقدم أرقم بن عبيد ابن ثعلبة الحنفي على حرق منفوحة، بلاد بني قيس الوائليين ، فقام هؤلاء بحرق الشط، إحدى قرى حَجْر، وقد وصف الأعشى تلك الحادثة بقوله:

كأنّ نخيل الشّط غِبّ حريقهِ   مآتمُ سودٍ سُلّبت عِند مأتم

وقد غزا المدينة عمرو بن كلثوم التغلبي قبل الإسلام فهُزم وأُسر، ثم منّ عليه السحيميون من بني حنيفة فأطلقوه وأكرموا مثواه.

حجر عند ظهور الإسلام

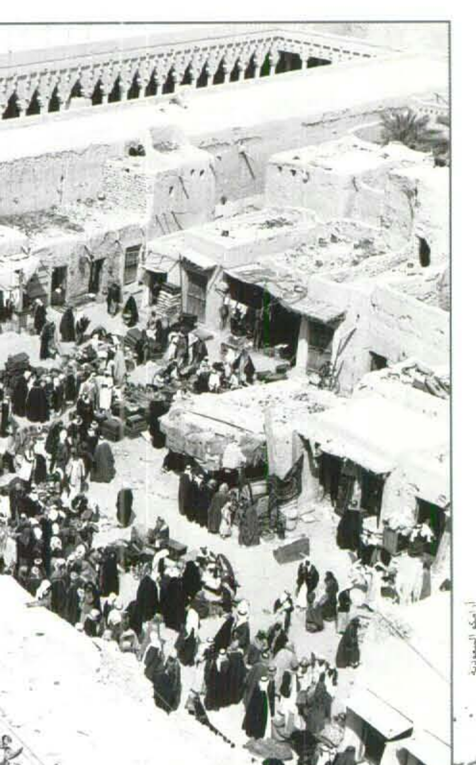
عند بزوغ رسالة الإسلام بعث نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم، إلى ملوك العرب يدعوهم إلى الدخول في الإسلام، وكان ثمامة ابن أثال الحنفي أحد ملوك اليمامة، قد ذهب إلى مكة معتمراً، وأعلن إسلامه، وبعد وفاة النبي ﷺ انقادت بنو حنيفة لمسيلمة، إلا أن ثمامة ثبت على إسلامه، وخرج من اليمامة وانضم إلى العلاء ابن الحضرمي، رضي الله عنه، في قتال المرتدين من أهل إقليم البحرين.

وطلب أبو بكر ، رضي الله عنه ،لاحقاً من خالد بن الوليد ، رضي الله عنه ، التوجه إلى اليمامة، فانضم إليه شرحبيل بن حسنة ، رضي الله عنه، وجيشه الذين سبق وأن أرسلهم أبو بكر لقتال المرتدين ، وانضم إليهم جمع من قبائل العرب ، فأصبحوا جيشاً ضخماً قوامه أربعون ألف مقاتل، وقد التحموا مع جيش مسيلمة في معركة عنيفة تدعى «وقعة عقرباء»، قتل فيها أكثر من عشرة آلاف رجل، وانتهت بمقتل مسيلمة.

وبقيت «حَجْر» في عهود الخلفاء الراشدين وعهد بني أمية قاعدة لبلاد اليمامة، وينتسب إليها شعراء مثل : جرير، وذي الرمة. ويجمع المؤرخون على أن الأخيضريين قد حكموا اليمامة واتخذوا «الخضرمة» قاعدة لحكمهم، حتى منتصف القرن الخامس الهجري، حين نشبت صراعات اندثر بعدها الحكم الأخيضري. ويقال أن زوال ذلك الحكم تم على يد القرامطة، الذي اتخذوا الأحساء مركزاً لدولتهم.

ومع توالي الفتن والقلاقل في الجزيرة ، إبان الخلافة العباسية، بدأ شأن مدينة «حَجْر» يقلّ ويضعف، حتى أصبحت قرى صغيرة متفرقة. وفي القرن الثاني عشر أطلق اسم «الرياض» على ما بقي من مدينة حَجْر، التي انحصر اسمها في بئر كانت تدعى «بئر حَجْر» ردمت فيما بعد، وحل محلها، حالياً ، جزء من شارع الملك فيصل (الوزير)، الذي يقع في قلب مدينة الرياض.

وفي عام ١٢٤٠هـ حاصرت قوات الإمام تركي بن عبدالله الرياض حتى طلب قائد حاميتها الصلح، فتم ذلك وأصبحت الرياض قاعدة للدولة السعودية الثانية، حتى مطلع القرن الرابع عشر





المدخل الرئيس لقصر الحكم كما يظهر عام ١٩٣٧م. وعبر هذه الساحة يتصل القصر ببيت المالية بجسر معلق.

أرامكو السعودية

جانب من مباني الرياض القديمة المبنية بالطين واللبن. يظهر في مقدمتها جانب من ساحة الصفاة حيث تحتشد جموع من المواطنين أمام بيت المالية.

الهجري. ثم أدى ضعف الدولة إلى انتقال الحكم إلى الأمير محمد بن عبدالله آل رشيد، الذي وقعت له معركة فاصلة في حريملاء مع الإمام عبدالرحمن بن فيصل وجيشه انتهت بانتصار ابن رشيد، واتجاه الإمام عبدالرحمن إلى مواطن قبائل آل مرة والعجمان القريبة من الأحساء. وقدمت الأشهر التي قضاها الملك عبدالعزيز آل سعود بصحبة أبيه -رحمهما الله- بين تلك القبائل تجربة ثمينة له، فقد اختبر عقلية البدو، وسبل معاشهم، كما علمته تجربة الصحراء مهارات التخييم، والتنقل، واقتفاء الأثر، وألفة الحياة البرية، واستخدامات السيف والخنجر والبندقية.

لم يكد يصلب عود عبدالعزيز حتى وجد نفسه في صحبة أبيه وحاشيته يغادرون مسقط رأسه، ويذرعون الصحراء، ضاربين في الآفاق، نائين عن أعين خصومهم، يلتمسون المؤازرة من القبائل المتناثرة في الصحراء. وبدأ عبدالعزيز يألف البادية ويجاري سبل العيش فيها، ووجد نفسه يدخل في المفاوضات، وينوب عن أبيه في المفاوضات مع الأتراك في الأحساء،



باعة ومتسوقون ازدحمت بهم سوق شعبية في الرياض قرب الجامع الكبير المميز بأعمدته ذات الطابع الإسلامي، وذلك سنة ١٩٤٩م.

ويرافق بعض أفراد العائلة إلى البحرين، ثم يعود إلى مضارب أبيه في الصحراء. وفي الكويت تجتمع الأسرة حيث استضافهم حاكم الكويت محمد آل صباح، وهناك قضى عبدالعزيز عشر سنوات من حياته، كانت المنطقة خلالها مليئة بالمناورات والمحاورات والأحداث، وحضر مجالس الشيخ مبارك آل الصباح، وهناك استمع إلى أحاديثه مع ممثلي الحكومات الإنكليزية، والروسية، والألمانية، والتركية.

لم يلبث عبدالعزيز أن جهز قوة لمقاتلة ابن رشيد، وعبر بها إلى الرياض وقرر مهاجمة حصنها «المصمك»، إلا أن انهيار مقاومة جيش مبارك الصباح في القصيم، حمل عبدالعزيز على التراجع والعودة إلى الكويت.

لم تكن العودة سوى تجديدٍ للعزيمة، فبمساعدة مبارك آل صباح جمع عبدالعزيز أربعين فرداً من أعوانه، واستأذن أباه الذي حاول ثنيه عن المغامرة، ومضى عبد العزيز ورجاله يقطعون الفيافي باتجاه الرياض، وأدركهم العيد في موضع يقال له «أبو جفان» على طريق الأحساء، ثم دخلوا موضعاً في شرقي الرياض يدعى «ضلع الشقيب»، استبقى فيه عبد العزيز عشرين رجلاً بقيادة أخيه محمد. وفي صبيحة يوم ٥ شوال ١٣١٩هـ (١٥ يناير ١٩٠٢م)، تقدم عبدالعزيز يرافقه عشرة رجال نحو قصر المصمك، الذي تعتصم فيه حامية المدينة، وهناك ترقبوا خروج عجلان عامل ابن رشيد على الرياض، وما أن خرج حتى حدثت مواجهة بينه وبين عبدالعزيز ورجاله، فحاول عجلان الهرب ولكنه قُتل على يد عبدالله بن جلوي ابن عم الملك عبدالعزيز. وبعد أن وقعت الحامية في قبضة عبدالعزيز بدأ ببناء سور يحيط بالمدينة، وما أن بدأ الأمن يغشى المدينة، حتى بدأت المنازل الصغيرة، والمساجد، والأسواق، والممرات تنهض وتتكاثر في جميع الجهات المحيطة بقصر المصمك.

قصر المربَع

تركنا الباحة التي تفصل بين جامع الملك عبدالعزيز، الذي صُمم بحيث ينسجم مع المحيط العماري حوله، وبين بعض المباني الطينية القديمة، التي سيتم الإبقاء عليها لكونها عناصر متحفية للمشروع، ودخلنا قصر المربع. تأملنا لبرهة باب القصر فوجدنا أن الزمن لم يقلل من متانته وشكله الزخرفي البسيط. كان الملك عبدالعزيز قد كلف حمد بن قباع ببناء قصر المربع، بعد أن أضحى قصر فيصل بن تركي (قصر الحكم) صغيراً نسبيا. وأحضر ابن قباع أشهر البنائين من سدير والقصيم، الذين بنوا قسماً من القصر بالطين، والآخر بالحَجَر والإسمنت.



أرامكو السعودية

صورة حديثة لقصر المصمك من الخارج بعد ترميمه، وفتحه للزوار.

وما أن عبرنا داخل بهو قصر المربع، حتى أطل علينا وجه لفحته رياح الصحراء وشمسها، واكتسى بفيض من البشر والحماس، إنه البنّاء المعروف عبدالله بن حامد، الذي عمل مع أقرانه في بناء هذا القصر قبل أكثر من خمسين عاماً. وقد ذكر لنا أن البناء تم على عدة مراحل، وأنهم واصلوا البناء حتى أثناء سكن الملك عبدالعزيز في القصر. لكنه يشير إلى أن المعاناة التي يواجهها اليوم هي عدم وجود العمالة المدربة على البناء بمواد الجص والطين واللبن والخشب، فبينما كان القصر عند بنائه يعج بالبنائين المهرة الذين جاءوا من المناطق المجاورة، ومن اليمن وغيرها، يفتقر المشروع اليوم إلى عمالة تمتلك القدرة على التعامل مع المواد والأدوات التي تُستخدم في مشروع ترميم هذا القصر. ويُعرف عن البنّاء عبدالله ابن حامد أنه من بين الأفراد القلائل الذين يحاولون مقاومة الزمن، وحماية مهنته النادرة بالفعل من الاندثار. ويتحدث الدكتور زاهر عثمان، مدير عام مؤسسة التراث، في هذا السياق بقوله: «لقصر المربع أهمية سياسية وعمرانية خاصة، لكونه قصر الملك عبدالعزيز، رحمه الله، والمقر الرئيس للحكم فترة من الزمن، ولكونه أول الإنشاءات العمرانية خارج سور مدينة الرياض القديمة، وقد كان اختيار موقع القصر ليكون نواة للوسط الثقافي لمدينة الرياض اختيارا موفقاً يؤكد أهميته الخاصة».

وقد قامت مؤسسة التراث بدراسة المواصفات الخاصة بتنفيذ عملية الترميم المعدة من قبل الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، الجهة المشرفة على تنفيذ مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، وتم البدء في التنفيذ من منطلق محاولة الحفاظ، ما أمكن، على النمط التقليدي للقصر، وتمت إعادة بعض الأجزاء التي تعرضت للتغيير خلال بعض فترات الاستعمال المتأخرة إلى ما كانت عليه في عهد الملك عبدالعزيز.

بحرٌ من أشجار النخيل

دعونا الآن نعود إلى عصرنا الحاضر فخلال تجوالنا داخل المدينة التاريخية، وفي المسافة بين المتحف الوطني، وقصر المربع في مدينة الرياض شاهدنا بئراً قديمة بنيت جدرانها الداخلية من الجص، ومع تغير البيئة المحيطة بها لم تعد مياهها تصلح للشرب، إلا أنها ستبقى في موضعها داخل المتنزه العام، وسيمتد منها جدول مائي يسير باتجاه جنوب المركز، ينتهي ببركة وحائط تنساب المياه على سطحه. وإذا اتجهنا إلى جنوب شرق المركز فسنجد برج مياه الرياض المعروف، وفي حديقته من جهة الغرب بدأ إنشاء واحة تدعى «واحة النخيل» مساحتها ٥٠٠٠ متر مربع، ستحتضن مائة نخلة تعبر عن الذكرى المئوية الأولى، وستصبح جزءاً من المتنزه العام في وسط المدينة، الذي خطط له ليصبح حدائق متعاضدة تتعانق فيها أشجار النخيل وشجيرات الظل والنباتات، والقنوات الطبيعية، والصخور، وتغدو متنفساً لأهالي المدينة. ولن تبتعد هذه الصورة الحديثة عما دوّنه الرحالة «بلغريف» في مذكراته عن الرياض، التي زارها عام ١٨٦٢م، ووصفها بأنها تبدو كبيرة، ومربعة الشكل، ومتوجة بأبراج عالية، ومحاطة بأسوار متينة، ذات كتل بنائية، وأسطح يعلوها قصر فيصل الضخم، ويحيط بالمدينة بحر مائج من أشجار النخيل التي تغطي البساتين الخضر لمسافة خمسة كيلومترات من الجهتين الجنوبية والغربية. ويعد هذا المنظر أكثر سعة ورحابة حيث تلم زاوية النظر بسهول فسيحة، وجبال منحدرة مع الجمع بين الجفاف، والخصب، والمواقع المأهولة، والأصقاع الخالية. ومعروف أن الرحالة «بلغريف» وضع مخططاً للرياض عدّ أساساً لكل مخططات المدينة التي وضعت بعده.

وذلك مثل إعادة الشُرف إلى المناطق المطلة على البهو الداخلي، واستبدال جسور خشبية ببعض الجسور الحديدية. وسيكون قصر المربع تحت مسؤولية دارة الملك عبدالعزيز التي تزمع استخدام أجزاء منه لأغراض متحفية. وقد شملت أعمال الترميم أعمدة القصر وجدرانه وسقوفه وأبوابه الداخلية والخارجية. وتمت الاستعانة بنجارين محليين وآخرين من دول عربية. ويضيف الدكتور زاهر عثمان قائلا: « لم تكن إعادة المبنى إلى شكله الحقيقي الأول سهلةً، فقد بحثنا عن كل الصور القديمة التي نشرت وحفظت في مراكز جمع الوثائق، والمكتبات، والمؤسسات الخاصة، وأرشيفات حفظ الصور المحلية والعالمية، وبعض مجموعات الصور التي يمتلكها أشخاص، كل ذلك بهدف إعادة تصميم المجالس والأروقة الداخلية، وفتحات الضوء في الجدران، والشُرف إلى وضعها الذي كانت عليه أيام الملك عبدالعزيز. وقد حرصنا على معرفة معلومات عن القصر من بعض من كانت لهم علاقة به في مراحل زمنية مختلفة. ورغم صعوبة ترميم بعض الجدران بسبب عوامل الزمن والتبدل البيئي، فقد حرصنا على استخدام نفس المكونات القديمة، وجلبنا التربة الطينية من بلدة «الوصيل» بالقرب من الرياض، وخلطناها بنفس الطريقة القديمة، وبحثنا عن خشب الأثل لاستخدامه في تسقيف وإصلاح بعض أخشاب السقوف المهترئه، وأعدنا تصميم شكل الشُرف لتبدو مشابهة لمظهرها القديم، وقد وجَّه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض، رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، بأن يتم نقل باب المدخل الرئيس لقصر المربع من الجهة الجنوبية إلى الجهة الغربية حيث موقعه الأصلي».

الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض

جانب من مجمع سويقة التجاري القريب من ساحة قصر المصمك التاريخي.

المئوية ، الحدث والاستعدادات

عرجنا في طريق عودتنا على مبنى دارة الملك عبدالعزيز، وهو مايزال، كغيره ، قيد الإنشاء، وسيقام على مساحة ١٢٠٠٠ متر مربع في موقع قصر الملك عبدالعزيز القديم، حفاظاً على قيمته التاريخية من الاندثار، وسيتم إعادة استخدام بعض العناصر العمارية من المبنى القديم كعناصر زخرفية في واجهات وأرضيات الدارة بشكلها الجديد. وقد تحدث إلينا الدكتور فهد بن عبدالله السماري، المشرف العام على دارة الملك عبدالعزيز، عندما زرناه في مكتبه ظهيرة يوم زيارتنا للمنطقة التاريخية، قائلاً: «الدارة مركز أبحاث متخصص في تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية، مع عناية خاصة بتاريخ الملك عبدالعزي -رحمه الله- وبما أن العمل يجري الآن

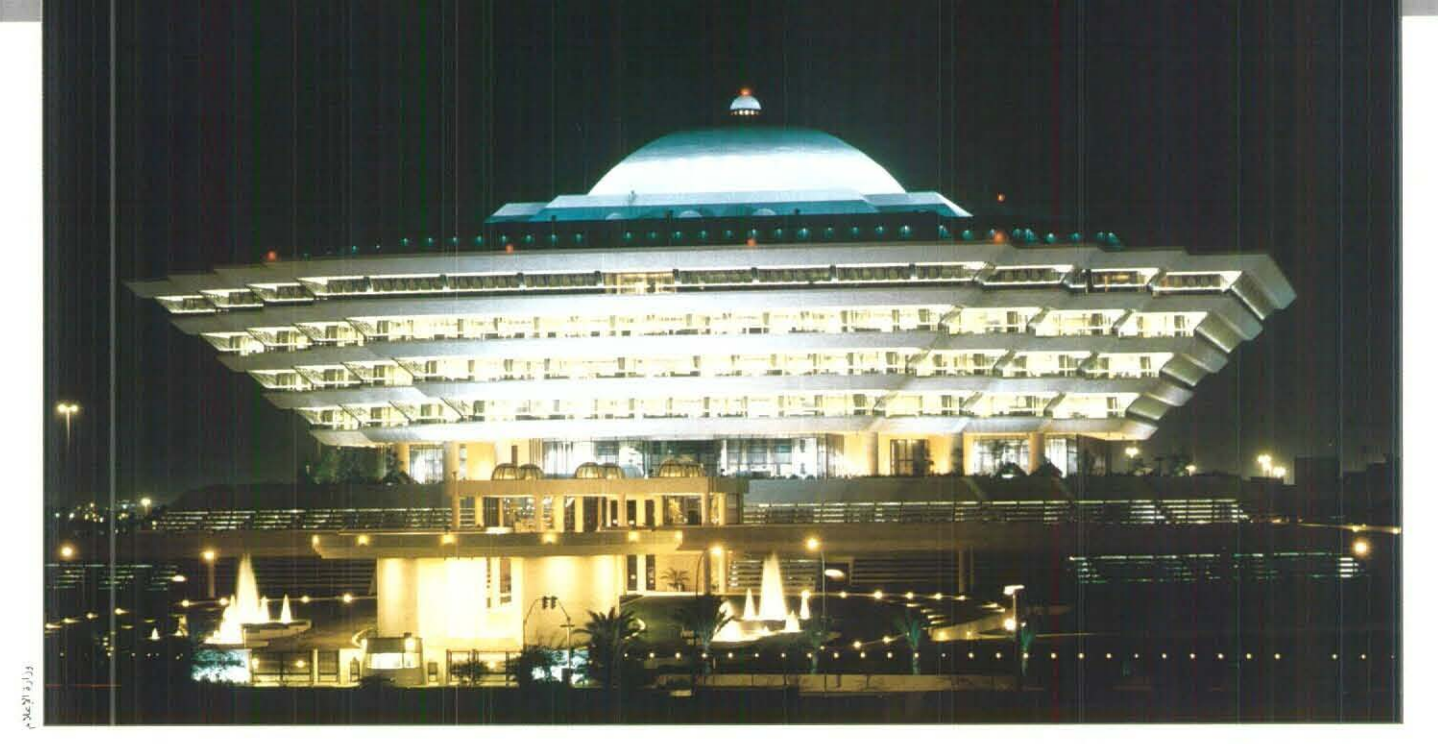
مئذنة جامع الإمام تركي بن عبدالله كما تبدو في الليل.



مستشفى الملك فيصل التخصصي، أحد المراكز الطبية المتقدمة في المملكة.

مستشفى الملك فيصل التخصصي

أرامكو السعودية



وزارة الإعلام

مبنى وزارة الداخلية في الرياض.

للاحتفال بالذكرى المئوية لتأسيس المملكة، فقد جمعنا كثيراً من الملاحظات والأفكار والمقترحات الداعمة لمشاركتنا بفاعلية في أعمال المئوية. وتمثلت أهدافنا في التذكير بحقب الدولة السعودية وتاريخها المتعاقب، وفي تجسيد أبعاد التطور الحضاري والسكاني والثقافي، التي حققها المواطن على أرضه، والمحافظة على الآثار والمقتنيات، والعلامات، والمواد، والأدوات الدالة على حياة الإنسان وتاريخه المتواصل في مناطق المملكة كافة».

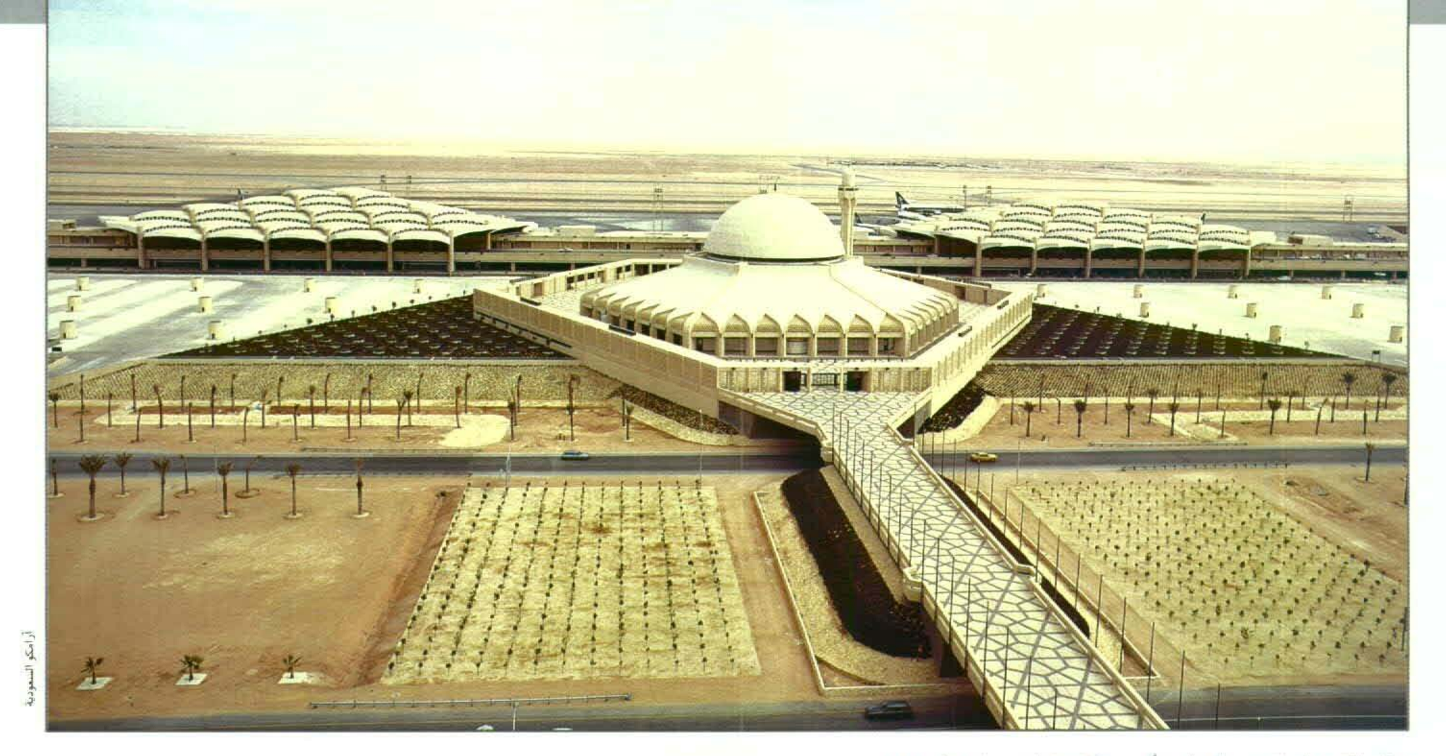
وضمن خطط الدارة تم نشر مجموعة من الكتب والأبحاث التي تدرس تاريخ المملكة وتاريخ الملك عبدالعزيز، وسير الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية في الحقب الماضية. وهناك عمل موسوعي يتم إنجازه على طريقة «أبرز الشخصيات» أو Who is Who يضم سيراً حياتية للرجال والنساء الذين شاركوا في تاريخ المملكة، إضافة إلى سرد متسلسل للأحداث والمناسبات التي جرت خلال مئة سنة (١٣١٩ - ١٤١٩هـ). وهناك عمل بحثي جغرافي يتابع رحلة الملك عبدالعزيز من الكويت إلى الرياض بالتفصيل، والمواقع التي مر بها هو ورجاله. ويجري الإعداد من جهة أخرى لعقد ملتقى دولي تاريخي وجغرافي وحضاري عن الملك عبدالعزيز يحاضر فيه أكثر من ٤٠٠ مؤرخ وباحث، ينعقد في أول أسبوع من الاحتفال بالذكرى المئوية. وتقوم الدارة الآن بإنجاز خمسة أفلام توثيقية عن حياة الملك عبد العزيز، وإعداد أطلس تاريخي عن الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، ومرحلة التوحيد المظفرة للجزيرة. ولن يقتصر الاحتفال على الرياض وحدها، فمدن المملكة الأخرى مشمولة بالاحتفال، ومن المقرر أن تشارك كل المؤسسات الحكومية والخاصة ببرامج وبحوث وأعمال تعكس ملامح كل منطقة. وتقوم الدارة الآن بتدوين التاريخ الشفهي عن الملك عبدالعزيز وجمع الصور، والوثائق، وأية مواد آثارية أخرى لإتاحتها للمؤرخين والباحثين المقيمين والزائرين».

وحين سألنا د. السماري عن أهداف الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة أجاب: «الهدف أولاً هو إبراز ما أنجزته قيادتنا الحكيمة في إرساء دعائم هذا الكيان الكبير، والتعبير عن تناغم عناصر التطور والعراقة في جوانب التنمية المختلفة، وإبراز دور الكفاءات البشرية الوطنية في النهوض بحاضر ومستقبل المملكة. والمناسبة لا تريد أن تلبي الحاجة الاحتفالية فقط، ولكنها تبغي حماية

أعمال الترميم والبناء في جانب من مركز الملك عبدالعزيز التاريخي بالرياض.



أرامكو السعودية



مطار الملك خالد الدولي بالرياض أكبر مطارات العالم مساحة عام ١٩٨٥م.

التاريخ وموقعه وضمان تأثيره في حياة الأجيال. وقد أردنا من جهة أخرى أن نبرز أنماط الحياة في المملكة خلال السنوات التي سبقت اكتشاف النفط، وأنماط الحياة التي تغيرت خلال السنوات التي أعقبت ظهور الثروة النفطية في البلاد، وما رافق كل ذلك من تبدلات في وجوه الحياة المختلفة».

تَشكُّل نواة مدينة الرياض

يشير المستشرق والمؤرخ الشهير عبدالله (هاري سانت جون) فلبي، إلى أن الرياض عام ١٩٠١م كانت محاطة بسور سميك من اللبن يصل ارتفاعه إلى سبعة أمتارٍ ونصف، مدعم بحصون وأبراج حراسة أغلبها أسطوانية الشكل. ويذكر أن جميع بوابات السور كانت تغلق خلال أداء الأهالي للصلاة، كما يتم قفلها مساء من بعد أذان العشاء حتى صلاة الفجر.

ومع مرور الزمن إزداد بناء البوابات والقصور والمساجد والممرات، ففي الجهة الشمالية من الرياض، انتصبت بوابة السويلم، وبوابة الظهيرة، وفي الجهة الشرقية، أقيمت ثلاث بوابات، أولاها وأشهرها: بوابة الثميري، وكانت هذه البوابة هي المدخل الرئيس للرياض، وكان الملك عبدالعزيز يدخل منها يومياً، وقد هدمت مع سور المدينة القديم عندما بدأ التوسع العمراني يزحف من المدينة. وقد أعيد بناء هذه البوابة ضمن برنامج تطوير منطقة قصر الحكم، في موقعها الأصلي وبأسلوب بنائها السابق. ويعد شارع الثميري الذي اقتبس اسمه من البوابة، أحد الشوارع التجارية النشطة في قلب المدينة، كما أنه المعبر الأساس الذي يقود الزائر إلى قلب منطقة قصر الحكم بجوامعها وأبراجها وساحاتها.

وفي الجهة الجنوبية كانت توجد بوابة دخنة، وتقع عند نهاية شارع دخنة، وتحديداً عند مجمع المحاكم الحالي، وبوابة أخرى هي بوابة منفوحة، وتقع على ميدان دخنة. أما من الجهة الغربية فتوجد بوابة المريقب «البديّع»، وتقع غرب مسجد المريقب في المقيبرة، كما توجد بوابة المذبح، وبوابة تقع قرب «حوش البرقية» كان بها هاتف يستخدمه عبدالمحسن البسام لنقل أخبار الحرب العالمية للملك عبدالعزيز.

أما المساجد فكان أكبرها جامع الإمام تركي ابن عبدالله، الذي تميز بطابعه العماري، ويصفه

حديقة الحيوانات بالرياض.

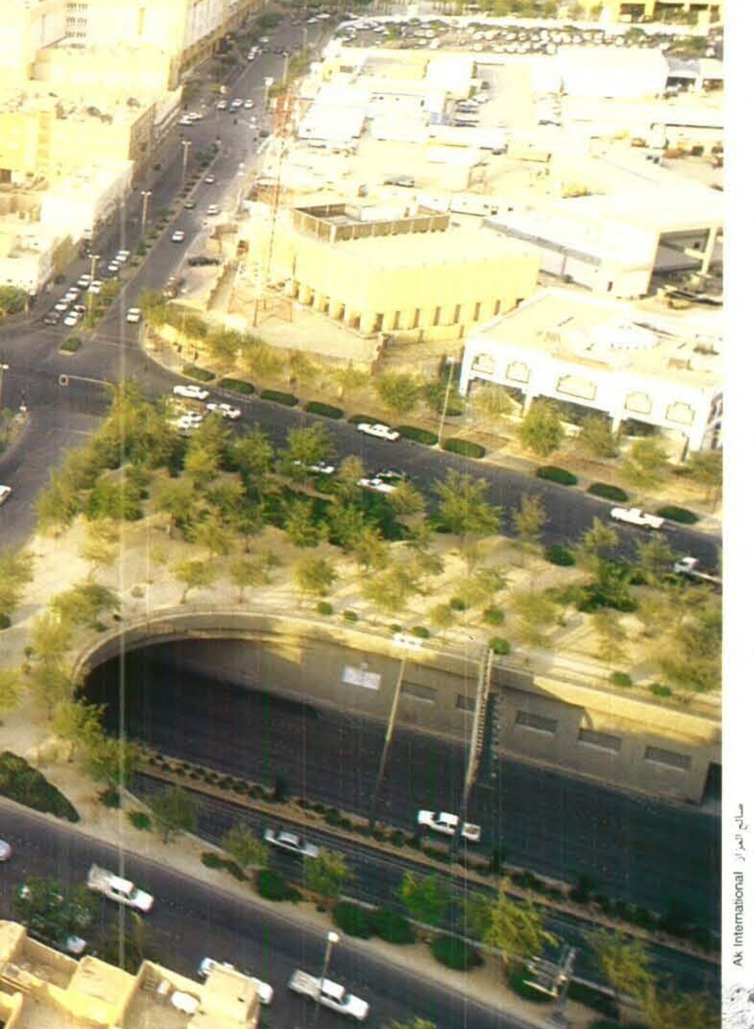


أمين الريحاني الذي شاهده عام ١٩٢٢م بأنه عمل عماري أصيل وبسيط في تصميمه، مهيب في تكوينه، بني بالحَجَر، وغطي بالجص، واتخذت سقوفه من جذوع النخيل، وأرضه مفروشة بالحصباء، وقد أعيد بناؤه ضمن مشروع تطوير منطقة قصر الحكم، على نفس موقعه السابق، على أرض مساحتها ١٦٨٠٠ متر مربع، وارتفعت على جانبي الجامع منارتان مربعتا الشكل استلهمت في تصميمهما روح العمارة التقليدية.



كان لجهود صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض الأثر البالغ في تحديث مدينة الرياض من جهة، والمحافظة على تراثها التاريخي من جهة أخرى.

أما أهم القصور التي شيدت في مراحل زمنية مختلفة من عمر مدينة الرياض فهو قصر الحكم. كان هذا القصر هو المقر الإداري والسكني للملك عبدالعزيز منذ فتح الرياض، ويصفه فلبي بأنه علامة بارزة في وسط مدينة الرياض، ويتصف ببساطته وفخامته، وقوة بنيانه، وارتفاع أبراجه، وخلوه من الزخارف مع مناعته. وقد أعيد بناء هذا القصر حديثاً بحيث يبدو على هيئة قلعة ذات أسوار، وأربعة أبراج ترمز إلى القوة والمنعة، ويفضي المدخل الملكي الخارجي لقصر الحكم إلى ساحة الصفاة، كما يضم مجلساً ملكياً، ومكتباً لخادم الحرمين الشريفين، ومكتباً لسمو أمير منطقة الرياض، ومجالس وقاعات وأجنحة أخرى.



كذلك حظي قصر المصمك بلمسات تطويرية وجمالية لإبراز مكانته التاريخية، فهو المعلم التاريخي المادي الذي اقترن بملحمة استعادة الرياض، التي تحققت على يد الملك عبدالعزيز، رحمه الله. ورغم تعدد الروايات حول بناء المصمك والمراحل التي تعاقبت عليه، والشخصية التي بُني في عهدها، فمن المرجح أنه بُني كمقر لحامية ابن رشيد في الرياض عام ١٣١٢هـ تقريباً، وبقي يؤدي دور الحصن حتى دخل الملك عبدالعزيز الرياض، حيث استخدم مستودعاً للذخيرة والأسلحة لمدة سنتين، ثم أصبح سجناً فيما بعد، وبقي كذلك إلى أن تحول إلى أثر تاريخي ومعلم تراثي يتوسط قلب مدينة الرياض. وضمن خطة تجديد منطقة قصر الحكم، أعدت دراسة خاصة بترميم المصمك وإعادة بنائه بحيث تتمثل فيه

صالح العزاز Ak International

وزارة الإعلام

استاد الملك فهد الدولي، الذي يشهد كثيراً من المنافسات الرياضية الكروية على المستويين الوطني والعالمي.

شهدت مدينة الرياض نهضة عمرانية شاملة، طالت جميع مناحي حياتها من مساكن وطرق وجسور وأنفاق ومساحات مزروعة.



جامعة الملك سعود، إحدى أعرق قلاع العلم والمعرفة في الرياض.

أرامكو السعودية

خصائص الطراز العماري السائد في المنطقة بدءاً بمساقطه الأفقية، وواجهاته، وأفنيته، وفتحات الإنارة والتهوية فيه، ومواد وطرق بنائه، التي اعتمدت على مادة الطين، ومنها تفرع البناء بطريقة العروق أو باستخدام اللبن.

وقد أحاطت بمنطقة قصر الحكم قصور أخرى مثل: قصر خريمس، ويسمى قصر المراكيب، ويقع على الصفاة أمام قصر فيصل، وقصر البديعة الذي كان مقراً لسكن الضيوف الأجانب، وقصر الشمسية، وكان سكناً لصاحبة السمو الملكي الأميرة نورة أخت جلالة الملك عبدالعزيز، وقصور الفوطة مثل قصر الضيافة، وقصور الأمراء، وقلعة المرقب، ومبنى رباط الأخوان، ويقع في دخنة، وقد تم تخصيصه لسكن طلبة العلم، الذين يدرسون على يد المشايخ.

يُذكر أن مشروع تجديد وسط المدينة القديمة الذي شمل تجديد قصر الحكم وجامع الإمام تركي بن عبدالله قد حاز على إحدى جوائز الآغاخان العالمية للعمارة عام ١٩٩٥م، وجاء في حيثيات الجائزة: «أن هذا المشروع يشكل بديلاً عمرانياً قوياً، أجاد إدخال مفردات العمارة المحلية والنمط التقليدي للعلاقات بين العناصر العمرانية في المباني الحديثة، وذلك عبر سلسلة من المساحات المفتوحة تضمنت ساحات وحدائق وأفنية تربط بين الجامع الكبير ومحيطه، واعتمدت على الجمع بين إعادة صياغة مفردات العمارة التقليدية لنجد، والاستعمال المبدع والمتزن لمواد البناء والتقنيات الحديثة لتشكل في الأخير مجمعاً معمارياً حديثاً يعكس روح العمارة المحلية الأصيلة».

أحياء الرياض الأولى

لم يكن في الرياض، كما ذكرنا، غير مبان قليلة يحيط بها عدد من البوابات، وتخترقها الساباطات والممرات التي تفضي إلى بعض الساحات. وقد لخص الرحالة «غيرالد دي غاري» مشاهداته عن الرياض وما حولها، إثر زيارته لها في منتصف الثلاثينيات بقوله: «أول ما يشاهد عند الاقتراب من الرياض، جبل أبو مخروق، وبرج البرقية، والخط الداكن لأشجار النخيل والسور، وتبدو المدينة محصّنة من جميع الجهات بسلسلة من التلال المحاطة بأحزمة من الرمال التي لا بد من اجتيازها». ومع مضي السنوات أخذت المدينة في التوسع البطيء، فتفرعت شوارع رئيسة من الصفاة والسوق إلى البوابات الرئيسة والأحياء السكنية، وأغلبها شوارع ترابية، ولم يكن بها غير طريقين معبدتين إحداهما تربط قصر المربع ببوابة الثميري، والأخرى هي شارع دخنة الذي رصف بالحجارة، وفرش بالإسفلت، وطرق أخرى مشابهة.

أما البنية العمرانية لمدينة الرياض فقد جاءت كمثيلاتها من المدن العربية الإسلامية من حيث نسب الفراغات، والكتل المصمتة، واتساع الشوارع، والأفنية الداخلية بالمنازل، كما صممت على هيئة كتل متراصة من المباني، تفصلها طرقات تضيق وتتسع حسب الحاجة، مكونة بيئة عمارية ملائمة لحياة الناس، وتحركاتهم، وأنماط معاشهم. وقد توزعت الأحياء الكبيرة في الرياض جنوبي قصر المربع وشرقه، وأهم تلك الأحياء حي الظهيرة، ويقع في منطقة صخرية مرتفعة، وحي الحلة ويقع بين الثميري جنوباً، ودخنة شمالاً وكان قلبَ مدينة الرياض المكتظ بالسكان الوافدين، إضافة إلى مجتمع العلماء والقضاة الذين كانت منازلهم عامرة بالدرس، وحي حلة الأجناب الذي كان يسكنه الضيوف الأجانب مثل فلبي، ومحمد أسد وغيرهم، وحي المعيقلية، وكان مركزاً لأصحاب الحرف، وبه مسجد قديم، وحي الوسيطي، ويقع في جنوب المدينة ملاصقاً لحي دخنة.

ثم توسعت المدينة لتنشأ أحياء أخرى مثل: حلة العبيد التي سكنها مماليك الملك عبدالعزيز، وسميت فيما بعد بحلة الأحرار، وحلة القصمان، التي سكن جلها أهل القصيم، وأحاطت بالمدينة أحزمة من النخيل التي كانت مملوكة لأسر معروفة في الرياض.

الرياض المعاصرة

المسافة الزمنية التي تفصل بين مشاهدتي الأولى لمدينة الرياض عام ١٩٧٥م، وهذه المرة التي أهبط فيها في



Ak International صالح العزاز

مطار الرياض لكتابة هذا الاستطلاع تزيد على ٢٠ عاماً. لم تكن المدينة قد اتسعت، وتشابكت طرقها، وتعاضدت مبانيها العالية. كان مطار الرياض القديم آخر المباني في شمال المدينة، وكانت منفوحة بمبانيها الطينية ومقاهيها وبعض المباني الحديثة هي آخر ما يراه المسافر وهو في طريقه نحو وادي ديراب متجهاً إلى الحجاز. وكانت محطة السكة الحديدية القديمة وحديقة الحيوانات، وربما ملعب الملز، آخر حدودها الشرقية. فيما كان شارع الناصرية وطريق الدرعية ثم حي البديعة أخر معالمها الغربية. أما الشوارع الرئيسة داخل المدينة فلم تكن كثيرة. هناك شارع المطار القديم الذي يمور بحركة دافقة من الحافلات والسيارات، وتنتشر على جنباته الوزارات والفنادق، والأسواق المركزية، والأبنية، وعلى امتداده في عمق المدينة ينهض شارع الملك عبدالعزيز (البطحاء) الشهير النابض بالحركة والناس والأضواء والمقاهي والمطاعم والبنوك والمكتبات والأسواق الشعبية، لكنه عرف أيضاً بازدحامه الشديد. وكان هناك أيضاً شارع الملك فيصل (الوزير) الذي يعج بالمحال التجارية الأنيقة، والمعارض الفخمة، والمتسوقين. ومن هذا الشارع يمكن الاتجاه غرباً إلى شارع الثميري حيث أرقى المحال التجارية والمعارض، ومنه إلى ساحة الصفاة الواقعة بين جامع الرياض الكبير (جامع الإمام تركي بن عبدالله حالياً) ومبنى قصر الحكم، ثم سوق المقيبرة


فناء داخلي في قصر المصمك تبدو فيه الأعمدة الحجرية، والسقوف الخشبية والأروقة المفتوحة لدخول الضوء الطبيعي.

(الديرة) التي تعج بأنواع السلع الشعبية كالبن والهيل والعود والتوابل والعطور والأواني الخشبية ودلال القهوة والملابس والمشالح والمصنوعات الجلدية والخواتم والقلائد والأساور والأقمشة والملبوسات الشعبية. كان هناك أيضاً شارع الستين في حي الملز، وشارع الخزان، وشارع الجامعة حيث تقع أغلب منشآت جامعة الملك سعود، وشارع المعذر حيث القصور الملكية، وقصور الأمراء.

اليوم، لم تعد تلك الشوارع تتردد على ألسنة الأهالي أو زائري المدينة وضيوفها، بعد أن توجهت الحركة التجارية إلى المجمعات الضخمة، التي نهضت داخل الأحياء الجديدة، أو على هوامشها، كما عتّمت أسماء الشوارع والأحياء الحديثة على كل ما سبقها إلى الدرجة التي يحتاج فيها الزائر إلى مرشد ليستدل إلى منزل قريب أو صديق أو مؤسسة أو مستشفى في أحد أحياء المدينة المتسعة الأرجاء.

كان نمو المدينة يتم على وتيرة سريعة، وأصبحت الرياض مركز استقطاب عالمي، سياسي واقتصادي وتجاري، تعقد فيها اللقاءات والمؤتمرات والندوات، ويتقافز عدد سكانها بين سنة وأخرى. ففيما كانت إحصائية فلبي أوائل القرن تشير إلى ١٥٠٠٠ نسمة، بلغت بداية السبعينيات حوالي ٧٠٠ ألف نسمة، مما أوجب تشكيل هيئة عليا لتطوير مدينة الرياض، برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير

تجميل مدينة الرياض بزراعة النخيل والأشجار، أضاف لمسة جمالية فريدة لعاصمة المملكة.



إحدى حدائق الرياض العامة كما كانت عام ١٩٦٤م.





أرامكو السعودية

جانب من الحي الدبلوماسي في الرياض.

سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض، وتم التعاقد مع مؤسسة استشارية عالمية، للقيام بإعداد مخططات مفصلة لتنظيم المدينة، وتحديد حاجاتها من المرافق العامة، وتقسيم الأراضي، وإيجاد الخدمات للسكان، وتخطيط الشوارع والساحات العامة، ووضعت خطة عشرينية لتطوير الرياض موزعة على فترات مدة كل منها خمس سنوات.

ويذكر مدير إدارة البحوث والدراسات في الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، عبدالعزيز آل الشيخ، أن الهيئة أعدت دراسات سكانية ومساحية لمدينة الرياض خلال العشر سنوات الأخيرة بهدف تأسيس قاعدة معلومات مفصلة عن سكان الرياض. تشمل مناطق الكثافة السكانية فيها، وحجم العمالة الأجنبية، والقدرات المعيشية المتباينة للسكان، والدخل العام. وتنبع أهمية هذه الدراسات أيضاً من واقع أن مدينة الرياض اليوم أكبر مدن المملكة، ومعدلات النمو فيها من أسرع معدلات النمو العالمية، كما أن الهجرة من القرى ومدن المملكة الصغيرة إلى الرياض للعلم والعمل، قد جعلت من الرياض مدينة شديدة الاتساع، وهو ما أدى إلى اندثار كثير من الآثار والعلامات العمارية الأساس فيها.

معالم اليوم

رغم الصعوبة التي تكتنف الحديث عن كل معالم المدينة ومظاهرها وخصائصها، فإننا سنضيف إلى بعض المعالم التاريخية، التي تحدثنا عنها آنفا، معالم حضارية وعلمية وعمارية تستوقف زائر هذه المدينة المتجددة.

هناك الحي الدبلوماسي، الذي أقيم بطراز معماري فريد على هضبة تشرف على مدينة الرياض، وعلى وادي حنيفة . وتثير التشكيلات الطبوغرافية الأرضية لموقع الحي الإعجاب، وهو يضم الآن حوالي ثمانين سفارة، ومناطق سكنية وخدمية. كما تنهض مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية التي أنشئت عام ١٣٩٧هـ بدور رائد في مجال مساندة البحوث والاستشارات العلمية في مجالات الهندسة والطب والصناعة والعلوم البحتة، وتصدر كتباً ومجلات منتظمة.

ويشغل مطار الملك خالد الدولي بنمطه العماري المميز مساحة ٣٠٠ كيلومتر مربع شمال مدينة الرياض، وقد صُمم وفقاً لأحدث مفاهيم تخطيط المطارات، ليحتضن ألوف المسافرين والزائرين، وهو الآن أكبر مطارات العالم مساحةً.

وتعد «مصفاة أرامكو السعودية في الرياض» أحد المشروعات الحيوية التي أقيمت على بعد ٢٥ كيلومتراً من مدينة الرياض، لسد حاجات المنطقة الوسطى من وقود السيارات والكيروسين وغاز البترول المسال ووقود الطائرات والديزل والإسفلت وغيرها .

وفي الرياض جامعتان هما: جامعة الملك سعود، وهي أول وأعرق جامعة سعودية، فقد أنشئت عام ١٩٥٧م، ويزيد عدد طلابها على ٣٠ ألف طالب وطالبة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، التي أنشئت عام ١٩٧٤م، وعدد طلابها قرابة ٢٠ ألف طالب وطالبة، يضاف إلى ذلك عدد من المعاهد المتخصصة ومراكز البحوث يبرز من بينها معهد الإدارة العامة، الذي تأسس عام ١٩٦٠م للنهوض بمستوى العمل الإداري بالبلاد، ومؤسسة الملك فيصل الخيرية التي تقدم المنح للباحثين والدارسين في ألوان المعرفة المختلفة، وتمنح جائزة الملك فيصل العالمية سنوياً لعدد من النابغين في حقول المعرفة المختلفة.

وتحتضن الرياض مكتبات مهمة تجمع خلاصة المعارف والثقافات الإنسانية الماضية والحاضرة، كما تجمع كل الآثار المكتوبة والمخطوطة وأشكال التعبير والتراث الشفهي في المملكة منها: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة معهد الإدارة العامة، ومكتبة دارة الملك عبدالعزيز، ومكتبات جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية.

كما تقوم في الرياض صروح طبية عرفت بتطبيقها لأحدث تقنيات الكشف والمعالجة الطبية من أبرزها: مستشفى الملك فيصل التخصصي، والمستشفيات العسكرية التابعة للحرس الوطني ووزارة الدفاع والطيران، ومستشفى الملك خالد لطب العيون، كما

يجري بناء مدينة الملك فهد الطبية لتضيف للرعاية الطبية لبنة جديدة.

وعلى أطراف الرياض ينتصب صرح رياضي أخّاذ هو استاد الملك فهد الدولي، الذي يتميز بروعة التصميم المعماري، والسعة التي جعلته يستوعب حوالي ٧٠ ألف مشاهد، وتعقد فيه الدورات الرياضية الإقليمية والعالمية.



شارع الملك عبدالعزيز (البطحاء) في الرياض.

(أرامكو السعودية)

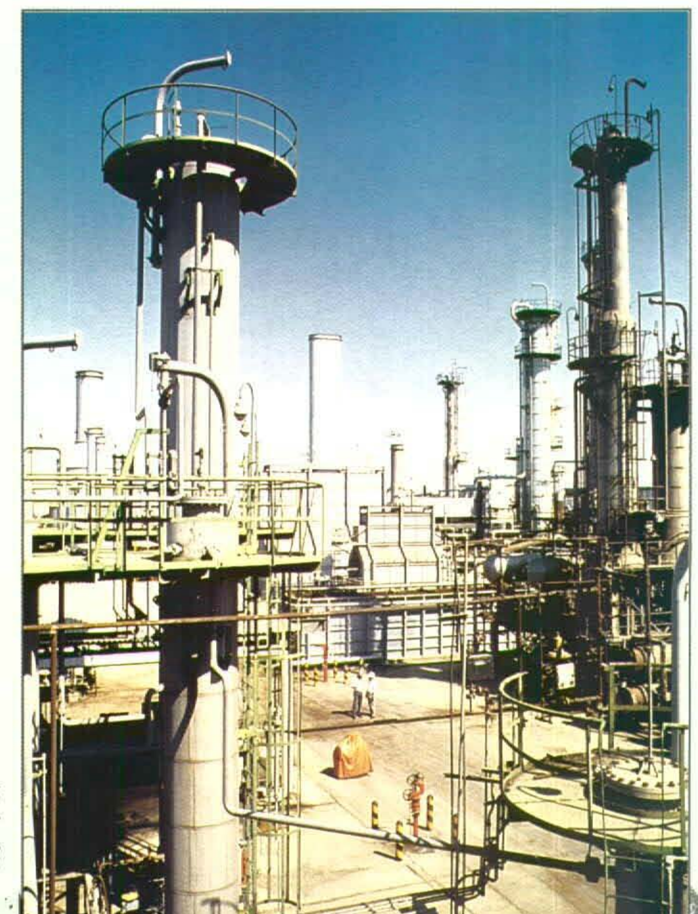
وتحتضن الرياض «المهرجان الوطني للثقافة والتراث»، الذي يرعاه الحرس الوطني وينطلق فوق أرض الجنادرية (٤٥ كيلومتراً شمال شرق الرياض)، مشتملاً على أسواق شعبية تعرض الصناعات والحرف اليدوية القديمة، وعروض شعبية وتشكيلية، ومحاضرات ثقافية، وأمسيات شعرية وفكرية يشارك فيها مفكرون وأدباء وعلماء ومثقفون من مختلف الأقطار.

أما الأماكن الترويحية في الرياض فأهمها: حديقة الحيوان الواقعة على شارع الأحساء في حي الملز، وقد صممت من حيث التهوية والتكييف والمسطحات الخضر بحيث تلائم البيئة الطبيعية للحيوانات الموجودة فيها، خاصة النادرة مثل غزال الوضيحي والمها.

وهناك حديقتان أخريان هما حديقة الفوطة الواقعة على شارع الأمير فيصل بن تركي، وحديقة أبو مخروق في الملز، وهي المكان الذي كان يتنزه فيه جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، كما توجد متنزهات مثل متنزه السويدي، جنوب غرب الرياض، ومتنزه العليا في حي العليا، الذي يعد مكاناً هادئاً للاستجمام والتنزه. وتجدر الإشارة إلى أن تشجير وتخضير الرياض لم يكن سهلاً، إذ يشير معالي الأستاذ عبدالله العلي النعيم، أمين مدينة الرياض الأسبق، إلى أن تحويل مدينة تقع في محيط صحراوي قاس يصل عمقه إلى ألف كيلومتر إلى مدينة خضراء كان تحدياً شاقاً، فالرياض القديمة كانت تعتمد على الآبار الجوفية السطحية، أما اليوم، بعد أن توسعت مساحة المدينة، وزاد عدد سكانها على ٣,٥ مليون نسمة، فلم يعد أمام الدولة سوى اللجوء إلى مياه البحر المحلاة لسقيا السكان، والاستفادة من مياه الصرف الصحي المعالجة في ري المناطق الزراعية داخل الرياض وحولها.

ويذهب معالي الأستاذ النعيم إلى أن تخطيط مدينة الرياض جاء مراعياً لمبدأ عدم مركزية الخدمات، وسهولة الحركة في الشوارع، وتوازن الكثافة السكانية في أحيائها، لتجنيب الرياض ما عانته المدن الكبرى في العالم من جوانب نقص في الإسكان والمرافق والخدمات الكهربائية والهاتفية، ومستويات النظافة. وعلى ضوء ذلك استحدث قسم لدراسات المدن الكبرى، مهمته دراسة مشكلات تلك المدن ومحاولة تلافيها في الرياض، وله اتصال دائم بالمعاهد والمراكز المتخصصة كمنظمة المدن الكبرى (متروبولس)، ومشروع المدن الكبرى في جامعة نيويورك.

جانب من مصفاة أرامكو السعودية في الرياض.



(أرامكو السعودية)

آخر الرحلة

عندما كانت السيارة تطوف بنا شوارع الرياض وأحياءها وساحاتها، وكنا نحاول تدوين بعض ملامح نموها الاجتماعي والعماري والاقتصادي، بمناسبة حلول الذكرى المئوية الأولى لتأسيس المملكة، ارتسم أمام عيني شريط من الخيالات والانطباعات ، بعضها يأتي من الزمن الماضي البعيد، وبعضها خلفته قراءاتي المكثفة أخيراً لما خطه يراع الرحالة والمستكشفين العرب والأجانب، خلال قرن عن الجزيرة العربية، عن الصراع السياسي فيها ، وعن الصراعات الأجنبية عليها، وعن المعارك والدماء التي سالت فوقها، ثم التضحيات التي قدمها الأجداد وأوصلت هذه الأرض الطيبة إلى مظلة التوحيد.

من الزمن البعيد تأتي نفحات الشعر ، وسير الشعراء الجاهليين ، وتنقلهم عبر ذرى اليمامة، وبين بطاحها ومناهلها، يرثون بعضهم، ويهجون أعداءهم، يشببون بالنساء فتنبذهم القبيلة، ويهيمون في الصحراء ، فلا تزيدهم المفازات إلا ولعاً بالشعر، وافتتاناً بالأنثى ، وشجاعة في الإقدام والمنازلة. في هذه الأنحاء عَبر عنترة، والأعشى، والشعراء الصعاليك، وعمرو بن كلثوم، وميمون بن قيس، ورؤبة بن العجاج، وجرير ، وغيرهم. وفي مكان قديم طمره اليوم شارع أو مبنى أومصنع، وقف الأعشى ذات يوم يصف حبيبته فيقول:

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مرّ السحابة لاريث ولاعجلُ

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت ... كما استعان بريح عشرق زجلُ

ليست كمن يكره الجيران طلعتها ... ولاتراها لسر الجار تختتلُ

يكاد يصرعها لولا تشدّدها ... إذا تقوم إلى جاراتها الكسلُ

أما من الزمن القريب فتنثال أمامي صور الرحالة والمستكشفين والسياسيين الذين جابوا الجزيرة من شمالها حتى جنوبها، ومن شرقها حتى غربها، مشياً على الأقدام فوق الرمال اللاسعة، أو محمولين فوق ظهور الإبل، يقتلهم العطش والمرض والوحشة، ويصبحون طرفاً في نزاعات القبائل.

ما الذي يدفع المقيم السياسي لحكومة بريطانيا في الخليج ، لويس بلي، عام ١٨٦٥م، إلى الذهاب إلى الرياض، ليعقد معاهدة مع الإمام فيصل بن تركي، في ذلك الزمن الذي تقاس فيه المسافة بين مناطق الجزيرة بالأيام؟ وما الذي يحمل المعتمد البريطاني وليام شكسبير على التعرض لنيران مدافع ابن رشيد في حربه مع الملك عبدالعزيز ليسقط قتيلاً في جراب عام ١٩١٥م؟ وكيف قضى عبدالله فلبي، إثر قدومه للرياض في ١٧ أكتوبر ١٩١٥م، ما ينيف عن أربعة عقود، باحثاً ومدققاً في كل أحوال سكان الجزيرة وأنماط عيشهم، وواصفاً جغرافية البلاد وخصائصها الجيولوجية وملامحها الخاصة؟ وكيف تكبد الرحالة والمؤرخ الشهير أمين الريحاني المشاق الصعبة ليكتب كتبه المرجعية عن قلب جزيرة العرب، وفصول كتابه الممتع «ملوك العرب»؟ وكيف اقتحم المصورون الأوائل أمثال: الألماني كارل رسوان ، والبريطاني جورج ريندل، والبريطانية غيرترود بيل، والبولندي محمد ليبولد فايس، ومعهم أيضاً فلبي وشيكسبير ، بمعداتهم البسيطة ، حواجز الأعراف والتقاليد الاجتماعية ليلتقطوا صوراً نادرة، أصبحت فيما بعد تاريخاً مصوراً لمظاهر الحياة الصعبة، وسبل العيش القاسي التي اكتنفت سكان الجزيرة عشرات السنين؟

مثل هذه الأسئلة وغيرها تضفي على مدينة الرياض، وهي تحتفل بالذكرى المئوية الأولى ، مزيداً من السحر والعبق التاريخي، والثقة بالعبور إلى القرن الحادي والعشرين. ■

أصبح مهرجان الجنادرية ملتقى سنوياً يرتاده الحرفيون، وأصحاب المهن التقليدية ليعرضوا منتوجاتهم وأدوات صناعتهم، كما يلتقي فيه المفكرون والأدباء لتدارس شؤون الثقافة والفكر.

المراجع

١- بلي، لويس، رحلة إلى الرياض ، ترجمة وتحقيق، د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، ود. عويضة متيريك الجهني، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٩١م.

٢- الجاسر ، حمد ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٦٦م .

٣- الموسوعة العربية العالمية ، ج١١، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٩٩٦م.

٤- الحصيّن، محمد عبدالرحمن، البنية العمرانية لمدينة الرياض في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، ١٩٩٧م.

٥- مكلوغلن، لزلي، ابن سعود: مؤسس مملكة ، ترجمة محمد شيّا ، بيروت ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٥م.

٦- فيسي ، وليام، غرانت، جيليان، المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين، الرياض، مؤسسة التراث، ١٩٩٦م.

٧- الريحاني ، أمين، ملوك العرب، بيروت ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م.

٨- كتيبات عن تطوير مناطق قصر الحكم، وقصر المربع، والمصمك، من إصدارات الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

٩- مجلة القافلة ، عدد جمادى الأولى ١٣٨٨هـ ، وعدد رجب ١٣٩٥هـ، وعدد ذي الحجة ١٤١٧هـ.

١٠- كتيبات إعلامية صادرة عن وزارة الإعلام في المملكة.

١١- مجلة البناء، عدد سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٧م.

١٢- جريدة الحياة ، الأعداد المؤرخة ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ ديسمبر ١٩٩٦م.



الملك عبدالعزيز آل سعود

في مرآة الشاعر خالد الفرج

بقلم: جمال عبدالجبار علوش



برزت في التاريخ أسماء كثير من الشعراء لازموا ملوكاً أو أمراء أقوياء، وسجلوا بريشة الشعر وقائعهم وانتصاراتهم، وأبدوا بشيء من المبالغة المسوغة إعجابهم، وانبهارهم بعبقرية وحكمة وشجاعة الملك أو الأمير الممدوح.

ليس بمقدور أحد تجاهل الصدق المعنوي والفني في مدائح أبي تمام للخليفة المعتصم الذي كان شخصية قيادية وحربية تتمتع بقدر وافر من الحنكة والدهاء والصلابة.. وما حققه من انتصار باهر فاق كل التوقعات في موقعة «عمورية»، جدير بأن يخلد في ملحمة شعرية كالتي نظمها أبو تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب

ولا يستطيع أحد أن يغض الطرف عن مدائح المتنبي المشهورة للأمير سيف الدولة الحمداني حامي الثغور من هجمات الروم وأطماعهم. فقد كان المتنبي ملازماً لسيف الدولة في حله وترحاله، ومشاركاً له في معاركه، وكان يبصر عن كثب أفعال الأمير المذهلة في الأعداء، ويراه كيف يتقدم جنده ويخاطر بحياته، ليحثهم على القتال، ويستثير فيهم العزيمة والاستبسال. هذه النقطة شغلت ذهن المتنبي طويلاً، وخلقت في داخله إعجاباً لا مثيل له لأميره الرمز، يقول:

هل الحدث الحمراء تعرف لونها
وتعرف أيّ الساقيين الغمائم
وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم

وفي عصرنا الحديث، تطالعنا مواقف مشابهة لشعراء فحول مع ملوك أو زعماء أنتجت الكثير من القصائد الرائعة الراصدة للمنجزات والوقائع التي حققها أولئك الرجال العظام. فمنذ إطلالة عصر النهضة، راح الشعراء يتلفتون حولهم، ويبحثون عن القائد المنقذ الذي يتوسم فيه أن يعيد مجد العرب، وانتصاراتهم، ويحقق الأمل المنشود في إعادة الدولة الواحدة القوية، وتأتي ملازمة الشاعر الكويتي خالد محمد الفرج لجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - في المقدمة، نظراً لما أنتجته تلك الملازمة الخصبة من قصائد رائعة تسجل بأمانة دقائق تفاصيل حياة الملك الراحل عبدالعزيز.

حياة خالد الفرج

هو خالد محمد الفرج، من أبناء الكويت، ولد فيها ونشأ في بيت موفور الجاه والنعمة، وتهيأت له فرصة التعلم والتحصيل التي حرم منها أقرانه، وقد هيأ له أهله مربين ومدرسين قاموا بتعليمه وتنشئته تنشئة ثقافية عالية، ليلتحق بعدها بالمدرسة المباركية التي أصبح بعد سنوات، وبسبب نبوغه، مدرساً فيها، ثم تابع التحصيل والدرس بنفسه، تدفعه إلى ذلك غريزة ملحة وتواقة للمزيد من الاطلاع والمعرفة.

وفي سنة ١٣٣٦هـ، غادر الكويت إلى «بومبي» في الهند من أجل التجارة، فطاب له المقام هناك بعد أن وجد عملاً محترماً. وسرعان ما تعلم الإنجليزية والهندية، ليعود بعدها إلى البحرين ويستقر فيها ردحاً من الزمن خاض خلاله نضالاً صعباً ومريراً مع الإنكليز. ثم ارتحل بعد ذلك إلى المملكة العربية السعودية، والتقى الملك عبدالعزيز آل سعود، الذي رحب به أطيب ترحيب وأكرم وفادته وولاه بلدية الأحساء، ثم بلدية القطيف، وأصبح بعد ذلك مشرفاً على الإذاعة السعودية، ثم انتقل إلى الدمام واستقر فيها وأسس «المطبعة السعودية». ولقد ذاع صيته في أقطار الجزيرة فتقرب إليه الأدباء والشعراء وأصحاب الأمر فيها. كما اشتهر بلقب «شاعر الخليج» الذي أطلقه عليه الأستاذ محمد علي طاهر، نظراً لما يتمتع به من مواهب سواء في شعره أو نثره المنشور في جريدة «الشورى». وقبيل وفاته بسنتين، انتقل

إلى دمشق، وعاش فيها فترة غير مثمرة، رغم أن دمشق ملهمة الشعراء، والسبب معايشة الشاعر للمرض ومعاناته من أوجاع حادة في المعدة . ولكن دمشق أبت إلا أن يكون لها نصيب دافئ وخالد في ألق الشاعر، فاحتضنت بكل الحب ديوانه الأول وأخرجته إلى الوجود، وكان ذلك عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م. وفي ربيع الآخر من العام نفسه، توفاه الله في لبنان على أثر قرحة في المعدة.

ديوان خالد الفرج

جاء الديوان في خمسة فصول، كان أولها في «السيرة النبوية»، حيث تناولت القصائد، وبأسلوب ملحمي، سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، وجهاده في سبيل إعلاء كلمة الحق ونشر الدين الإسلامي الحنيف، وما لاقاه في سبيل ذلك من متاعب ومصاعب. أما الفصل الثاني فكان في «تاريخ آل سعود». وخصص الفصل الثالث «للمناسبات والمراسلات»، أما الفصل الرابع فكان «للشخصيات»، في حين خصص الفصل الخامس «للشؤون الدولية والعربية». وتميزت قصائد هذا الفصل بالطابع الساخر الذي اشتهر به الشاعر الفرج الذي عاش في عصر مضطرب كثرت فيه المؤامرات والدسائس على الأمة العربية، فكان يعالج الأحداث الطارئة بتهكم لاذع وسخرية مضحكة سواء أكان الأمر يتعلق بالشؤون الدولية أم العربية. وهناك الملحق الذي ضم قصائد تتعلق بمناسبات حدثت أثناء وبعد طبع الديوان فأفردت في جزء خاص وألحقت بالديوان، ويمكن إدراج هذه القصائد كلها في فصل الشؤون الدولية والعربية.

تاريخ نجد

«تاريخ نجد» قصيدة ملحمية طويلة نظمها الشاعر على حلقتين، تناول في الأولى موضوع مدح الملك عبدالعزيز ووصف محتده الصافي ونصرته للحق واستعادته لمناطق المملكة ومواقفه الصلبة مع الحسين ومن مؤتمر الكويت، وتختتم الحلقة بفتح الحجاز. يقول الشاعر في البداية مخاطباً جلالة الملك :

إلى مجدك العلياء تعزى وتنسب
وفي ذكرك التاريخ يملى ويكتب
وفي عدلك الشرع الشريف ممثّل
وفي حكمك الأمثال تتلى وتضرب
ولم يبق للإسلام غيرك ناصر
يؤيّده في الله يرضى ويغضب

ثم ينتقل ليؤكد الحقيقة الساطعة، ونبل المحتد ورفعة البيت الذي ينتمي إليه الملك عبدالعزيز:

نمتك جدود من ربيعة أصلهم
بهم فخر الحيان بكر وتغلب
أساطين مجد من سعود بن مقرن
إذا مات منهم طيّب جاء أطيب
محمد عبدالله تركي فيصل
ومن عابد الرحمن مجدك أعقبوا

ويتابع الشاعر بعد ذلك، وبالنفس الملحمي ذاته وقائع الحلقة بادئاً من الأب الأول محمد بن سعود وانتصاراته، ومارّاً بإمامة فيصل، ومنتهياً بعهد جلالة الملك عبدالعزيز واستعادته للرياض والأحساء والحجاز. أما الحلقة الثانية من قصيدة «تاريخ نجد» الملحمية، فتتناول الصفات الماجدة في خُلق الملك، ثم الإصلاحات الداخلية، وحروبه مع أعدائه وخصومه ثم الوقائع التي خاضها الملك ضد أعدائه. يقول الشاعر مأخوذاً بالصفات الجليلة للملك:

فعالك تستهوي القلوب فتطرب
فيعرب عنهنّ اللسان فيطنب
وفيها من الإلهام للشعر مصدر
غزير وروض للأناشيد مخصب
فأنت مثال للكمال مجسم
تذل لك الأقران قهرا وتجذب
وأنت بميدان السياسة سابق
متى جاءك الأقطاب منهم تكهربوا
فهم أكبروا منك الصراحة والمضا
ومن ذلك الإكبار هذا التأدب

القلب الكبير

ويحرص الشاعر على تسجيل كل حادثة تظهر جمال صفات الملك عبدالعزيز آل سعود وتواضعه وتعاطفه مع الرعية وتألمه لما يحل بها من أرزاء . ففي أوائل شعبان سنة ١٣٥٤هـ يموت حاكم الأحساء الأمير عبدالله بن جلوي، فيغادر الملك إلى الأحساء لمواساة أبناء المرحوم وآله. فيقول الشاعر مكبراً هذا الموقف :

الله أكبر ما أسرّا
أن نشهد الملك الأغرّا
ونقبّل الأنف الأشم
من العلا حسباً وقدْرا
عبدالعزيز بن السعو
د، وحسبه عن كل أطرا
بالسيف شيّد مجده
وعلى دعائمه استقرا
وإذا يُعدّ الأعظمو
ن نراه فوق الكل وترا
أبقاك ربي للعلى
ركناً وللإسلام ظهرا

الملحمة الذهبية

وهي قصيدة ملحمية أخرى نظمها الشاعر بمناسبة العيد الذهبي لتمام

خمسين سنة على استعادة الملك عبدالعزيز آل سعود مُلك آبائه ابتداءً بدخوله الرياض في ٥ شوال سنة ١٣١٩هـ. وتعد هذه القصيدة من غرر القصائد التي تسجل بصورة جلية كل دقائق وتفاصيل الوقائع التي خاضها الملك ضد أعدائه إلى أن تحقق له ما أراد من استعادة الملك وعودة الاستقرار والطمأنينة للبلاد.

ولقد جعل الشاعر قصيدته في خمسة عشر مقطعاً، يرصد كل مقطع منها فترة معينة، يحرص الشاعر على أن يؤرخها، ويحصر فترة امتدادها بالأرقام، وقد يختلط الزمن عنده، فيقدم ويؤخر في أزمنة بعض المقاطع، وذلك لغايات بنائية في الرواية الشعرية. فهو يبدأ بهجوم الملك ورجاله على الرياض واستعادتها وهزيمة أعداء الملك (١٣١٩ - ١٣٢٤هـ):

في ساعة سعد السعود قرانها
أزفت لمجد في (الرياض) أثيل
وافى فتى الفتيان يقدم جمعه
بكثير عزم، في الرجال قليل
فأذاق (عجلاناً) بضربة ثائر
موتاً عجولاً من يمين عجول
وأعاد كيد الغاصبين بنحرهم
بوقائع غرّ ذوات حجول
وغدا (ابن متعب) متعباً في أمره
متصلباً في كبرياء ذليل
فسقى بكأس طالما أسقى بها
حتى ارتوى من كف عزرائيل

ولكن الخطر لم يتوقف، وأنّى للفارس الذي اعتاد المعارك أن يعرف الراحة، و«الحسين» قد وافى جيشه من الغرب، والجنوب يلتهب، والقصيم تعمها الفتنة ويرفرف في أرجائها الشر. أمور جسام، ولكن من لها غير القائد الفذ الذي لاترهبه الصعاب ولا ترده الأهوال:

فرمى المغامر في المخاطر نفسه
بشديد عزم للصعاب وصول
كالعارض الهطال أطفأ نارها
بمواطر ورواعد وسيول
لم يذكر التاريخ إلا جده
(تركي) فمن شبه له ومثيل

ويتابع الشاعر التأريخ والرصد، فيصف هجوم الملك ورجاله على الأحساء ليلاً وفتكه بالترك المرابطين فيها وهرب ما تبقى منهم عن طريق البحر، ثم يصف هزيمة (سعود بن الرشيد) الذي لم يتعظ بقتل أبيه، ثم ينتقل إلى مسألة تتعلق بأهم خطوة قام بها الملك. وهي توطين البدو:

وأذكر له ما لم يسطر مثله
قلم - من التاريخ - في تسجيل
تحضيره البدو الجفاة وقلبه الـ
بيداء من قفر إلى مأهول
بنوا المساكن في المدائن والقرى
تؤوي من (الاخوان) كل قبيل
قد لمّ شملهم وآخى بينهم
إذ جبّ كل ضغائن وذحول
وغدوا جنوداً أقوياء كأنهم
بالنصر تحت لواء جبرائيل

ويعد المقطع الخامس عشر والأخير من الملحمة أطول المقاطع وأهمها، وهو يؤرخ للفترة التي تمتد بين ١٣١٩ - ١٣٦٩هـ، ويخصصه الشاعر للحديث عن مجمل سياسة الملك الداخلية وإصلاحاته في البلاد، وإعماره لها ورقيه بها، وجعلها دولة تفاخر بتطورها وإنجازاتها واستقرار الأمن فيها:

هذي سياسته، وهذا بأسه
أما الخصال فأفعل التفضيل
والأمن في (أرض الجزيرة) شامل
من فوق (شعب) بالهنا مشمول
جاء البلاد يسوسها ببراعة
مثل الطبيب يجس نبض عليل
فإذا الصحارى المقفرات مدائن
بدساكر ومصانع ونخيل
وإذا المدارس كالمساجد كثرة
لطهور روح أو غذاء عقول
وجرت شرايين الحياة لجدّة
فربت ربوعاً بعد طول محول

النبأ العظيم

وتألم الشاعر حين طرق سمعه انتقال الملك عبدالعزيز إلى جوار ربه بعد أن خاض حياة حافلة بالنضال والإنجازات والتطلع والتعب، وبعد أن أعاد الوحدة والأمان والاستقرار لربوع الجزيرة، وغرس حبه الكبير فيها نبتة صغيرة، ورعاها فنمت وسمت وزهت وأتت طيب أكلها وفيئها، فقد رحل الملك المؤسس لملاقاة ربه راضياً مطمئناً بعد أن رأى الجزيرة تحت راية واحدة خفاقة وعالية. وهنا تتألم روح الشاعر لفراق مليكه وحبيبه وجليسه، فيقول:

أمم البسيطة نكّست أعلامها
مثل القلوب إذا شكتْ آلامها
حزناً وإكباراً لذكرى راحل
ملأ البلاد جنوبها وشمالها
وتساءلت شمس الشروق وقد رأت
سحب الأسى: ماذا أثار قتامها
وتساءلت كل البروق بلهفة
ما للإذاعة أسكتت أنغامها ؟
رجل قضى، فبكى الوجود لفقده
ثكلت به دنيا الكرام أنامها



جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - على ظهر أول ناقلة حملت الزيت السعودي إلى الأسواق العالمية عام ١٩٣٩م.

تطور الصناعة البترولية
في المملكة العربية السعودية

إعداد: علي حسن المرهون / هيئة التحرير

واكبت صناعة البترول في المملكة، جنباً إلى جنب، مسيرة نشوء الدولة السعودية الثالثة. وبروزها ككيان سياسي جديد، على المسرح الدولي، في القرن العشرين. فلقد أدرك الملك المؤسس عبدالعزيز عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - بثاقب بصره، وهو ما يزال في طور تأسيس المملكة ولمّ شمْلها، أهمية وجود مصدر اقتصادي يدر دخلاً ثابتاً لبناء أركان الدولة الفتية وتوطيد أمنها، وتهيئة التربة المناسبة للاستقرار الاجتماعي والسياسي في البلاد، آخذاً بعين الاعتبار حال الضنك المعيشي التي كانت سائدة آنذاك، والتي زادتها سوءاً حال الكساد الهائل، الذي ضرب العالم قاطبة في الثلاثينيات من هذا القرن. وكان اقتصاد البلاد في مجمله يعتمد على تربية الماشية والزراعة التقليدية المحدودة في المناطق الخصبة. وهما مصدران لايمكن التعويل عليهما كثيراً في النهوض بالبلاد، خاصة وأنهما يتأثران بمواسم الأمطار المتغيرة.

الملك عبدالعزيز ومنح امتياز التنقيب

تعود المحاولة الأولى التي قام بها الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لاستثمار المعادن في البلاد، إلى عام ١٩٢٣م، عندما منح (فرانك هولمز) أحد ممثلي النقابة الشرقية العامة "Eastern General Syndicate"، وهي مؤسسة مالية إنجليزية امتيازاً للتنقيب عن البترول في شرق البلاد بمساحة قدرها ٧٧٠٠٠ كيلومتر مربع. إلا أن هذه المؤسسة غير البترولية ، عجزت عن اقناع أية شركة بترولية أخرى بتحمل مخاطر الاستثمار للتنقيب عن البترول في منطقة جديدة، في ضوء أزمة الكساد الاقتصادي التي كانت تطبق بخناقها على العالم آنذاك.

ومع هذا فقد أدى اهتمام الملك عبدالعزيز - رحمه الله - باستثمار ثروات بلاده الطبيعية، إلى توالي سلسلة من الأحداث تمخضت لاحقاً عن بدء أعمال التنقيب على الساحل الشرقي من المملكة. وقد كان أول هذه الأحداث هو الدعوة التي وُجهت إلى تشارلز كرين (وهو رجل أعمال امريكي تولى بعض المشروعات التنموية في اليمن، وترأس قبل ذلك لجنة تقصي الحقائق في الشرق الأوسط عام ١٩١٩م). وبعد زيارته للبلاد أرسل مهندساً متخصصاً في التعدين يدعى كارل تويتشل لتقويم المصادر المائية والنفطية والمعدنية في البلاد . وقد جاءت بحوثه مؤكدة لوجود البترول في المنطقة الشرقية من المملكة.



الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في أول زيارة له لمرافق إنتاج الزيت في المنطقة الشرقية عام ١٩٣٩م.

من جانب آخر زاد اكتشاف البترول في البحرين، عام ١٩٣٢م من عزيمة جلالة الملك عبدالعزيز، على التفكير عملياً في التنقيب عن البترول في شرق المملكة الذي تعد جزر البحرين امتداداً جغرافياً وجيولوجيا له.

وبعد دراسة العروض المقدمة من الشركات المتنافسة، قرر الملك عبدالعزيز- رحمه الله- منح الامتياز لشركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا، للتنقيب عن البترول واستخراجه في منطقة مساحتها ٤٩٥٩٠٠ ميل مربع، لأنها قدمت أفضل عرض بهذا الخصوص لحكومة المملكة.

وقد وقع اتفاقية الامتياز في جدة معالي الشيخ عبدالله السليمان - رحمه الله - وزير مالية المملكة آنذاك، والمحامي لويد هاملتون، نيابة عن الشركة في ٤ صفر ١٣٥٢هـ، الموافق ٢٩ مايو عام ١٩٣٣م. وكان هاملتون قد صحب في رحلته كارل تويتشل الذي سبق له - كما ذكرنا - العمل في البحث عن مصادر المياه والمعادن في جزيرة العرب، وقد كان له دور فاعل في أعمال مناجم الذهب في الحجاز.

وفي الأشهر التالية كونت الشركة المذكورة شركة لاستثمار الامتياز عرفت باسم شركة كاليفورنيا اريبيان ستاندرد أويل (كاسوك).

وفي عام ١٩٤٤م تغير اسم كاسوك إلى شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو).

انتهاج مبدأ المشاركة

نتيجة للتغيرات التي شهدتها صناعة النفط العالمية، خاصة تضاؤل الطبيعة الاحتكارية لشركات النفط العملاقة، وتطور مفهوم السيادة

جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز -رحمه الله- حينما كان ولياً للعهد، أثناء زيارته لمرافق التدريب في الشركة.



الوطنية ليشمل الثروات الطبيعية في الدول النامية، ومنها الدول العربية التي تسعى جاهدة لاستكمال استقلالها الاقتصادي، بعد إنجاز استقلالها السياسي، اختارت المملكة العربية السعودية مبدأ المشاركة مدخلاً جديداً في النظام القانوني للاستثمارات البترولية، وبذلك وضعت إطاراً جديداً في مفهوم العلاقات بين شركات البترول والدول المضيفة. وبموجب هذا الاتفاق حصلت حكومة المملكة عام ١٩٧٣م على حصة مشاركة في أرامكو بنسبة ٢٥ في المائة، ما لبثت أن زادت إلى ٦٠ في المائة في السنة التالية. وفي عام ١٩٨٠م تملكت الحكومة أرامكو كاملة بأثر رجعي إلى سنة ١٩٧٦م. واستمرت أرامكو في تشغيل وإدارة حقول البترول والغاز نيابة عن الحكومة حتى شهر نوفمبر من عام ١٩٨٨م، عندما تم تأسيس شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية) بموجب مرسوم ملكي كريم لتتولى المهام الإدارية والتشغيلية التي كانت تضطلع بها أرامكو.

وفي سبيل تحقيق درجة أعلى من التكامل في صناعة البترول السعودية صدر مرسوم ملكي كريم آخر عام ١٩٩٣م تم بموجبه دمج جميع مصافي ومرافق توزيع المنتوجات البترولية في المملكة في أرامكو السعودية، كما أصبحت الشركة مسؤولة عن حصة الحكومة السعودية البالغة ٥٠ في المائة من مصافي المشروعات المشتركة القائمة في المملكة. وفي منتصف عام ١٩٩٦م صدر قرار مجلس الوزراء، بأن تنتقل إلى أرامكو السعودية ملكية حصص المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين) في شركتين قائمتين في المملكة لإنتاج زيوت التشحيم هما بترولوب ولوبرف، وبذلك أصبحت أرامكو السعودية مسؤولة عن الغالبية العظمى من أعمال البترول في المملكة من التنقيب والإنتاج إلى التكرير والنقل والتسويق.

كان توقيع اتفاقية الامتياز الأصلية نقطة انطلاق لصناعة البترول السعودية.

والصناعة البترولية السعودية، ممثلة في أرامكو السعودية، وهي تتصدر اليوم مثيلاتها عالمياً، تدين بالفضل في نشأتها وتطورها وإنجازاتها، بعد توفيق الله سبحانه وتعالى، إلى القيادات الحكيمة التي منّ الله بها على بلادنا، بدءاً من القائد المؤسس، جلالة الملك عبدالعزيز، رحمه الله، ووصولاً إلى العهد الزاهر لخادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز، أدامه الله مروراً بعهود أصحاب الجلالة الملوك سعود وفيصل وخالد، رحمهم الله جميعاً. فضلا عن المتابعة الدائمة والدور الملموس الذي قامت به، في هذا المجال، وزارة البترول والثروة المعدنية التي سخرت جميع إمكاناتها لدعم وتطوير الصناعة البترولية السعودية، والرجال الذين حازوا الثقة الملكية الغالية فأسندت إليهم هذه الوزارة، وهم على التوالي: معالي الأستاذ عبدالله بن حمود الطريقي، ومعالي الأستاذ أحمد زكي يماني، ومعالي الأستاذ هشام بن محي الدين ناظر، ومعالي الأستاذ علي بن إبراهيم النعيمي.

جيولوجية المملكة العربية السعودية

يمكن تقسيم المملكة من الناحية الجيولوجية إلى منطقتين رئيستين: الأولى، هي المنطقة الصخرية القديمة المعروفة بالدرع العربي، التي تؤلف مقدار ثلث المنطقة الغربية من الجزيرة العربية، وكانت هذه المنطقة فيما مضى تمتد عبر البحر الأحمر إلى داخل إفريقيا، وهي تتكون من رواسب قديمة مضغوطة بشدة وكثيرة الطيات. وقد أدى الضغط الشديد والحرارة المرتفعة الناجمان عن تكون الجبال القديمة، إلى انصهار التركيب الداخلي لتلك الرواسب وتغير شكلها. وفي كثير من الأماكن تخترق تلك الصخور أجزاء من الغرانيت والصخور النارية الأخرى التي تشمل مقذوفات البراكين التي تدفقت في العصور القديمة والعصور الحديثة نسبياً.

أما المنطقة الجيولوجية الثانية في الجزيرة العربية فهي المعروفة بالرصيف القاري، وتتكون من صخور رسوبية نتجت عن ترسب الرمال والطين في البحر قبل مئات الملايين من السنين. وكانت البيئة خلال تلك العصور الطويلة ملائمة لتكون البترول. ويستدل من هذا التكوين الجيولوجي أن المنطقة الشرقية بأكملها كانت مغمورة بالبحار القديمة. وقد أدت عوامل جيولوجية نشطة إلى ارتفاع هذه الطبقات فانحسرت مياه البحر إلى منطقة الخليج. وهذه الطبقات الرسوبية رغم قدمها أحدث بكثير من الدرع القديم. وهذه الطبقات الرسوبية تنحدر أو تنخفض قليلاً مبتعدة عن المنطقة الصخرية القديمة متجهة نحو الشمال الشرقي في شمال المملكة، ونحو الشرق في شرقي المملكة، ونحو الجنوب الشرقي إلى داخل حوض الربع الخالي في الجنوب. وقد مضى على هذه الطبقات زمن طويل وهي تبلى بفعل التآكل، وكثير من الطبقات الأكثر صلابة تبرز الآن فوق سطح الأرض على شكل مرتفعات وأشهرها التلال المتجهة غرباً المعروفة بمرتفع طويق.

والطيات الجيولوجية في شرقي المملكة هي من النوع العريض خفيف الانحدار، وهي تميل نحو الشمال والجنوب بشكل عام. ومن أطول هذه الطيات «محدب النعلة» الذي يمتد من الطرف الجنوبي لحقل الغوار ويتجه شمالاً حتى يشمل حقلي الفاضلي والخرسانية على

الأرجح، أي مسافة تزيد عن ٤٠٠ كيلومتر. وهناك محدبات أخرى تضم حقول بقيق والقطيف وغيرها من الحقول. وفي هذه الطيات الجيولوجية خفيفة الانحدار تكمن تجمعات البترول المعروفة في المملكة. كما تحتوي هذه المنطقة الجيولوجية على أحواض رسوبية عديدة، هي حوض جنوب شرق الربع الخالي وحوض شمال الخليج العربي وحوض الدبدبة وحوض وادي السرحان وطريف.



خميس بن رمثان ، أشهر الأدلاء السعوديين ، الذين عملوا في مجال المسح الطبوغرافي في بدايات الصناعة البترولية السعودية.

احتياطيات هائلة من البترول والغاز، يمكن استغلالها بكلفة اقتصادية معقولة، مقارنة مع تكاليف الإنتاج العالية في بلدان بترولية أخرى.

اكتشاف البترول ومراحل الاستثمار

بعد أقل من ثلاثة شهور من توقيع اتفاقية الامتياز، وفي شهر سبتمبر من عام ١٩٣٣م، وصل الفريق الأول من الجيولوجيين إلى قرية الجبيل الساحلية المطلة على الخليج

ومما يجدر ذكره أن البترول يقبع في تكوينات الصخور الحاملة له، التي تعرف بالمكامن. ويحتبس البترول والغاز والماء داخل ثقوب صغيرة في الصخور تسمى «مسامات». وهذه المسامات مترابطة بشكل يتيح للغاز أو السوائل الانتقال من أحد أجزاء المكمن إلى جزء آخر منه. وعندما يتكون البترول يبدأ في الانسياب خلال الصخور المسامية إلى أن يصطدم بحاجز من الصخور الكثيفة غير المسامية. وبوجود هذه الحواجز التي تدعى بالمصائد، يتعذر على البترول والغاز الاستمرار في الانتقال، مما يسهل عملية التنقيب عنه ثم استخراجه. ومن أنواع مكامن البترول ما يعرف بالقبة مثل قبة الدمام، حيث تم حفر آبار الزيت الأولى في المملكة في الثلاثينيات من هذا القرن. والقباب هي نتوءات محدبة من طبقات الصخور تحت سطح الأرض. وبفضل الله سبحانه وتعالى تضم مكامن المملكة العربية السعودية

العربي. وبدأ التنقيب الجيولوجي في المنطقة، ودلت أعمال التنقيب الأولى على أن التكوينات الجيولوجية في جبل الظهران، الذي يقع في مكان يدعى قبة الدمام، تحمل دلائل مشجعة، فتقرر حفر أول بئر تجريبية هناك، وشُرع بالحفر لبئر الدمام رقم ١ في ٣٠ أبريل من عام ١٩٣٥م، وبلغ الحفر إلى عمق ٣٢٠٠ قدم (١٠٥٠ متراً)، ثم هجرت، لأنها تحوي كمية قليلة غير تجارية من الزيت وبعض الغاز. وحفرت بعد ذلك تسع آبار أخرى في طبقة البحرين (الطبقة الجيولوجية المنتجة للبترول في البحرين) إلا أن النتائج كانت مخيبة للآمال.

واستمرت أعمال الحفر خمس سنوات متواصلة دون جدوى. وبعدها تقرر حفر البئر رقم ٧ إلى طبقة أعمق ٤٧٢٧ قدماً (١٤٤١ متراً). فعثر على البترول بكميات تجارية في طبقة أطلق عليها اسم

قافلة للمسح السيسموغرافي تشق طريقها عبر الطرق الوعرة.



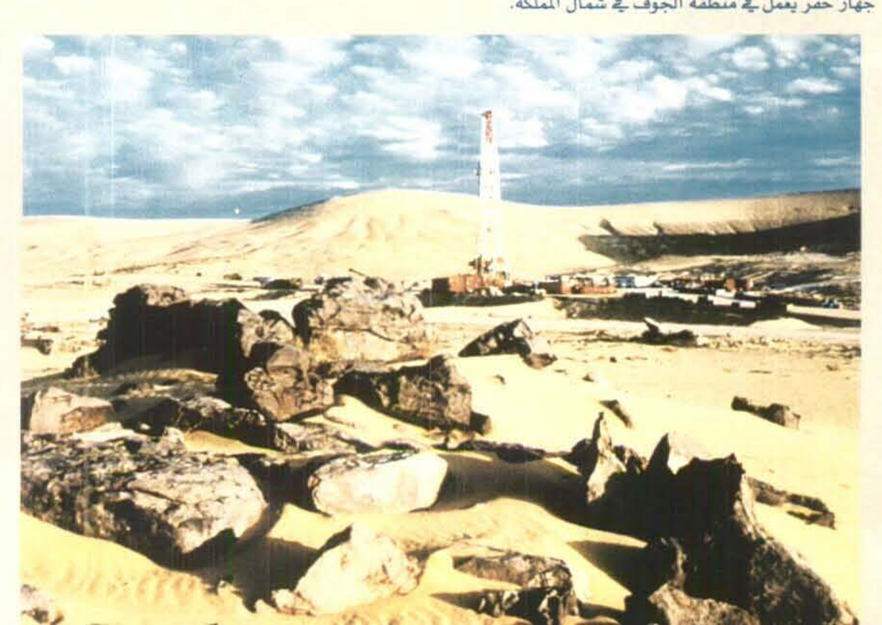
جلالة الملك فيصل - رحمه الله - حينما كان ولياً للعهد يتفقد مرافق صناعة الزيت في السفانية عام ١٩٦٣م .

«الطبقة الجيولوجية العربية»، في شهر مارس من عام ١٩٣٨م. وقد نقلت أول شحنة تجارية من الزيت بصندل من مدينة الخبر إلى البحرين في شهر سبتمبر من السنة ذاتها. وفي خلال هذه الفترة شرع ببناء المرافق الصناعية ومرافق الشحن البحري في رأس تنورة، وبناء معمل تكرير صغير قرب الفرضة، ومد خط أنابيب قطره عشر بوصات يمتد من الحقل إلى مرافق الشحن، وتوسيع شبكة أنابيب تجميع الزيت، وبناء المساكن والمنافع العامة اللازمة.

الملك عبدالعزيز يشهد تصدير أول شحنة من البترول السعودي

من المعروف أنه كان لمساندة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - اليد الطولى، في نجاح الجهود المبذولة، لاكتشاف البترول في البلاد. وما أن نما إلى علمه اكتشاف البترول حتى أبدى رغبته في زيارة المنطقة الشرقية، التي فاضت أرضها بالذهب الأسود. وفي مايو من عام ١٩٣٩م، حظيت الظهران التي كانت آنذاك مجرد مخيم للعمل فقط، بزيارة الملك عبدالعزيز ومرافقيه لها. وقد تضمن برنامج هذه الزيارة التاريخية، والتي تزامنت مع ذكرى مرور خمس سنوات على توقيع اتفاقية الامتياز: زيارة الآبار، وإقامة الاحتفالات والولائم، واستقبال وفود المهنئين، وركوب القوارب ،والقيام بجولات بحرية في الخليج العربي. وقد بلغت الزيارة الملكية ذروتها في رأس تنورة، عندما أدار الملك عبدالعزيز -رحمه الله- صمام التحميل على ظهر الناقلة «دي. جي. سكوفيلد» في ١ مايو من عام ١٩٣٩م مدشناً بذلك تصدير أول شحنة من الزيت السعودي. وكان ذلك إيذاناً بتدفق الثروة في المملكة، وامتلاكها للقوة الاقتصادية والمالية اللازمة للحاق بركب العصر. وقد مثل هذا الحدث بدء مرحلة حاسمة من تاريخ المملكة العربية السعودية.

جهاز حفر يعمل في منطقة الجوف في شمال المملكة.

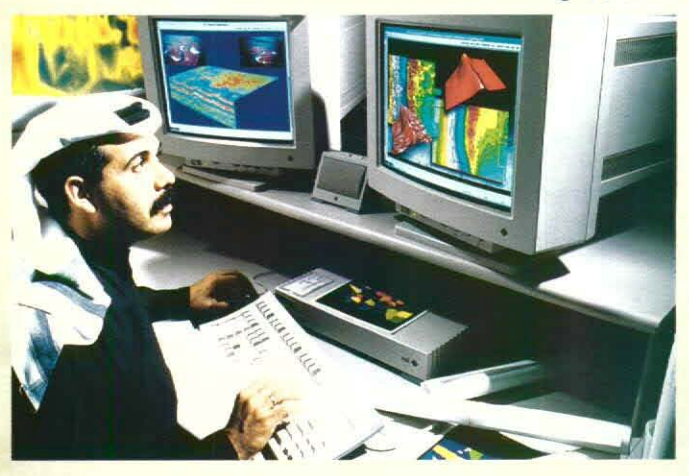


جلالة الملك خالد - رحمه الله - يقص الشريط إيذاناً بافتتاح معمل الغاز في البرّي عام ١٩٧٧م.

توسعة أعمال التنقيب

بالرغم من أن الظهران أصبحت خلال تلك الفترة مناط الاهتمام، إلا أن التنقيب الجيولوجي كان يجري في مناطق مختلفة من منطقة الامتياز. وقامت الشركة بالحفر التجريبي في أربعة مواقع، فعثر على البترول على عمق ١٠١١٥ قدماً، أي نحو ٣٣١٩ متراً، في موقع أبو حدرية في شهر مارس من عام ١٩٤٠م، كما عثر عليه في شهر نوفمبر من تلك السنة في بقيق. وقد أدى نشوب الحرب العالمية الثانية، واضطراب وسائل

يُعَدّ استخدام التقنية الحديثة للمعلومات السيسموغرافية ثلاثية الأبعاد قفزة هائلة في مجالي التنقيب والإنتاج.



المواصلات وندرة المواد، إلى توقف عمليات الشركة في الحقول توقفاً كاد أن يكون تاماً في عام ١٩٤٢م. ولكن العمل استؤنف في أواخر عام ١٩٤٣م، وبوشر في إنشاء معمل التكرير في رأس تنورة، الذي تم بناؤه عام ١٩٤٥م.

وعندما وضعت الحرب أوزارها رفعت الشركة إنتاجها لتؤمن نصيبها من السوق العالمية المتنامية لتعمير ما دمرته الحرب خاصة في أوروبا، وتبعاً لذلك تم إنشاء عدد من المرافق الجديدة، وأصبح العمل يسير سيراً منتظماً في المرافق المتشابكة الخاصة بالإنتاج والأنابيب الممدودة ومعامل التركيز ومرافق الشحن البحري في رأس تنورة ومرافق الشحن بالأنابيب تحت البحر من الظهران إلى البحرين. واستؤنفت أعمال الحفر في حقل بقيق، الذي يرجع إليه الفضل، بعد الله سبحانه وتعالى، في نمو إنتاج البترول. وفي الوقت نفسه استؤنفت أعمال التنقيب التي أثمرت عن اكتشاف حقل القطيف عام ١٩٤٥م، وحقل عين دار جنوبي حقل بقيق عام ١٩٤٨م، تلاها اكتشاف حقلي حرض والفاضلي في عام ١٩٤٩م، ثم حقل العثمانية عام ١٩٧١م. وتلا ذلك استثمار منطقة شدقم بمحاذاة الطرف الشرقي لكل من حقلي عين دار والعثمانية.

وبفضل أعمال الحفر الأخرى التي جرت عام ١٩٧٣م، تأكد أن هذه الحقول وحقل حرض تؤلف في الواقع حقلاً واحداً سمي حقل «الغوار»، وهو أكبر حقول البترول في العالم قاطبة. وفي شهر أغسطس عام ١٩٥١م اكتشف البترول في السفانية في الخليج العربي، وكان بذلك أول حقل



خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد، وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، يوم الاحتفال بافتتاح مركز التنقيب وهندسة البترول في الظهران عام ١٩٨٣م.

مغمور بالمياه يكتشف في الشرق الأوسط، وأكبر حقل بترول مغمور في العالم. وعبر السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية تزايد الإنتاج لدى الشركة بمعدلات عالية. فقبل عام ١٩٤٤م، كان متوسط الإنتاج أقل من ٢٠٠٠٠ برميل يومياً، وبنهاية عام ١٩٤٩م بلغ ٥٠٠٠٠٠ برميل يومياً، وظل يتزايد بين عام ١٩٥٠م ونهاية عام ١٩٦٩م بمعدل ٩ في المائة سنوياً تقريباً.

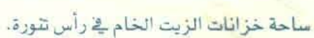
وفي عام ١٩٧٠م بلغ معدل الإنتاج ٣,٥ مليون برميل يومياً، ثم ما لبث أن تضاعف أكثر من مرتين ونصف المرة خلال السنوات العشر التالية، فوصل إلى أكثر من تسعة ملايين ونصف مليون برميل عام ١٩٨٠م، مسجلاً بذلك رقماً قياسياً. واستمرت الشركة في المحافظة على طاقة إنتاج قصوى ثابتة قدرها عشرة ملايين برميل في اليوم من الزيت الخام، ومما يذكر في هذا المجال أن المجموع الكلي التراكمي للإنتاج منذ اكتشاف البترول في المملكة حتى عام ١٩٩٧م بلغ ٧٩,٨ بليون برميل من الزيت الخام و ٣,٩ بليون برميل من سوائل الغاز.

تطور أساليب استكشاف البترول

تاريخياً كانت منطقة تلال الظهران الجيرية هي أول ما لفت أنظار الجيولوجيين الأوائل، كإحدى الظواهر الجيولوجية المهمة الدالة على احتمال اكتشاف الثروة البترولية، في صحراء الجزيرة العربية. وبالرغم من الصعوبات التموينية، وقلة الإمكانات الفنية والبشرية. استطاع الجيولوجيون الرواد، بمساعدة الأدلاء البدو، جمع المعلومات الضرورية لرسم الخرائط الجغرافية والجيولوجية، التي تكتظ بمئات النقاط، التي تبدو كرؤوس دبابيس، والتي يوضح كل منها بئراً أو جبلاً أو وادياً. وهذه المعالم كانت ذات قيمة كبرى للتنقيب عن البترول في السنوات الاستكشافية الأولى.

وبنهاية الحرب العالمية الثانية كان لدى الشركة تسع فرق استكشافية عاملة في مجال المسح السطحي والسيسموغرافي، والحفر التركيبي، والمسح الجاذبي والمغناطيسي، وابتدأ التصوير الجوي على ارتفاعات عالية عام ١٩٤٨م. وبحلول عام ١٩٥٨م تمت تغطية جميع مناطق الامتياز الأصلية، مما كان له الأثر الأكبر في نجاح الدراسات الجيولوجية. وفي عام ١٩٥٩م كانت منطقة الامتياز جميعها قد غطيت بعمليات الاستكشاف الجيولوجية تحت سطح الأرض، كما تمت التغطية الكاملة باستخدام تقنية المسح الجاذبي والمغناطيسي، بمساعدة طائرات تحلق على علو منخفض مما يتيح إجراء المسح وإعداد الخرائط بسرعة فائقة. كما حل الحفر العميق محل الحفر التركيبي وحفرت بعض الآبار إلى أعماق تتراوح ما بين ٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ قدم (١٦٤٠ - ٣٢٨١ متراً)، وأعطت هذه الآبار معلومات عن خصائص التكوينات الجيولوجية في جهات عديدة من مناطق الامتياز بعد تبني الشركة، عام ١٩٥٦م، لأسلوب استخدام الحاسبات الآلية في الدراسات الجيوفيزيائية. وفي عام ١٩٦٨م كانت فرق قياس الاهتزازات المملوكة للشركة، تعمل في الربع الخالي والمنطقة المحيطة بحرض وعلى طول ساحل الخليج العربي شمالي الظهران، واستخدمت لأول مرة سيارات مصممة خصيصاً للسير فوق الرمال والخلجان الضحلة والأراضي السبخة، بعد إضافة بعض التعديلات عليها، وقد أدت تلك الجهود إلى اكتشاف إمكانات البلاد، ووضعتها في مكانها كأكبر دولة تمتلك احتياطيات هيدروكربونية في العالم.





ساحة خزانات الزيت الخام في رأس تنورة.

معمل الغاز في الجعيمة.

وقد شهدت أعمال الاستكشاف والتنقيب في أرامكو السعودية، دفعة قوية عام ١٩٨٦م، عندما انتقل التنقيب للمرة الأولى إلى خارج مناطق الامتياز المعروفة على الجانب الشرقي للمملكة البالغة مساحتها ٢٢٠٠٠٠ كيلومتر مربع، حيث كانت تتركز أعمال الشركة منذ وقت طويل، ليصل إلى حدود منطقة الامتياز الأصلية. وفي سنة ١٩٩٠م تم توسعة منطقة التنقيب لتشمل السهل الساحلي للبحر الأحمر والمنطقة المغمورة القريبة منه. وقد تم تنفيذ أعمال المسح باستخدام تقنية المسح المغناطيسي، الذي يعد من أنجع وسائل التنقيب والاستكشاف من الناحيتين العملية والاقتصادية، وهذه التقنية مجزية جداً للكشف عن المعادن في المناطق الواسعة، مما أتاح المجال لرسم صورة من التاريخ الجيولوجي للمملكة العربية السعودية.

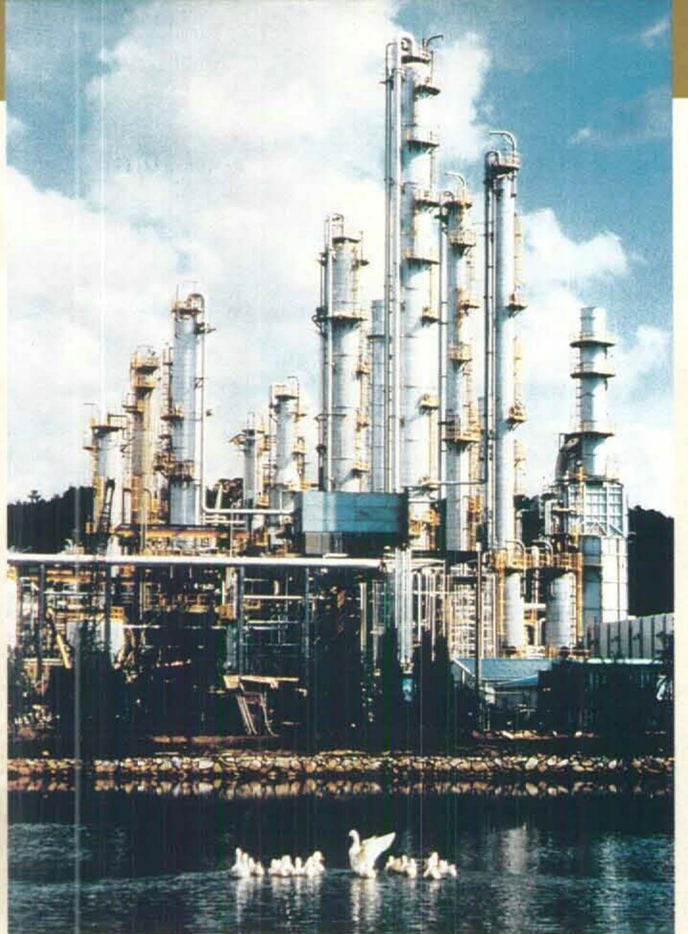
وقد أدت أعمال التنقيب في المنطقة الوسطى في الفترة من ١٩٨٧م حتى ١٩٨٨م إلى حفر بئر الاستكشاف الحوطة-١ في عام ١٩٨٩م، وقد أدى هذا الاكتشاف، الذي تبعته نجاحات أخرى لاكتشاف البترول في حقلي الغينة والهزمية المجاورين في عام ١٩٩٠م إلى اتخاذ قرار بإنتاج البترول الخام العربي الممتاز الموجود في قطاع الحوطة. وبنهاية سنة ١٩٩٤م، كان قد تم إنجاز أحد عشر اكتشافاً للبترول والغاز في تلك المنطقة، والزيت المكتشف فيها خفيف جداً. ويمكن تكريره إلى منتوجات نهائية عالية القيمة. وفي سنة ١٩٩١م اكتشفت الشركة الغاز في حقل كهف شمال غربي المملكة، وفي عامي ١٩٩٢م و١٩٩٣م عثر على البترول والغاز في عدة مواقع على السهل الساحلي للبحر الأحمر، بدءاً من الوجه وأملج شمالي ينبع إلى مدين على خليج العقبة في أقصى الشمال.

كما أسفرت أعمال التنقيب في المنطقة الشرقية، سنة ١٩٩٤م عن اكتشاف غاز حلو غير مرافق ومكثفات تحت أعماق الأرض، وتأتي هذه الاكتشافات ضمن برنامج لاستكشاف احتياطيات جديدة قرب مرافق الإنتاج الحالية.

منصات بحرية في حقل السفانية، أكبر حقل زيت مغمور في العالم.



تمتلك شركة بترون ١٠٠٠ منفذ لبيع وقود السيارات في الفلبين.





تزود أرامكو السعودية مصفاة «سانقيونق» بجمهورية كوريا، بما لا يقل عن ٧٠ بالمائة من حاجتها من الزيت الخام.

وفي عام ١٩٩٦م أنجزت أرامكو السعودية أربعة اكتشافات جديدة لحقول البترول والغاز في المنطقة الوسطى من المملكة، وفي عام ١٩٩٧م اكتشفت حقل الخزامى في المنطقة ذاتها. وهو الاكتشاف البترولي الثامن عشر في منطقة الرياض كما اكتشفت الغاز في حقل الوقر في المنطقة الشرقية. وبتلك الاكتشافات ارتفع عدد حقول البترول والغاز التي تديرها أرامكو السعودية في أنحاء المملكة إلى ٧٩ حقلاً. ومع نهاية عام ١٩٩٧م، بلغ احتياطي الزيت الخام ٢٥٩,١ بليون برميل، وهو مايزيد على ربع مجموع احتياطي العالم، مما يجعل المملكة صاحبة أكبر احتياطي في العالم، وبلغ اجمالي احتياطي الغاز ٢٠٤ تريليونات قدم مكعبة قياسية.

مركز التنقيب وهندسة البترول

بعد مرور عدة عقود على إنتاج الزيت بالمملكة، بلغت أعمال الاستكشافات البترولية مرحلة النضج، وولى زمن الاكتشافات السهلة، فالتراكيب ذات التضاريس الكبيرة التي يسهل العثور عليها أصبحت نادرة، أما المصائد البترولية الباقية، فهي تكوينات جيولوجية معقدة التركيب، ومن الصعب توضيحها بالتقنيات السيسموغرافية العادية، وذلك لأن المكامن البترولية تزداد تعقيداً كلما تقادمت عمراً. لذا جاء إنشاء مركز التنقيب وهندسة البترول الذي افتتح رسمياً عام ١٩٨٣م، في وقته تماماً، وقد لعب دوراً حاسماً في النجاحات التي حققتها أرامكو السعودية في مجال التنقيب، كما ساعد هذا المرفق، الذي يعد واحداً من أكبر مرافق علوم الأرض في العالم، مهندسي البترول في تخطيط برنامج الوصول بالطاقة الثابتة لإنتاج الزيت الخام إلى عشرة ملايين برميل في اليوم، ووضع الخطط لضخ كميات أكبر من الغاز في شبكة الغاز الرئيسة.

وفي هذا المركز تتم جميع أعمال تجميع بيانات التنقيب ومعالجتها وتفسيرها في أماكن متقاربة مما يحقق تنسيقاً أفضل لإنتاج الكميات المطلوبة من البترول والغاز، ويزيد سرعة إنجاز العمل، بأقل قدر من التكاليف مع المحافظة على المكامن في أفضل حالاتها الممكنة. وقد استفادت عمليتا التنقيب والإنتاج من استخدام التقنية المتقدمة للمعلومات السيسموغرافية ثلاثية الأبعاد. وبما أن هذه التقنية تمكن من إجراء تغطية حقلية ذات كثافة أعلى بكثير من التغطية التي توفرها طريقة الحصول على المعلومات السيسموغرافية ثنائية الأبعاد، ونظراً لكبر مساحة حقول المملكة، فإن المسح السيسموغرافي ثلاثي الأبعاد، يعطي كميات هائلة من المعلومات الرقمية التي تتم معالجتها وتحليلها في مركز التنقيب وهندسة البترول. وقد استخدمت هذه المعلومات في اكتشاف احتياطيات جديدة من الزيت في نفس المناطق التي كانت نتائج الاستكشاف السابقة فيها مخيبة للآمال أو في الاستغلال الأمثل لأعمال تطوير الحقول في مناطق تتميز مكامنها بالتعقيد من الناحية الجيولوجية.

وقد أدخل مركز التنقيب وهندسة البترول أيضاً تقنية الحفر الأفقي للآبار في أرامكو السعودية في سنة ١٩٩١م. وقد سمحت

هذه التقنية بإنتاج كميات من البترول من آبار على اليابسة أو في المنطقة المغمورة تزيد كثيراً عما يمكن إنتاجه باستخدام تقنية الحفر العمودي التقليدية. ويستخدم مركز الحاسب الآلي بمبنى التنقيب وهندسة البترول أحدث ما أنتجته التقنية من أجهزة وبرامج تطبيقية لزيادة ربحية الشركة، ورفع قدرتها التنافسية.

وتتألف شبكة الحاسب الآلي بمبنى التنقيب وهندسة البترول من حاسبين عملاقين والعديد من محطات العمل ذات القدرة العالية موصلة عبر شبكة اتصالات عالية السرعة. وقد زادت الطاقة الحسابية بصورة مذهلة للوفاء بمتطلبات تقنيات التنقيب والإنتاج، وكذلك معالجة وتفسير جميع المعلومات السيسموغرافية المتعلقة بحفر الآبار، كما أنها تجعل من الممكن محاكاة جميع المكامن البترولية باستخدام طرق لعمل أنماط معقدة ثلاثية الأبعاد للمكامن، وتساعد في تصميم مرافق الإنتاج. وأنماط المكامن المصممة هي من بين أكبر الأنماط الموجودة في العالم، بما يتناسب مع حجم مكامن المواد الهيدروكربونية الضخمة في المملكة وطبيعتها المعقدة.

يعد مركز التنقيب وهندسة البترول في الظهران واحداً من أكبر مرافق علوم الأرض في العالم .

شبكة الغاز الرئيسة

كانت حكومة المملكة العربية السعودية، تخطط لإنشاء شبكة لجمع الغاز المرافق ومعالجته والانتفاع به منذ فترة طويلة، وعندما تبين لها أن توظيف الاستثمارات الضخمة اللازمة لإنشاء الشبكة سيغدو أمراً مربحاً من الناحية العملية والاقتصادية، كلفت الشركة في أوائل السبعينيات الميلادية بتولي تصميم وإنشاء وتشغيل شبكة الغاز الرئيسة في البلاد، التي تشكل العمود الفقري للنهضة الصناعية في المملكة. وقد شارك في إنشاء هذا المشروع الهندسي العملاق أكثر من ٢٥٠٠ مهندس ورسام هندسي في ثلاث قارات في مرحلة الأعمال الهندسية وحدها من مشروع الشبكة. وتستطيع هذه الشبكة معالجة ما يقارب ١٣٠ مليون متر مكعب (٤,٦ بليون قدم مكعب) من الغاز الطبيعي يومياً.

وتقوم شبكة الغاز الرئيسة، التي تشتمل على حوالي أربعين معملاً لفرز الغاز من الزيت، وثلاثة معامل لمعالجة الغاز، ومرافق لتجزئة سوائل الغاز الطبيعي، بتجميع الغاز المنتج المصاحب للزيت الخام من حقول المناطق اليابسة والمغمورة، والغاز الجاف غير المصاحب للبترول من أعماق الطبقات الجوفية لحقول منطقة الأعمال الجنوبية. ثم يضخ بالأنابيب إلى أحد معامل الغاز في المنطقة الشرقية، حيث تزال منه الشوائب ويستخلص غاز كبريتيد الهيدروجين لتحويله إلى عنصر الكبريت، ويستخرج الغاز الحلو الجاف لاستعماله وقوداً صناعياً أو لقيماً. وتضخ بقية سوائل الغاز الطبيعي، التي تحوي الإيثان، عن طريق الأنابيب، من معامل معالجة الغاز في شدقم والعثمانية والبري إلى المعامل في ينبع والجعيمة لتجزئتها إلى عناصرها المنفصلة وبعد إزالة الإيثان تجري عملية تجزئة أخرى لسوائل الغاز الطبيعي إلى غاز بترول سائل (بروبان وبوتان) وبنزين طبيعي، حيث يصدر غاز البترول السائل من ينبع والجعيمة، ويصدر البنزين الطبيعي من ينبع ورأس تنورة.

يمثل قطاع التوزيع في أرامكو السعودية جزءاً مهماً في أعمالها المحلية.



خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - أثناء افتتاح مبنى مركز أرامكو السعودية للتدريب في رأس تنورة في منتصف الثمانينات الميلادية.

وتحتل المملكة المرتبة الأولى بين مصدري سوائل الغاز الطبيعي في العالم. وفي معامل التجزئة ينتج الإيثان على شكل غاز لاستعماله لقيماً في الصناعات البتروكيميائية. ويتم نقل سوائل الغاز الطبيعي عبر خط الأنابيب شرق - غرب، الذي يبدأ من شدقم، ويسير بمحاذاة خط انابيب الزيت الخام إلى ينبع بطول ١١٧٠ كيلومتراً، ويبلغ قطره ٧٦ سنتيمتراً، وتجرى مراقبته بالحاسب الآلي، ويمر بمناطق تتميز بوعورة أراضيها. وهناك خطة مقترحة لتعزيز شبكة الغاز الرئيسة للمساعدة في تلبية الزيادة المطردة في الطلب على الغاز في المملكة لمواجهة المتطلبات المستقبلية للتوسع الصناعي والعمراني في البلاد.

وتدعم شبكة الغاز الرئيسة خطط التنمية الطموحة التي تشهدها البلاد، حيث يستخدم الغاز المعد للبيع والإيثان وقوداً ولقيماً (مادة خام) لمصانع المواد البتروكيميائية العملاقة المقامة في المدينتين الصناعيتين النموذجيتين (الجبيل وينبع)، وكذلك في محطات توليد الكهرباء وتحلية المياه. أما البروبان والبوتان، فيتم بيعهما محلياً، كما يتم تصديرهما على شكل غاز بترول مسال إلى جانب استعمال بعض البوتان كلقيم صناعي، ويستعمل البنزين الطبيعي في صناعة البتروكيميائيات ويخلط كلقيم مع وقود السيارات.



تعد مرافق التدريب المتطورة في أرامكو السعودية عنصراً فاعلاً في جهودها لتطوير مواردها البشرية.



حفل تدشين وتسمية ناقلتي النفط العملاقتين «فينكس ستار» و«ليبرا ستار»، اللتين انضمتا إلى أسطول فيلا البحرية العالمية في أواخر عام ١٩٩٣م.

الانتشار عالمياً

لقد قضى النظام الأساس لأرامكو السعودية عند تأسيسها أن تتحول إلى شركة زيت عالمية متكاملة. وقد فرض عليها هذا أن تثبت جدارتها تقنياً وتسويقياً، لكونها أكبر شركة منتجة ومصدرة للزيت الخام في العالم، فضلاً عن تصديرها الغاز الطبيعي والكبريت والمنتوجات المكررة، بهدف تحقيق أكبر عائد من الإيرادات. ووفق خطة مدروسة وثابتة تبوأت الشركة مركزاً عالمياً في مجالي التكرير والتسويق. ولدى الشركة الآن شبكة تسويق عالمية بمكاتب فرعية في نيويورك ولندن وطوكيو وسنغافورة، كما استثمرت الشركة مبالغ كبيرة في مصاف وشبكات لتوزيع المنتوجات البترولية في الولايات المتحدة والشرق الأقصى وأوروبا، مما يضمن لها عملاء على المدى الطويل.

وقد جاء أول استثمار دولي لأرامكو السعودية، في مشروع مشترك، بين شركة التكرير السعودية (وهي شركة تابعة لأرامكو السعودية مقرها في هيوستن) وشركة تكساكو، تأسست بموجبه شركة ستار انتربرايز سنة ١٩٨٨م.

وفي خطوة تطويرية لاحقة حُلّ مشروع «ستار إنتربرايز» وتكوّن بدلاً عنه مشروع مشترك آخر، أكبر حجماً وأوسع آفاقاً، هو مشروع «موتيفا إنتربرايز»، الذي برز إلى حيز الوجود في هيوستن في الولايات المتحدة الأمريكية، في نهاية شهر يونيو عام ١٩٩٨م، نتيجة لإبرام شراكة ثلاثية بين كل من أرامكو السعودية، وشركتي تكساكو و شل.



مد خط الأنابيب شرق - غرب من شدقم في المنطقة الشرقية إلى ينبع على البحر الأحمر، يعد إنجازاً هندسياً واقتصادياً تفخر به البلاد.



غرفة المراقبة المزودة بالحاسب الآلي، في معمل فرز الغاز من الزيت رقم ٢ في حقل المرجان.

ويفتح هذا الاتفاق الطريق أمام قيام تحالف قوي يضم ثلاثاً من أكبر شركات البترول العالمية وأوسعها شهرة. كما أنه يزيد من صادرات الزيت الخام العربي إلى الولايات المتحدة الأمريكية على المدى الطويل. ويضم مشروع «موتيفا إنتربرايز» أربع مصافٍ وحوالي ١٤ ألف محطة خدمة تتوزع في منطقة تشمل ٢٦ ولاية في شرق وجنوب شرق الولايات المتحدة.

وتمتلك أرامكو السعودية، من خلال شركة التكرير السعودية التابعة لها، مانسبته ٣٢,٥٪ من أسهم موتيفا إنتربرايز. وسوف تعزز هذه الشراكة الجديدة مكانة أرامكو السعودية الدولية في مجالي التكرير والتسويق، وستوفر المزيد من الفرص المهنية للمديرين السعوديين بالإضافة إلى تدريب العاملين في المصافي من المهندسين والفنيين، وفق أعلى المعايير التدريبية في العالم.

وفي سنة ١٩٩١م، اشترت شركة تابعة لأرامكو السعودية حصة نسبتها ٣٥٪ من شركة سانقيونق أويل ريفايننق، وهي الثالثة في الترتيب بين كبريات شركات التكرير في جمهورية كوريا، ولديها مصفاة طاقتها ٥٣٥٠٠٠ برميل يومياً وتزودها أرامكو السعودية بما لا يقل عن ٧٠٪ من حاجتها من الزيت الخام.

وفي سنة ١٩٩٤م وقعت شركة منتسبة إلى أرامكو السعودية اتفاقية مع شركة بترون الفلبينية، تملكت بموجبها ٤٠٪ من أسهم الشركة المذكورة التي تمتلك مصفاة طاقتها ١٥٥٠٠٠ برميل يومياً وتسوق منتوجاتها في الفلبين عن طريق أكثر من ١٠٠٠ منفذ للبيع بالمفرق. وتعهدت أرامكو السعودية بموجبها بتوريد ما لا يقل عن ٩٠٪ من حاجات المصفاة من الزيت الخام.



حظي مشروع أرامكو السعودية المشترك مع سانقيونق، خلال الربع الأخير من عام ١٩٩٨م، بزيارة تفقدية كريمة من لدن ولي العهد، صاحب السمو الملكي، الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، أثناء زيارة سموه الرسمية لجمهورية كوريا.

وفي عام ١٩٩٦م، دشنت أرامكو السعودية دخولها لأعمال التكرير والتسويق في أوروبا، إثر توقيعها اتفاقاً مع مجموعة «فاردينويانس الصناعية اليونانية» تملكت بموجبها أرامكو السعودية ٥٠٪ من أسهم شركة يونانية خاصة لتكرير البترول، تمتلك مصفاة متكاملة غربي العاصمة اليونانية أثينا، طاقتها ١٠٠٠٠٠ برميل يومياً، هي موتور أويل (هيلاس) وشركة التسويق المنتسبة إليها، أفن أويل، وتقوم أرامكو السعودية، بموجب الاتفاق، بتزويد المشروع بالزيت الخام. وما تزال أرامكو السعودية تبحث عن فرص استثمارية أخرى بالدول والمناطق الصناعية الواعدة.

أسطول أرامكو السعودية

حققت أرامكو السعودية إنجازاً كبيراً في إطار مساعيها لتكامل الصناعة النفطية السعودية، بامتلاكها، من خلال شركة «فيلا البحرية العالمية المحدودة» التابعة لها، أسطولاً يتألف من سبع وعشرين ناقلة، منها تسع عشرة ناقلة زيت خام ضخمة، وأربع ناقلات زيت خام عملاقة، وأربع ناقلات للمنتوجات. وتتراوح الحمولة القصوى لناقلات الزيت الخام الضخمة من ٢٩٠٠٠٠ إلى ٣٠١٠٠٠ طن، أو ما يعادل مليوني برميل من الزيت الخام. وكل ناقلة قادرة على تسليم ما يزيد عن تسعة ملايين برميل من الزيت الخام السعودي سنوياً إلى عملاء في أوروبا والولايات المتحدة.

ولدى أرامكو السعودية مرافق للتخزين طويل الأمد، ومرافق فرض لما يزيد عن ١٦ مليون برميل من الزيت في جزيرتي سانت لوشيا وسانت يوستيشيوس في البحر الكاريبي، وفي روتردام بهولندا، بهدف توفير المرونة في تلبية حاجات المستهلكين في أوروبا وأمريكا.

مشروعات رئيسة تم إنجازها مؤخراً

أنجزت أرامكو السعودية مؤخراً تطوير حقل الشيبة العملاق في الربع الخالي، الذي يعد واحداً من أكبر المشروعات النفطية طموحاً في العالم. ويرجع اكتشاف هذا الحقل إلى ثلاثين عاماً مضت، وهو يحتوي على كميات هائلة من الزيت الخام الخفيف ذي النوعية الممتازة. وقد بدأ الإنتاج من هذا الحقل بحدود نصف مليون برميل يومياً، وقد تطلب استغلال هذا الحقل النائي، الذي يبعد نحو ٤٠٠ كيلومتر عن أقرب خط سريع ممهد، إنشاء مرافق لإنتاج الزيت الخام، وثلاثة معامل لفصل الغاز من الزيت، وكذلك تمديد خط أنابيب قطره ٤٦ بوصة (١١٧ سنتيمتراً) يمتد بطول ٦٤٠ كيلومتراً، ليتم وصله بمرافق المعالجة في بقيق، بالإضافة إلى إنشاء مرافق للخدمات والمنافع والصيانة ونظام للاتصالات، ومهبط للطائرات، وكذلك إنشاء منطقة سكنية وأخرى صناعية ومجمع للمكاتب. وقد تم تنفيذ وإنجاز هذه المشروعات في زمن قياسي، وسط بيئة تتسم بقسوة المناخ ووعورة

مقطورات صهريجية تصنع في الدمام لتضاف لأسطول الشركة من الشاحنات.





مصفاة رأس تنورة في لقطة حديثة بعد انتهاء أعمال التوسعة والتطوير.

التضاريس، وصعوبة نقل المواد إلى هذه البقعة الصحراوية النائية من الربع الخالي ، وهذا بحد ذاته يُعد مفخرة لأرامكو السعودية ولموظفيها سواء من ناحية التخطيط والإمدادات ومن ناحية التنفيذ والتشغيل.

كذلك أكملت الشركة لتوها تنفيذ مشروع ضخم آخر لتحديث مصفاة رأس تنورة التي تبلغ طاقتها الإنتاجية ٣٠٠٠٠٠ برميل يومياً ، بهدف زيادة المنتوجات الخفيفة عالية القيمة من كل برميل من الزيت الخام، للاستجابة لطلبات المستهلكين في المملكة. وقد حول هذا المشروع معمل التكرير من أسلوب القطف الهيدروجيني إلى أسلوب العمليات التحويلية، لزيادة المنتوجات الأعلى عائداً، والأقل تلوثاً للبيئة عند استهلاكها: مثل وقود السيارات ووقود الطائرات.

ومن جانب آخر تقوم الشركة بمشروعات عدة لتحديث قطاع التوزيع بالمملكة، بما في ذلك إنشاء مرافق صناعية جديدة، وتركيب أجهزة حديثة للتحميل في جميع محطات التوزيع الرئيسة في مختلف مناطق المملكة. وكذلك تمديد خطوط أنابيب جديدة لنقل المنتوجات البترولية، من أهمها خط أنابيب يمتد من الظهران إلى الرياض ثم القصيم ، بهدف الاستعاضة عن استخدام الشاحنات ، وتوفير النفقات، ورفع مستوى الكفاءة التشغيلية والسلامة العامة لهذا القطاع الحيوي، الذي يلعب دوراً مهماً على صعيد تلبية المتطلبات الاستهلاكية المحلية.

تطوير الموارد البشرية

كان هاجس تشغيل وتطوير قدرات العمال السعوديين، دائماً، حاضراً في ذهن جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - سواء أكان في مرحلة المفاوضات، أم في مرحلة صياغة اتفاقية الامتياز الأصلية مع شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا، حيث نصت الفقرة الثالثة والعشرون من الاتفاقية على ما يلي : «طالما كان بإمكان الشركة إيجاد موظفين لائقين من رعايا المملكة العربية السعودية ، فإنها لا تستخدم رعايا أي حكومات أخرى» . لذا فقد كان السعوديون في مواقع العمل منذ البداية، وكان منهم الحفارون والنجارون والبناؤون والسائقون والمساعدون الفنيون. الذين أثبتوا رغبة وصبراً في تعلم كثير من المهن والمهارات اليدوية.

ولقد أولت الشركة من جانبها، أهمية خاصة لهذا الموضوع ، حتى أنه يمكننا القول في هذا الصدد أن التدريب واكب نشأة الشركة منذ البداية، حتى أصبح سمة من سماتها المميزة. وتعود نشأة التدريب إلى عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) ، عندما كانت القوى العاملة في الشركة تتكون من نحو ٢٧٠٠ موظف سعودي و٣٠٠ موظف أجنبي. وبحلول عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) كان الموظفون السعوديون ينتظمون في فصول لدراسة اللغتين العربية والإنجليزية ، واستحدثت برامج خاصة للتدريب على أعمال المحاسبة وتشغيل معامل

استلزم تطوير حقل الشيبة مد خط للأنابيب طوله ٦٤٠ كيلو مترا، عبر صحراء الربع الخالي.



التكرير واللحام. وفي بداية الستينيات وخلال السبعينيات الهجرية تم تنفيذ عدد من برامج التطوير لتواكب مرحلة التوسعة الأولى في أعمال الشركة وتم استخدام اختبارات للتعرف على قابلية المتدربين للوظائف المختلفة.

وقد شهدت السبعينيات الهجرية أيضاً إنشاء مرافق دائمة للتدريب في مناطق العمل الرئيسة ضمت فصولاً وورشاً متخصصة، واستمر العمل في تحسين المناهج وإعداد كتيبات للتدريب على رأس العمل. وواصلت مسيرة التدريب تقدمها خلال الثمانينيات الهجرية بشكل كبير، وتبلورت فكرة التفرغ الكامل للتدريب لمدة سنة أو سنتين تعقبها فترة مساوية يقضيها المتدرب في العمل. وفي عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) بدأت الشركة تطبيق برنامج التدرج أو التلمذة الصناعية.



تدريب الموظفين على المهارات الوظيفية في مختلف مراكز التدريب بالشركة.

وتبعاً لاتساع أعمال الشركة في أواسط التسعينيات الهجرية، تم تكثيف الجهود لاجتذاب أعداد كبيرة من الشباب السعودي للالتحاق ببرامجها التدريبية بهدف تزويدهم بالمهارات اللازمة للعمل في وظائف التشغيل والصيانة. ونتيجة لذلك ارتفع عدد الموظفين في الشركة من ١٠٦٠٠ موظف سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) إلى ٦١٢٠٠ موظف عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)، وتمكنت الشركة خلال هذه الفترة من توظيف أكثر من ٣٩٨٠٠ سعودي جرى الحاقهم ببرامج تدريبية متنوعة، وقد واكب ذلك زيادة وتحديث مرافق التدريب.

ومن أهم التطورات التي شهدها قطاع التدريب إنشاء إدارة منفصلة لتطوير الكفاءات الوظيفية في أوائل عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)، لمتابعة تقدم الموظفين والإشراف على تنسيق برامج التطوير المخصصة لخريجي الجامعات، وتوفير دورات مهنية وفنية وإدارية للموظفين. كما تم في عام ١٩٩٣م إنشاء إدارة جديدة للتدريب للمنطقتين الوسطى والغربية. ويمكن القول إجمالاً إن برنامج التدريب في الشركة، يعد واحداً من أكبر البرامج من نوعه في مجال صناعة البترول في العالم، وقد أسهم على مر السنين في تأهيل الآلاف من السعوديين لتولي مهام أعمالهم بكفاءة. وكنتيجة لجهود أرامكو السعودية في التدريب والسعودة أصبح السعوديون يمثلون أكثر من ٨١٪ من إجمالي القوى العاملة في الشركة، بينما بلغت نسبتهم حوالي ١٠٠٪ في المناصب الإدارية العليا وفي أعمال صناعة الزيت والغاز.

حماية البيئة

تنتشر أعمال أرامكو السعودية على نطاق عالمي، وتشمل التنقيب عن البترول وإنتاجه ونقله وتسويقه وتكريره وتوزيع المنتوجات المكررة.

وتهدف سياسة الشركة إلى أن لا ينتج عن أعمالها أخطار على البيئة أو الصحة العامة، وأن تنفذ تلك الأعمال مع مراعاة المحافظة على الأرض والهواء والماء من التلوث. وخلال العقود الماضية وضعت أرامكو السعودية برامج متنوعة للمحافظة على البيئة. وقد اشتملت هذه البرامج في بادئ الأمر على مراقبة مياه الشرب ومياه الصرف الصحي والتحكم في النفايات الصلبة وتجميع بيانات الأرصاد. ومع اتساع نطاق أعمال الشركة ازداد عدد الأنشطة البيئية وأصبحت أكثر تنوعاً.

وقد تبنت الشركة رسمياً خطة بيئية عام ١٩٦٣م، وكان التركيز ينصب على الحد من تلوث المياه الساحلية. وبتزايد مشروعات الشركة، واتساع نطاق أعمالها، تطورت برامج البيئة كماً ونوعاً، بشكل ملحوظ لتشمل نوعية الهواء والمياه بالإضافة إلى درء أخطار النفايات بأنواعها ومكافحة انسكاب الزيت. كما انبثقت برامج جديدة في حقول مختلفة، شملت علم جغرافية المحيطات، وعلم البيئة البحرية، ومراقبة المياه الجوفية، بالإضافة إلى برنامج «تقويم الأداء البيئي»، في مختلف مرافق الشركة، الذي بُدئ العمل به في سنة ١٩٨٩م. وتراقب الشركة باستمرار مرافقها الرئيسة لدراسة المسائل المتعلقة بالغازات المنبعثة منها، وتصريف المياه الملوثة واحتمالات تلوث المياه الجوفية. ووضعت برامج للحد من النفايات والتعامل مع المواد الصلبة والخطرة. ولأرامكو السعودية صِلات علمية مهمة بالجامعات، بما في ذلك معهد البحوث في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران لدراسة البيئة البحرية.

كما أكدت الشركة التزامها بالمحافظة على صحة الإنسان في برنامج منع الخسائر الخاص بها، الذي يهتم بجميع نواحي السلامة، بدءاً من التخطيط والتصميم، وانتهاءً بمقاييس السلامة وإجراءاتها ومعداتها.

ونظراً لأن الوقاية خير من العلاج، خاصة فيما يتعلق بحوادث انسكابات الزيت، فقد قامت الشركة بتدريب عدد من الموظفين، وتملكت عدداً من المعدات الحديثة كالطائرات والسفن للسيطرة على التلوث البحري. والشركة عضو في مركز الخدمة لمكافحة انسكابات الزيت في إنجلترا الذي يعمل على نطاق عالمي، وتجري الشركة تدريبات منتظمة داخل المملكة وخارجها لضمان القدرة على مكافحة الانسكابات. وقد لعبت أرامكو السعودية دوراً بارزاً في مكافحة انسكاب الزيت إثر نشوب حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م، ونجحت في حماية الصناعات الحيوية على ساحل الخليج، بالتعاون مع الجهات الحكومية.

ونظراً لتزايد أهمية البيئة على النطاق العالمي، طورت الشركة مؤخراً احتياطات الزيت الخفيف الذي يحوي نسبة قليلة من الكبريت بهدف تلبية الطلب المتزايد على أنواع الخام التي لا تؤثر بصورة سيئة على البيئة، كما أنها عضو في كثير من المنظمات البيئية الإقليمية مثل منظمة التعاون المشترك لشركات النفط العاملة في الخليج، وغيرها من المنظمات البيئية العالمية، بالإضافة لمشاركتها في المؤتمرات العالمية حول البيئة، ضمن وفد حكومة المملكة .

خاتمة

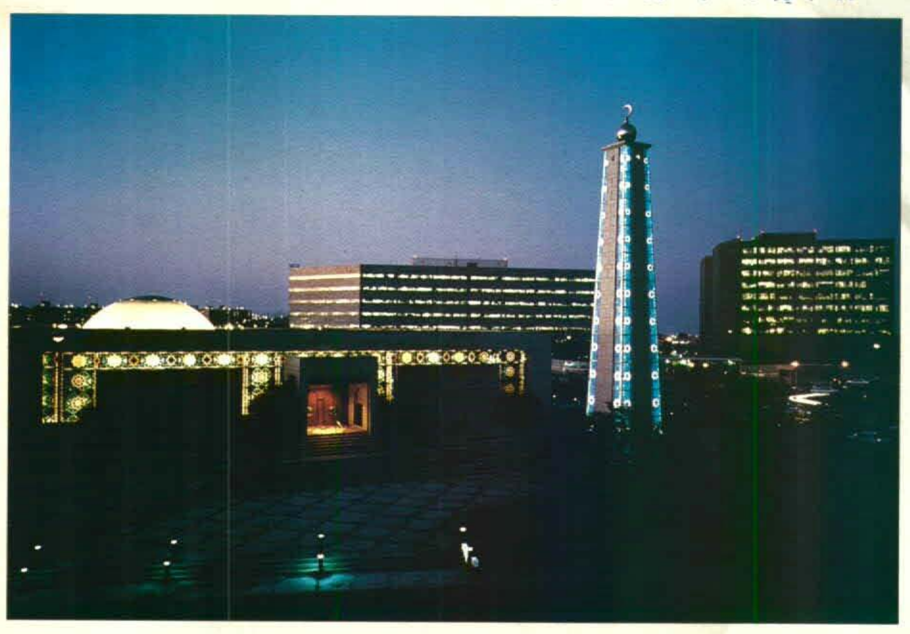
إن المتتبع لتاريخ أرامكو السعودية ، يشهد لها بالديناميكية العالمية التي تتجسد في إنجازاتها الضخمة داخل المملكة وخارجها. فالمشروعات العملاقة سمة بارزة من السمات المميزة لمسيرة أعمال الشركة منذ البداية حتى الآن، مثل إنشاء خط الأنابيب عبر البلاد العربية (التابلاين) الذي يبلغ طوله ١٢١٣ كيلومتراً والذي كان له الأثر الاقتصادي المهم في الشرق الأوسط، وبعد إنجازه شهدت اقتصاديات نقل النفط تغييرات جذرية أسهمت في ازدهار الصناعة البترولية. وبنفس القدر جاء إنشاء شبكة الغاز الرئيسة في السبعينيات الميلادية ليدشن مرحلة صناعة الغاز ، ويضع حجر الأساس للنهضة الصناعية بالمملكة، وكذلك المشروعات الكبرى والرئيسة التي أخذت الشركة على عاتقها تنفيذها خاصة تلك المرتبطة بتطوير المصافي والمعامل وفرض التصدير وإنشاء البنية التحتية اللازمة من مرافق ومراكز تقنية مهمة، منها مركز التنقيب وهندسة البترول، ومراكز البحوث والتطوير، ناهيك عن إكمال الشركة في عام ١٩٩٤م برنامج إعادة طاقة الإنتاج القصوى الثابتة للزيت الخام إلى عشرة ملايين برميل يومياً، وتطوير حقول الزيت والغاز الجديدة في المنطقة الوسطى من المملكة والربع الخالي، وكذلك انتشارها عالمياً من خلال المشروعات المشتركة للتكرير والتسويق، لتصبح شركة بترول عالمية متكاملة .

كما أن الشركة لعبت دوراً رئيساً في دفع حركة التطور الصناعي والاجتماعي في البلاد، وذلك لكونها أكبر جهة مستقطبة للعمالة الوطنية في المملكة بعد أجهزة الدولة. كما أن اندماجها في الدورة الاقتصادية للبلاد أخذ أبعاداً متدرجة ومتزايدة من خلال تدعيم المؤسسات المحلية وتشجيعها لتصبح مصدراً لتموين الشركة بكثير من الخدمات والسلع، وكذلك إرساء أعمال المقاولات عليها مما ينعكس على الأداء الكلي للإقتصاد الوطني.

وهكذا فإن أرامكو السعودية ، الفخورة بماضيها وحاضرها والمستبشرة بمستقبلها، سوف تدخل القرن الحادي والعشرين بكل ثقة وثبات معتمدة، بعد الله، على احتياطياتها الهائلة من المواد الهيدروكربونية التي تبلغ نحو ٢٦٠ بليون برميل، وسجل استثماراتها وإنجازاتها الضخمة في مجالين حيويين هما: التقنية المتقدمة في مجال صناعة النفط، وتدريب وتطوير الكفاءات البشرية الوطنية، مما سيعزز من مكانتها كأكبر شركة منتجة للزيت الخام وسوائل الغاز الطبيعي في العالم. ■

* صور الموضوع : أرامكو السعودية .

لقطة ليلية لمباني إدارة الشركة الرئيسة في الظهران، يتصدرها المسجد بألوانه الزاهية.



يلعب مركز الظهران الصحي دوراً مهماً في مجال تقديم الرعاية الصحية للموظفين وأفراد عائلاتهم.




توسعة الحرمين
وقصة



شريفين عبر التاريخ
عة الكبرى

إعداد : عمر محمد البنيان / هيئة التحرير

بيت الله الحرام وقد اكتظ
بجموع المصلين والطائفين .

وزارة الإعلام

لقطة ليلية للمسجد الحرام وقد انتظم المصلون في عقود متراصة.



من أعظم أعمال القربى إلى الله وأجلّها ، عمارة المساجد، فكيف إذا كانت عمارة لأعظم المساجد ، المسجد الحرام الذي فيه الكعبة بيت الله تعالى، والذي جعله الله، سبحانه وتعالى، مثابة للناس وأمناً، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] وقال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧] والآيات الكريمة والأحاديث النبوية التي تتحدث عن قدسية بيت الله وحرمته كثيرة، وكذلك تلك التي تتحدث عن مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقد وردت الأحاديث النبوية عن مكانته وحرمته، ومنها، ما رواه أبو هريرة، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»، وروى ابن ماجة عن جابر مرفوعاً قوله، صلى الله عليه وسلم «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» .

وقد سجل التاريخ على مر العصور والأيام صوراً مختلفة لواقع اهتمام وعناية قادة الأمة الإسلامية بتوسعة وعمارة الحرمين الشريفين، لمواكبة تطور الزمن ولمواجهة الأعداد المتزايدة من المسلمين القاصدين بيت الله الحرام في كل عام بقصد الحج أو العمرة أو القاصدين مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم للزيارة، بدءاً من عهد الخلفاء الراشدين، عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، رضي الله عنهما، ومروراً بعهد خلفاء الدولة الأموية والدولة العباسية وسلاطين الدولة العثمانية إلى عهد الدولة السعودية. وفي هذا العهد الزاهر، عهد خادم الحرمين



مجموعة بن لادن السعودية (دنيا)

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يتابع ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، وهو يضغط على حجر الأساس الذي وضعه الملك فهد، في احتفال مهيب لأكبر توسعة في التاريخ للحرم المكي الشريف، بينما يظهر النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، مبتسماً، والبشر يعلو وجوه الجميع.

الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - يسجل له التاريخ إقرار تنفيذ أضخم وأكبر توسعة للحرمين الشريفين في التاريخ. ولم تقتصر هذه التوسعة على الحرمين الشريفين بل شملت العناية والتطوير مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة والمرافق والخدمات المساندة التي توفر الراحة والطمأنينة والأمن والسلامة للحجاج والمعتمرين والزائرين دون أن يعيق تنفيذ تلك الأعمال والتوسعات، أداء المسلمين لفريضة الحج أو العمرة أو سُنَّة زيارة المسجد النبوي الشريف.

في شهر صفر ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) وضع خادم الحرمين الشريفين حجر الأساس لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، وبُدئ العمل فيها في جمادى الآخرة من العام نفسه وانتهى العمل فيها رسمياً في ذي القعدة عام ١٤١٣هـ بإضافة مساحة قدرها ٧٦٠٠٠ متر مربع تتسع لحوالي ١٥٢٠٠٠ مصل بالإضافة إلى تجهيز الساحات الخارجية وتبليطها بالرخام، بحيث يتسع الحرم والتوسعة والساحات وقت الذروة لأكثر من مليون مصلٍ.

أما توسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف، فقد كانت آية من آيات الجمال، وتحفة عمارية فائقة الجودة والاتقان، وتوسعة قياسية فاقت كل تصور إذ أضافت ٣٨٤٠٠٠ متر مربع، إلى مساحة المسجد فأصبح يستوعب أكثر من ٧٠٠٠٠٠ مصلٍ في الأوقات العادية ومليون مصلٍ وقت الذروة. وكان خادم الحرمين الشريفين قد وضع حجر الأساس للتوسعة في شهر صفر ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م). وتواصل العمل فيها حوالي ثماني سنوات. والحقيقة التي لا مراء فيها. هي أن المواطن السعودي يقف، حين تبصر عيناه تلك التوسعات الكبرى في الحرمين الشريفين، مذهولاً ومعجباً لضخامتها وجمالها وروعتها ودقتها، ويشعر بالفخر والاعتزاز بانتمائه لهذا البلد الذي يحتضن الحرمين الشريفين ومهبط الوحي ومنطلق رسالة الإسلام السماوية.

لقد كانت هذه التوسعة الكبرى حلماً يراود خادم الحرمين الشريفين، وهاجساً لايغيب عن باله منذ أمد حتى أعانه الله على الانطلاق في تنفيذها والإشراف عليها وإكمالها على خير وجه، فهنيئاً له الأجر والمثوبة من الله لما صنع، وحُق له أن تلهج جموع المسلمين له بالدعاء.

تاريخ توسعة الحرم المكي

منذ أن رفع نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام قواعد البيت العتيق، أي الكعبة المشرفة، إلى أن آل أمر مكة المكرمة إلى قصي بن كلاب، الجد الخامس للرسول ، صلى الله عليه وسلم، والمنطقة

المحيطة بالكعبة عبارة عن فسحة واسعة لم يكن حولها دور مشيدة أو جدار محيط. فقد كانت القبائل التي سكنت مكة من عمالقة وجرهم وخزاعة وقريش وغيرهم يسكنون في شعاب مكة، ويتركون جوار الكعبة احتراماً لها وتعظيماً لشأنها، ولما آل الأمر إلى قصي أمر قومه، بطون قريش، أن يبنوا بيوتهم بمكة حول الكعبة من جهاتها الأربع، لتتحقق مهابة الناس لهم والامتناع عن قتالهم أو الهجوم عليهم. فبنت قريش بيوتها حول الكعبة وتركت مدار المطاف دون بناء، وجعلت البيوت مدورة حتى لا تشبه تربيعة الكعبة كما جعلتها أقل ارتفاعاً من الكعبة.

الزيادة الأولى :

حدث أن جرف سيل (أم نهشل) حجر المقام إلى أسفل مكة في عهد أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه، فلما علم بذلك أسرع إلى مكة وعمل على إعادته إلى مكانه، وفكر في توسعة المسجد الحرام حين رأى كثرة الناس وازدحام المصلين، فأدخل الدور المجاورة في المسجد الحرام بعد أن اشتراها من أهلها، وأحاط المسجد الحرام بالجدار وجعل له أبواباً، وذلك سنة ١٧هـ.

الزيادة الثانية :

تمت في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه، سنة ٢٦هـ، حيث وسع في ساحة المسجد واشترى الدور المجاورة للمسجد الحرام وأضافها إلى مساحة المسجد وجعل له أروقة، فكان أول من اتخذ الأروقة فيه.

الزيادة الثالثة :

وهي زيادة عبدالله بن الزبير ، رضي الله عنهما سنة ٦٥هـ . فبعد أن قام بإعادة عمارة الكعبة المشرفة، قام بتوسعة المسجد الحرام من الجهات الشرقية والجنوبية والشمالية ، فاشترى دوراً ملاصقة وأدخلها في المسجد الحرام.

الزيادة الرابعة :

تمت هذه الزيادة في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك ابن مروان سنة ٩١هـ من الجهة الشرقية، حيث أمر بتوسعة المسجد الحرام، ونقض ما عمله أبوه عبدالملك الذي قام بعمارة المسجد الحرام وتزيينه في عهده دون إضافة أية توسعة، فعمر الوليد المسجد الحرام عمارة متينة محكمة، وهو أول من جلب للمسجد الحرام الرخام من مصر والشام.

الزيادة الخامسة :

قام بها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ، حيث أمر واليه على مكة بتوسعة المسجد الحرام، فزاده في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة، وزاد في أسفله إلى أن انتهى إلى منارة باب العمرة، ومنها على خط مستقيم من الجهة الغربية إلى ما يلي باب إبراهيم على حد الحصوة. وتقدر زيادته بضعف ما كان عليه المسجد قبل الزيادة، كما قام بزخرفته بالفسيفساء والذهب، وزينه بأنواع النقوش وألبس حجر إسماعيل بالرخام. وكان أبو جعفر أول من ألبسه بالمرمر من داخله وخارجه وأعلاه. وقد دام العمل في هذه التوسعة ثلاث سنوات من ١٣٧ إلى ١٤٠هـ .

الزيادة السادسة :

قام بها الخليفة العباسي محمد المهدي ما بين أعوام ١٦١ و ١٦٤هـ وكانت زيادة الخليفة المهدي تعادل عموم الزيادات التي طرأت على المسجد الحرام من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى نهاية زيادة والده، أبي جعفر المنصور، حيث جاءت الزيادة من جميع الجهات الأربع، وأصبحت الكعبة المشرفة في نقطة الوسط بالمسجد الحرام.

الزيادة السابعة :

تمت هذه الزيادة في عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله واستمر تنفيذها ثلاث سنوات من ٢٨١ إلى ٢٨٤هـ. وقد شملت هذه الزيادة جهتين خارجيتين عن تربيع المسجد الحرام، إحداهما في الجهة الشمالية، المعروفة في العصر الحاضر باسم (باب الزيادة) والثانية في الجهة الغربية وهي المعروفة أيضاً برحبة (إبراهيم) .

الزيادة الثامنة :

تمت هذه الزيادة في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٣٠٦هـ، حيث أدخلت باب الخياطين وباب بني جمح والساحة التي بينهما، وعمل باب عوضاً عنهما أطلق عليه باب إبراهيم في غربي هذه الزيادة.

كانت هذه هي الزيادات أو التوسعات للمسجد الحرام من عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله. أما ما عدا ذلك من الأعمال التي طرأت منذ ذلك الحين وحتى البدء بالتوسعات التي تمت في العهد السعودي فقد كانت كلها أعمال ترميم وتحسينات وبناء مقامات وإنشاء مدارس حول المسجد الحرام وما شابه ذلك، قام بها المماليك والسلاطين العثمانيون .

رعاية الدولة السعودية للمسجد الحرام بمكة المكرمة

كما ذكرنا، لم تطرأ أية زيادة على مساحة المسجد الحرام بعد عام ٣٠٦هـ الموافق ٩١٨م أي بعد التوسعة التي تمت في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله، ومع مرور السنين، تزايد بناء الدور حول المسجد الحرام حتى أصبحت جميع الطرق المؤدية إليه ضيقة مما أدى إلى تزايد

الحرم المكي الشريف مكتظ بجموع المصلين ، وقد ظهرت في الواجهة التوسعة الكبرى التي أمر بتنفيذها خادم الحرمين الشريفين، فيما يبدو من اليسار باب الملك فهد الذي تحده من الجانبين، مئذنتان، كما اكتظت الساحات الخارجية بالمصلين أيضاً.

الكعبة المشرفة وقد ازدحم حولها الطائفون والمصلون والذاكرون الله.



مجموعة بن لادن السعودية (دنيا)

جانب من بيت الله الحرام وقد امتلأ صحنه وطوابقه بالمصلين .

الازدحام في أيام الجمع والأعياد فضلاً عن موسمي الحج وشهر رمضان، كما أن الدور والمباني فصلت بين المسعى والحرم فأصبح المسعى على مر العصور طريقاً عامة تقوم على جوانبها الحوانيت، وأصبحت عملية السعي شاقة، تتطلب كثيراً من الحذر واليقظة لما يلاقيه الساعي من العنت والصعوبة في أثناء تأديته لتلك الشعيرة. كما أن تزايد أعداد المسلمين نتيجة اتساع رقعة العالم الإسلامي التي شملت بلداناً وشعوباً في آسيا وإفريقيا، وكذلك تطور وسائل المواصلات الجوية والبحرية والبرية وتحسن الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية، كانت أسباباً أدت إلى تزايد أعداد قاصدي الحرمين الشريفين وتزاحمهم، خلال مواسم الحج والعمرة وأيام الجمع والأعياد فظهرت الحاجة إلى التوسعة وإلى أعمال الصيانة والتحسينات.

وفي عام ١٣٤٤هـ أمر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بإجراء ترميمات وصيانة شاملة للحرم المكي، وتبرع بمبلغ قدره ألفا جنيه ذهباً لأعمال العمارة والإصلاحات والترميم. وبعد انتهاء تلك الترميمات عام ١٣٤٦هـ تضاعفت الأماكن المضاءة في الحرم إلى ما يقرب من عشرين ضعفاً عما كانت عليه في العهد العثماني. وتم لأول مرة رصف المسعى، وإنشاء مظلات تقي المصلين حرارة الشمس، وتبليط الأرضيات، وتوفير الفرش، وأعمال تحسينية أخرى. كما أصدر أوامره - رحمه الله - ببناء أول مصنع لكسوة الكعبة المشرفة بمكة المكرمة، وذلك في أوائل عام ١٣٤٦هـ، وتم الانتهاء من بناء المصنع خلال ستة أشهر تقريباً، وظل يستخدم حتى عام ١٣٥٨هـ .

أما الملك سعود - رحمه الله - فقد أصدر أمره بإجراء توسعة شاملة لبيت الله الحرام وعمارته في ثلاث مراحل، شملت إزالة المنشآت السكنية والتجارية التي كانت مجاورة للمسعى، وكذلك إزالة

المباني التي كانت قريبة من المروة، وبناء المسعى من طابقين، وإقامة حاجز في وسط المسعى يقسمه إلى قسمين، لتيسير عملية السعي.

كما أُنشئ للحرم ١٦ باباً في الجهة الشرقية، وبُنى سُلّمان يؤديان للدور العلوي، ومُدّ مصرف خاص لتصريف مياه السيل. وتم كذلك بناء الرواق الجنوبي والقسم الثاني من الرواق الجنوبي الغربي والرواق الشمالي وأصبحت مساحة مسطحات المسجد الحرام بعد هذه التوسعة ١٩٣٠٠٠ متر مربع بعد أن كانت ٢٩١٢٧ متراً مربعاً، أي بزيادة قدرها ١٣١٠٤١ متراً مربعاً. وأصبح الحرم المكي يتسع لحوالي ٤٠٠٠٠٠ مصل، وشملت هذه التوسعة، ترميم الكعبة المشرفة، وتوسعة المطاف، وتجديد مقام إبراهيم ، عليه السلام .

وفي عهد الملك فيصل - رحمه الله - تم عقد مؤتمر في مكة المكرمة، ضم عدداً كبيراً من المهندسين العماريين المسلمين لدراسة البدائل الممكنة لتطوير التصاميم الهندسية لعمارة المسجد الحرام، وأوصى المؤتمر بإزالة جزء كبير من المبنى العثماني. ولكن الملك فيصل رأى الإبقاء على البناء العثماني القديم، وأن يتم عمل تصاميم العمارة الجديدة بأفضل أساليب الدمج التي تحقق الانسجام بين القديم والجديد. فتم ما أراد، وما زال البناء العثماني القديم والمباني ذات التصاميم الجديدة المنسجمة معه تقف جنباً إلى جنب في المسجد الحرام.

كما تم في عهد الملك فيصل- رحمه الله - إضافة جناحين جديدين، وتجديد المبنى القديم للحرم المكي، وفتحت لهذه الإضافة الطرقات المحيطة بها، كما أنشئت الميادين والمحال التجارية. وأمر - رحمه الله - بإعادة فتح مصنع كسوة الكعبة بمكة المكرمة.

أما في عهد الملك خالد - رحمه الله - فقد مُدت مشارب من بئر زمزم إضافة إلى أعمال الترميمات والتجهيزات المستمرة واستكملت أروقة الدور الثاني للحرم المكي، ونتيجة لزيادة الاهتمام بالطرق الموصلة للحرم الشريف، فقد تم تنفيذ مجموعة من الأنفاق عبر الجبال المحيطة بالحرم، وتم افتتاح المبنى الجديد لمصنع كسوة الكعبة عام ١٣٩٧هـ.

قصة التوسعة الكبرى للحرمين الشريفين في عهد خادم الحرمين الشريفين

كان مشروع التوسعة الكبرى للحرم المكي والمسجد النبوي في عهد خادم الحرمين الشريفين حلماً يراود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، منذ أن تولى أمور البلاد في عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)، وهكذا توج، أيده الله بهذا المشروع العملاق التوسعات السابقة للحرمين الشريفين، وكان ذلك تجسيداً حياً لاهتمامه الكبير بخدمة الحرمين الشريفين ورعايتهما. فقد قال - حفظه الله - في كلمته حين زار المدينة المنورة في يوم ١٤١٢/٦/٣هـ، إن إنجازات التوسعة الخالدة كانت «حلماً يراودني منذ سنوات عديدة، وعندما تحدثت بها ظن البعض أنها ضرب من ضروب الخيال، ولكن الله جلّت قدرته وسبقت إرادته، أراد لحكومة هذا البلد وأهله أن يحظوا بشرف هذا العمل العظيم، والا فمن يصدق أن يتسع المسجد النبوي ليشمل مساحة المدينة القديمة، ويستوعب مئات الألوف من زوار المدينة المنورة وأن يكون بهذه الجودة، وهذا الاتقان المعماري الذي نراه اليوم قائماً في كل زاوية من زوايا الحرم النبوي والحرم المكي» .

وحين يقف المرء في الحرم المكي الشريف وفي الحرم النبوي الشريف، ويشاهد ما طرأ عليهما من توسعات وتحسينات فيبهره عظم قدرها وضخامة حجمها ودقة تنفيذها وروعة جمالها يشعر حقاً بالفخر والاعتزاز

صورة تبدو فيها مداخل الأنفاق بمكة المكرمة التي تم شقها تيسيراً لقاصدي بيت الله الحرام.



أرامكو السعودية

أن يرى بيت الله الحرام ومسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، يحظيان بهذا العمل الجليل الذي يمثل درة الأعمال الجليلة لخادم الحرمين الشريفين في خدمة الإسلام والمسلمين وعمارة بيوت الله في مختلف بقاع الأرض. والواقع أن رعاية الحرمين الشريفين وحجاج بيت الله والمدينتين المقدستين تحتل الأولوية في اهتمامات حكومة بلادنا العزيزة منذ عهد مؤسس هــذه البلاد الملــك عبدالعزيز - رحمه الله - وعبر عهود أبنائه البررة من بعده. يؤكد ذلك خادم الحرمين الشريفين في كلمته التي ألقاها حين زار المدينة المنورة في ١٤٠٩/٣/٢٣هـ قائلاً: «الحمدلله على أن رب العزة والجلال أنعم علينا جميعاً في هذه البلاد لنعمل ما نستطيع لمكة المكرمة والمدينة المنورة، بيد أن هذا العمل ليس فيه من المظاهر أو الأقوال، ولكن القصد الأساسي من مثل هذه الأعمال راحة حجيج بيت الله الحرام، ولعل هذا هو الشيء الأساسي، وهو القاعدة التي بنيت عليها الأعمال التي رأيناها من قبل في مكة المكرمة ونراها الآن في المدينة المنورة، وهذه المشروعات هي بداية الانطلاقة، وسوف تتبعها مشروعات أخرى إن شاء الله في أقدس مدينتين، وهذا هدف رئيسي لحكومة المملكة العربية السعودية، وهو أن تولي هاتين المدينتين الأولوية الكبرى حتى تصلا إن شاء الله لما نريد أن تصلا إليه حكومة وشعباً».

لقد بلغ من اهتمام وحرص الملك فهد بن عبدالعزيز على أن يكون هذا المشروع قمة في كل شيء، أن كان، رغم مهامه الجسام ومشاغله الكثيرة، يتابع بنفسه تفاصيل مراحل تنفيذ التوسعة . كما حرص على أن لا تكون هناك أية تأثيرات سلبية على المصلين والمعتمرين والحجاج في أثناء فترات تنفيذ أعمال التوسعة، كما أكد على سرعة إنجاز أعمال التوسعة لتخفيف معاناة قاصدي بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف من المسلمين الذين تتزايد أعدادهم في كل عام.

وأدرك مبكراً - حفظه الله - بإحساسه الواعي المسؤول أن توسعة الحرمين الشريفين لن تكون كافية ما لم ترافقها مشروعات تطويرية للمدينتين المقدستين، مكة المكرمة، والمدينة المنورة، فأمر أيده الله، بعدد من المشروعات لكل منهما أيضاً. وهكذا فإن توسعة الحرمين الشريفين سارت جنباً إلى جنب مع مشروعات تطوير المدينتين المقدستين من أنفاق وجسور وشوارع رئيسة وخطوط دائرية وخدمات مساندة كالكهرباء والماء، وشبكات تلفزيونية وإذاعية، وميادين عامة، وكلها تنفذ في مواقع عسيرة على الآلات والمعدات، وهي بهذا تعد معادلة شديدة الصعوبة ، يدركها من يعرف طبيعة تلك الأماكن. ولكن تم بلوغ الأهداف واكتملت التوسعة وفقاً للضوابط والمقاييس التي وضعت وخططت لها. بفضل الله وحده ثم بفضل الإرادة الصلبة والعزيمة الصادقة وتوفير الإمكانات الكبيرة اللازمة.

العمارة والتوسعة الكبرى للحرم المكي الشريف في عهد خادم الحرمين الشريفين

مبنى التوسعة

تتضمن توسعة الحرم المكي الشريف وعمارته في عهد خادم الحرمين الشريفين، إضافة جزء جديد إلى المبنى السابق للمسجد من الناحية الغربية في منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك. وتبلغ مساحة أدوار هذا المبنى حوالي ٧٦٠٠٠ متر مربع موزعة على الدور الأرضي والدور الأول والقبو والسطح، بحيث تتسع لحوالي ١٥٢ ألف مصل وتشمل التوسعة تجهيز الساحات وتبليطها بالرخام الأبيض ومنها الساحة المتبقية من جهة السوق الصغير والساحة جهة الشامية، والساحة الواقعة شرقي المسعى بمساحة إجمالية تبلغ ٨٥٨٠٠ متر مربع تستوعب حوالي ١٩٠ ألف مصل. وبذلك تصبح مساحة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد التوسعة الحالية والأسطح و الساحات حوالي ٣٥٦٠٠٠ متر مربع تتسع لحوالي ٧٧٣ ألف مصل. بينما يمكن أن يصل عدد المصلين في أوقات الذروة لأكثر من مليون مصل. وقد روعي في تنفيذ هذا المشروع أن يكون متميزاً في التصميم والتنفيذ مترابطاً مع المبنى العام للحرم من حيث التصميم العماري.

المداخل والمآذن

تضم التوسعة مدخلاً رئيساً جديداً بالإضافة إلى المداخل الثلاثة الرئيسة الموجودة من قبل. وثمانية عشر مدخلاً عادياً، كما روعي في التصميم إنشاء مدخلين جديدين للقبو إضافة إلى المداخل الأربعة الموجودة من قبل. ويشمل مبنى التوسعة مئذنتين جديدتين ارتفاع كل منهما تسعة وثمانون متراً تشبهان في تصميمهما العماري، وفي المواد المستخدمة، المآذن السبع القائمة.

حركة المصلين

لتسهيل صعود أفواج المصلين إلى سطح التوسعة، تمت إضافة مبنيين للسلالم المتحركة، أحدهما في شمال مبنى التوسعة والآخر في جنوبه، مساحة كل منهما ٣٧٥ متراً مربعاً ويحتوي على مجموعتين من السلالم المتحركة، طاقة كل منهما ١٥٠٠ شخص في الساعة الواحدة، إضافة إلى مجموعتين من السلالم المتحركة داخل حدود المبنى على جانبي المدخل الرئيس للتوسعة. وقد صممت السلالم المتحركة بحيث تساند وحدات الدرج الثابت الثماني في خدمة حركة الحجاج والمصلين في أوقات الذروة لا سيما كبار السن.

وبذلك يصبح إجمالي عدد مباني السلالم المتحركة سبعة تنتشر حول محيط الحرم والتوسعة لخدمة رواد الدور الأول والسطح.

الخصائص الإنشائية

يبلغ عدد أعمدة التوسعة ١٤٥٣ عموداً، ويبلغ ارتفاع الواجهات الخارجية للتوسعة ٢٢,٥٧ متر، والارتفاع الداخلي للقبو ٤,٣٠ متر وللطابق الأرضي ٩,٨٠ متر وللدور الأول ٩,٦٤ متر، كما تم تبليط سطح التوسعة بالرخام.

وثمة ثلاث قباب لمبنى التوسعة تقع في منتصفه تقريباً بموازاة المدخل الرئيس، ارتفاع كل منها ثلاثة عشر متراً، وتماثل في تصميمها الخارجي القباب الموجودة على سطح الحرم من قبل.

وتقدر كمية المواد التي استخدمت لهذه التوسعة نحو ١١١٧٥٠ متراً مكعباً من الخرسانة و ١٢٧٠٠ طن من حديد التسليح. أما بالنسبة للكهرباء فقد أقيمت محطتا تحويل على جانبي التوسعة، تحوي كل منهما ثلاثة محولات، قدرة كل منها ١,٦ ميجافولت أمبير.

أما تجهيزات الإنارة، فهي مستقلة عن التجهيزات السابقة، حيث زودت بثريات تتناسب مع شكلها المعماري وتوفر مستوى أعلى في الإضاءة عن المستوى السابق. كما تم تنفيذ شبكة إذاعية داخلية تتناسب مع مساحة التوسعة وتم ربطها بالشبكة الموجودة. وتم تزويد التوسعة بعدد من الساعات تتصل بالنظام المركزي للساعات الموجودة بالحرم من قبل، إضافة إلى تزويد التوسعةبنظام الإنذار من الحريق ونظام الهاتف ونظام التحكم الآلي.

إن هذه التوسعة، هي الامتداد الأفقي للطوابق الموجودة من قبل، وهي القبو والطابقان الأرضي والأول، والسطح. ويقع القبو بكامله تحت مستوى الأرض وقد تمت تهويته ميكانيكياً، أما الطابقان، الأرضي والأول فيقعان فوق مستوى سطح الأرض، وقد أمنت لهما تهوية طبيعية من خلال الفتحات المتقابلة للشبابيك مع تركيب مراوح لتحريك الهواء على الأعمدة من ناحية، واستحدث نظام جديد لتلطيف الهواء يعتمد على مبدأ دفع الهواء البارد خلال أرض مرتفعة وتوزيعه على مستوى مرتفع حول الأعمدة المربعة، من ناحية أخرى.

وقد أقيمت لهذا الغرض محطة في منطقة كدي، تحوي عدداً من وحدات التبريد ومضخات المياه، ومركز تشغيل وتحكم آلي، تقدر طاقتها التبريدية بخمسة وأربعين ألف طن تبريد. كما تم بناء نفق للخدمات يربط بين المحطة المركزية والحرم الشريف يمتد على طول الطريق المكشوفة من المحطة حتى مدخل نفق كدي ثم يتابع سيره عبر نفق كدي حتى مبنى الحرم وهناك يتفرع إلى جزأين يلتفان حول مبنى الحرم لتكوين حلقة دائرية متكاملة. ويبلغ طول النفق كيلومترين، ويمر بالنفق أنابيب معزولة ناقلة للمياه. وقد جهز النفق بجميع وسائل الإضاءة والتهوية وأجهزة السيطرة والتحكم التلقائي، وتمت أيضاً إعادة تصميم وتوزيع الخدمات ضمن المناطق الفاصلة بين المسجد الحالي ومبنى التوسعة بما يسمح بأداء أفضل للخدمات بما في ذلك تصريف مياه الأمطار وتوفير موارد لشرب ماء زمزم وشبكات لإطفاء الحريق ومخارج لمياه التنظيف.

ويأتي مشروع تحويل أنفاق السيارات والمشاة وتهيئة الساحات المحيطة بالمسعى للصلاة متمماً لهذه المشروعات، حيث تم تعديل الطريق الدائرية الأولى ما بين شارع أجياد ومنطقة شعب علي والقشاشية بترحيل مسارها شرقاً مع المحافظة على المقطع العرضي النموذجي للطريق الذي يتكون من مسارين بكل اتجاه وزيادة مسار إضافي لتأمين الحركة المرورية عند التقاطعات. وقد تم إنشاء أربعة جسور لتأمين الحركة على الطريق الدائرية بالإضافة إلى عدد من المنحدرات لتأمين حركة الالتفاف. وكذلك تم تعديل أنفاق المشاة الموصلة إلى الصفا.

ولكي تتم تهيئة الساحات المحيطة بالمسعى للصلاة، كان لابد من توسعة المنطقة شرق المسعى، وإزالة دورات المياه الموجودة تحت الأرض، وإزالة الجسور الحديدية، وتمهيد المنطقة التي تبلغ مساحتها ٤١٠٠٠ متر مربع، منها مساحة تبلغ ٣١٥٠٠ متر مربع أصبحت ساحات مبلطة بالرخام الأبيض ومحاطة بأسوار برونزية مجهزة للصلاة. كما تم إنشاء مبنى جديد لدورات المياه شمالي ساحات المسعى مكون من دورين يضم ١٤٤٠ دورة مياه و١٠٩١ نقطة وضوء و١٦٢ نافورة لمياه الشرب مع ممرات تسهل انتقال المصلين من القشاشية إلى ساحات الصلاة الجديدة دون أية إعاقة لحركة المرور. كما روعي تأمين دورات مياه خاصة للنساء بمداخل مستقلة.

مشروع نفق المرور بالسوق الصغير

يمتد نفق السوق الصغير من شارع أم القرى وشارع جبل الكعبة حتى شارع أجياد. ويتألف النفق من مسارين منفصلين بجزيرة وسطية. الأول، لدخول القادمين من غرب مكة ومن جدة، والمسار الآخر للقادمين من شرق مكة ومن المشاعر، والغرض من إنشاء هذا النفق هو الفصل بين حركة انتشار المصلين في الساحات وحركة الحافلات والسيارات التي تستخدم النفق، وتحويل المنطقة أعلى النفق إلى ساحات للصلاة ومنطقة خاصة بالمشاة.

وهناك العديد من المشروعات التي تم تنفيذها بتوجيهات من خادم الحرمين الشريفين لخدمة ضيوف الرحمن، في الأعوام السابقة ومنها إنشاء ستة جسور بالمسعى لفصل حركة دخول وخروج المصلين من وإلى الحرم عمن يؤدون شعيرة السعي، حتى يتمكنوا من أدائها بكل يسر وسهولة، وكذلك مشروع تبريد مياه زمزم آلياً ومشروع رصف صحن المطاف برخام فاخر خاص عاكس للحرارة. كما تمت توسعة صحن المطاف حول الكعبة المشرفة.

تاريخ توسعة المسجد النبوي الشريف

المسجد النبوي الشريف، أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، ويرجع تاريخه إلى تاريخ الهجرة النبوية، ففي العام الأول من الهجرة النبوية الشريفة، تم بناء المسجد النبوي باتجاه بيت المقدس (الأقصى المبارك) أي باتجاه الشمال في بداية الأمر، حتى نزل قول

توسعات الحرم المكي الشريف عبر التاريخ

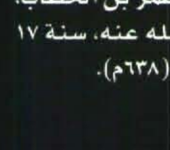


التوسعة التي قامت بها قبيلة قريش عام ٦٠٤ ميلادية.



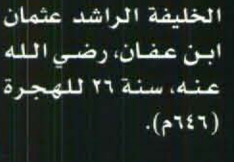


التوسعة التي قام بها أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، سنة ١٧ للهجرة (٦٣٨م).



التوسعة التي قام بها الخليفة الراشد عثمان ابن عفان، رضي الله عنه، سنة ٢٦ للهجرة (٦٤٦م).





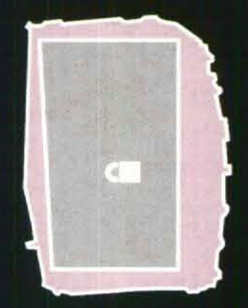
التوسعة التي قام بها عبدالله بن الزبير، رضي الله عنه، سنة ٦٥ للهجرة (٦٨٤م).



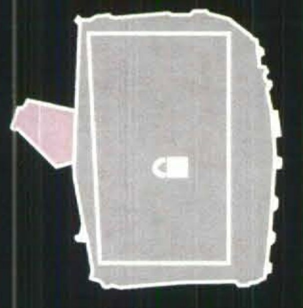
التوسعة التي قام بها الخليفة الأموي، الوليد بن عبدالملك، سنة ٩١ للهجرة (٧٠٩م).



التوسعة التي قام بها الخليفة العباسي، أبو جعفر المنصور، سنة ١٣٧ للهجرة (٧٥٤م).

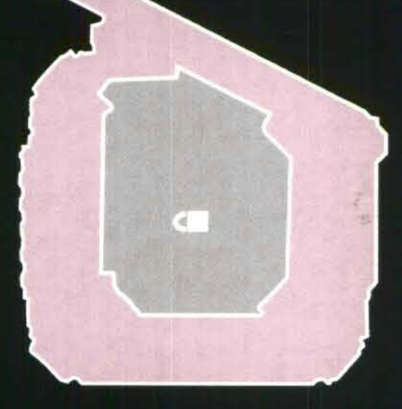


التوسعة التي قام بها الخليفة العباسي، المهدي بين سنتي ١٦١ و ١٦٤ للهجرة (٧٧٧-٧٨٠م).



التوسعة التي قام بها الخليفة العباسي، المعتضد، سنة ٢٨٤ للهجرة (٨٩٧م).

التوسعة التي قام بها الخليفة العباسي، المقتدر، سنة ٣٠٦ للهجرة (٩١٨م).

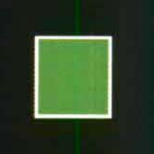


التوسعة التي قام بها صاحبا الجلالة الملكان سعود وفيصل ابنا عبدالعزيز ال سعود بين سنتي ١٣٧٥ و١٣٩٦ للهجرة (١٩٥٥-١٩٧٦م).



التوسعة التي قام بها خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، بين سنتي ١٤٠٩ و ١٤١٦ للهجرة (١٩٨٨-١٩٩٥م).

توسعات المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ



المسجد النبوي كما بناه الرسول عليه الصلاة والسلام.

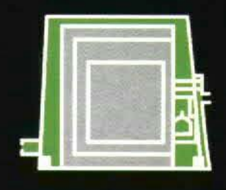


التوسعة التي قام بها الرسول ﷺ عقب غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة (٦٢٨م).



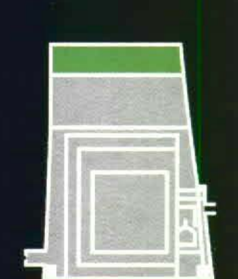


التوسعة التي قام بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في السنة السابعة عشرة للهجرة (٦٣٨م).

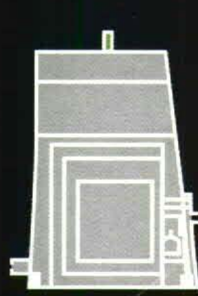


التوسعة التي قام بها الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، خلال سنتي ٢٩ و ٣٠ للهجرة (٦٤٩-٦٥٠م).

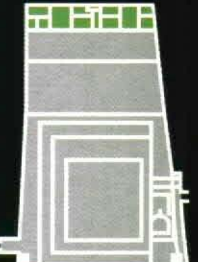
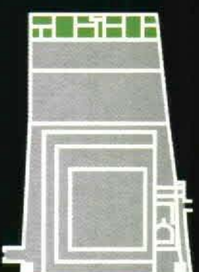
التوسعة التي قام بها الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك، بين سنتي ٨٨ و ٩١ للهجرة (٧٠٦-٧٠٩م).



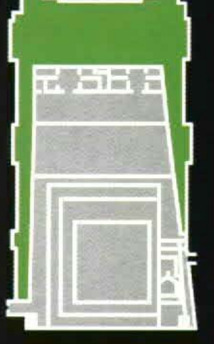
التوسعة التي قام بها الخليفة العباسي المهدي، بين سنتي ١٦١ و ١٦٥ للهجرة (٧٧٧-٧٨١م).



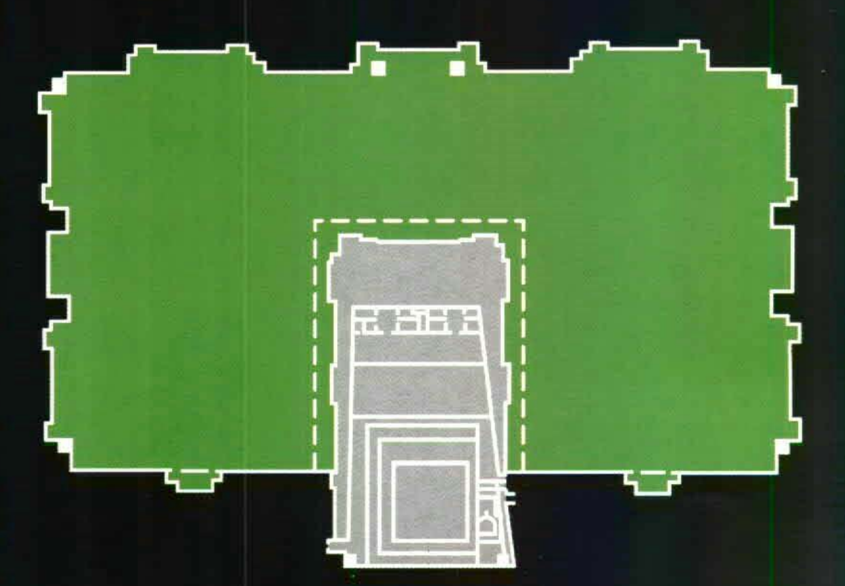
التوسعة التي قام بها السلطان الأشرف قايتباي، سنة ٨٨٨ للهجرة (١٤٨٣م).

التوسعة التي قام بها السلطان العثماني عبدالمجيد، بين سنتي ١٢٦٥ و ١٢٧٧ للهجرة (١٨٤٨ - ١٨٦٠م).



التوسعة التي قام بها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م).



التوسعة التي قام بها خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز، بين سنتي ١٤٠٩ و ١٤١٦ للهجرة (١٩٨٨-١٩٩٥م).

الرسوم مأخوذة بتصرف عن كتاب «مكة المكرمة والمدينة المنورة» للمصور الياباني المسلم علي كازايوشي نوماشي (من منشورات أبرتشر عام ١٩٩٧م - الرقم الدولي المعياري للكتاب: X-٧٥٢-٨٩٢٨١-٠)

الله تعالى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٤]. فتحولت القبلة باتجاه المسجد الحرام نحو الجنوب وذلك بعد خمسة أشهر من تمام بناء المسجد.

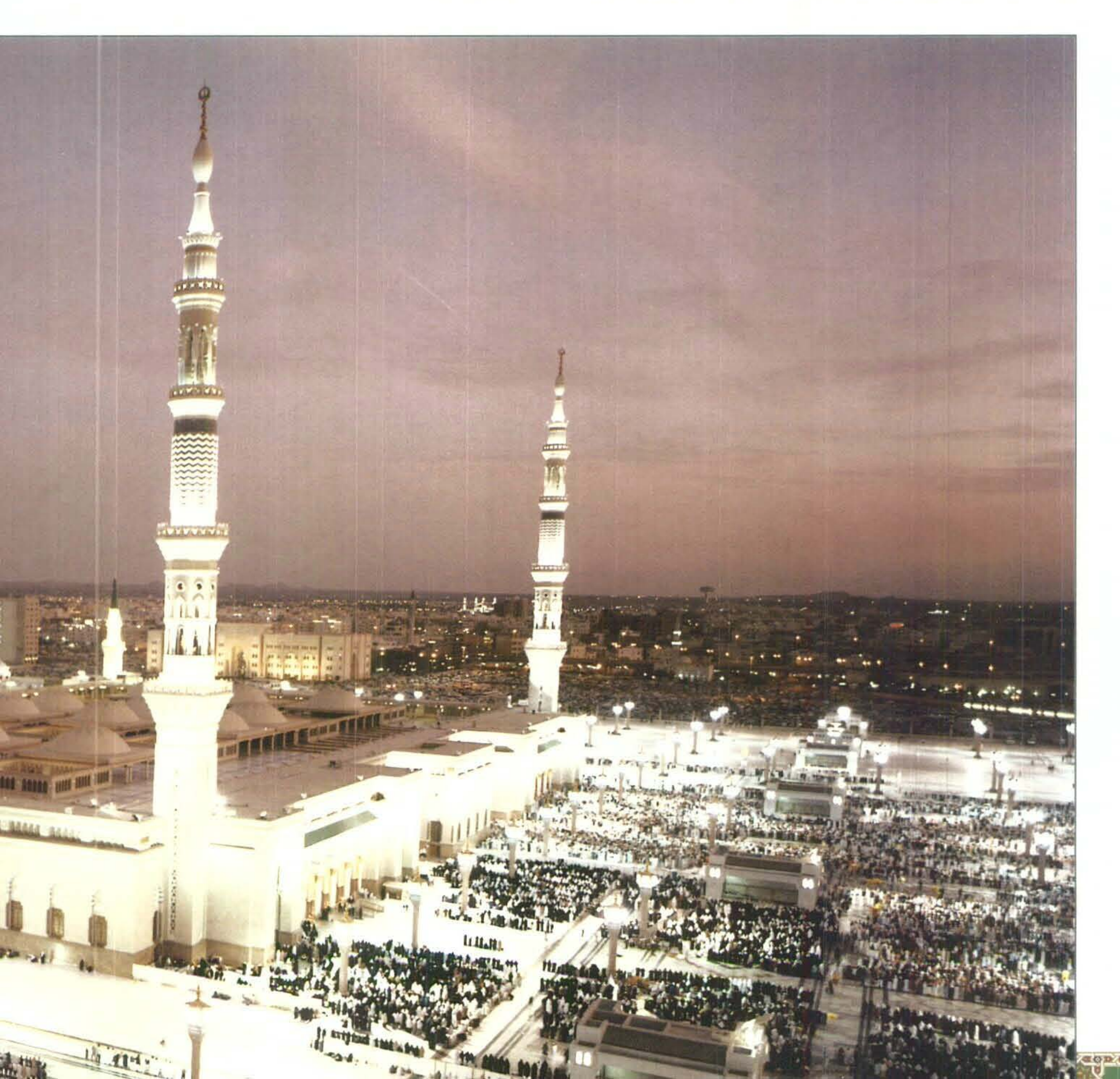
بني المسجد على مربد ابتاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير من مال أبي بكر، رضي الله عنه، من أخوين يتيمين هما سهل وسهيل ابنا نافع بن عمر بن ثعلبة من بني النجار. وكان هذا الموقع هو الذي بركت فيه الناقة التي كانت تحمل المصطفى، صلى الله عليه وسلم، أثناء هجرته.

بنى الرسول، ﷺ، مسجده من اللبن وجذوع النخل، وجعله ستين ذراعاً من الشرق إلى الغرب وسبعين ذراعاً من الشمال إلى الجنوب

وبعد عودته، صلى الله عليه وسلم، من غزوة خيبر، في السنة السابعة من الهجرة جدده وزاد فيه ثلاثة أعمدة أي جعله مائة ذراع في مائة ذراع، وكان ارتفاع سقفه خمس أذرع في العمارة الأولى وسبع أذرع في العمارة الثانية. وقد اشترك، صلى الله عليه وسلم، بنفسه مع أصحابه رضوان الله عليهم، في العمارة ووضع أول حجر في أساسه ونقل مع أصحابه اللبن والحجارة بيده الشريفة. وقد بلغت مساحته آنذاك ٢٤٧٥ متراً مربعاً.

تجديد وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ

أول من جدَّد عمارة مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الخليفة أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، لكنه لم يحدث تغييراً في شكله ولم يزد فيه.



● الزيادة الثانية :

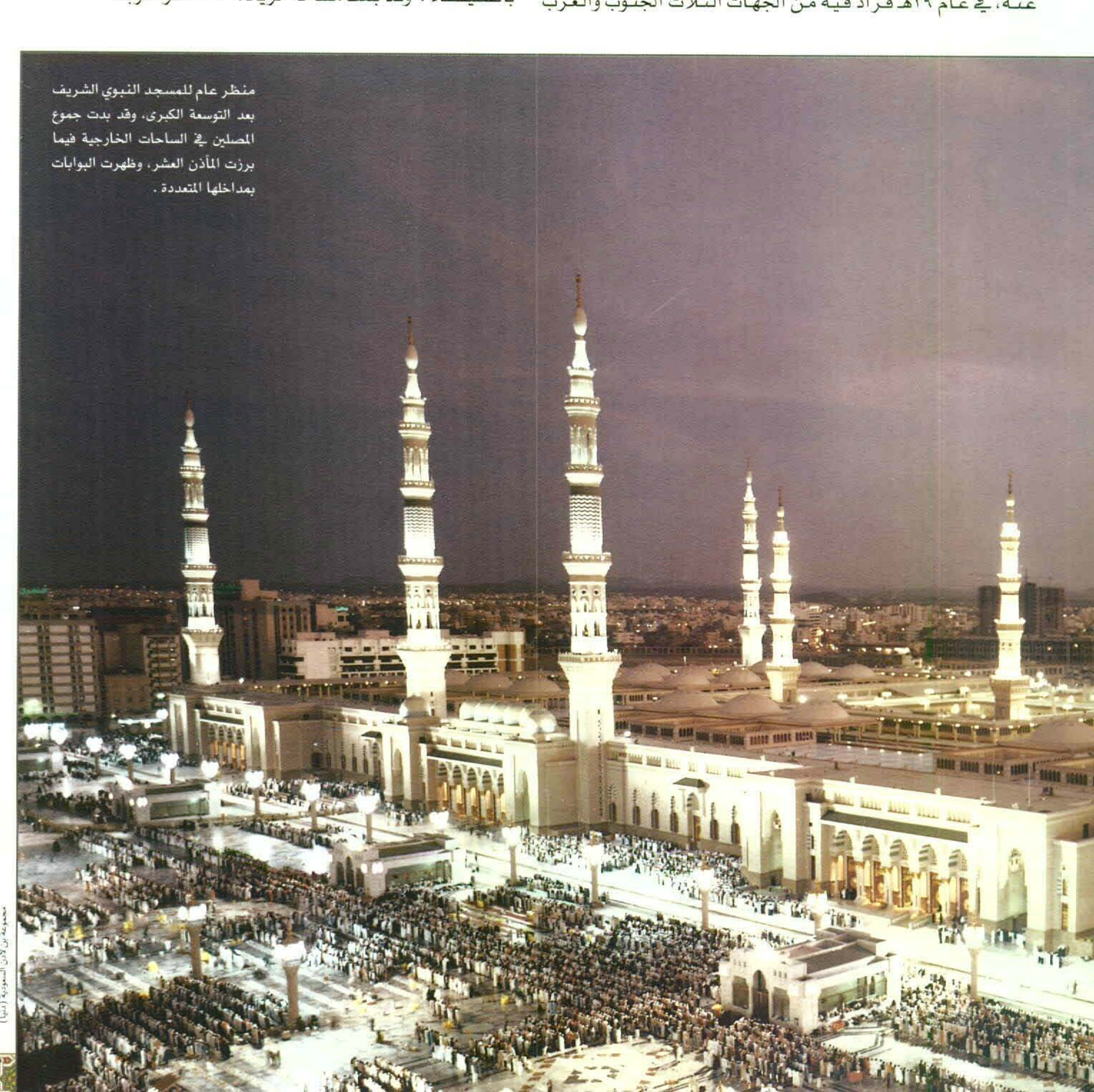
زاد فيه أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في عام ١٧هـ، عشرين ذراعاً في الجهة الغربية وعشر أذرع في الجهة الجنوبية وثلاثين ذراعاً في الجهة الشمالية، وجعل له ستة أبواب، في كل جهة من الجهات الثلاث بابان، وجعل فيه حصوة غير مسقوفة. وكانت عمارته كذلك باللبن وجذوع النخل وبلغت مساحة الزيادة ١١٠٠ متر مربع.

● الزيادة الثالثة :

بعد ذلك جاء الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه، في عام ٢٩هـ فزاد فيه من الجهات الثلاث الجنوب والغرب والشمال عشر أذرع في كل منها، وأنشأ فيه محرابه المشهور باسمه الآن. وبناه بالحجارة المنقوشة والجص والأعمدة المحشوة بالحديد وسقّفه بخشب الساج، وقد بلغت مساحة الزيادة ٤٩٦ متراً مربعاً.

● الزيادة الرابعة :

زاد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك سنة ٨٨هـ، على يد عامله بالمدينة المنورة عمر بن عبدالعزيز ، من الغرب عشرين ذراعاً فأدخل حجرات أمهات المؤمنين بعد التعويض لهن بما أرضاهن وأقام الدائر المخمس على الحجرة الشريفة من جهة الشمال، وجدد بناء المسجد بالحجارة المنقوشة وحلاه بماء الذهب وزخرف حيطانه بالرخام وحلاها بالفسيفساء . وقد بلغت مساحة الزيادة ٢٣٦٩ متراً مربعاً.



منظر عام للمسجد النبوي الشريف بعد التوسعة الكبرى، وقد بدت جموع المصلين في الساحات الخارجية فيما برزت المآذن العشر، وظهرت البوابات بمداخلها المتعددة .



منظر داخلي للمسجد النبوي
الشريف بعد التوسعة الكبرى وقد
بدت الأعمدة بجمال تصميمها
وروعة فنها ودقة تنفيذها.

• الزيادة الخامسة

تمت هذه الزيادة في عهد الخليفة العباسي المهدي بن الخليفة المنصور سنة ٣٦٥ هـ وقد زاد فيه مائة ذراع من الشمال وكانت عمارته على طريقة عمارة الوليد. وقد بلغت مساحة الزيادة فيه ٢٤٥٠ متراً مربعاً. وبعد ذلك بسنوات عديدة أحدث الناصر لدين الله قبة في صحن المسجد، كما أن المسجد النبوي احترق في عام ٦٥٤هـ فاشترك في عمارته عدد من حكام مصر واليمن.

• الزيادة السادسة:

زاد السلطان قايتباي الأشرف المحمودي عام ٨٨٨هـ شيئاً يسيراً في الحجرة الشريفة بإقامة الإفريز الأخضر الموجود الآن كما بنى قبة زرقاء عليه. وتمثلت زيادته في الممر العام داخل الحجرات حيث بلغت مساحتها ١٢٠ متراً مربعاً. ثم أنشأ السلطان محمود العثماني، في عام ١٢٣٣هـ، قبة أخرى على الحجرة الشريفة ودهنها باللون الأخضر، فأصبحت تسمى القبة الخضراء، وهي فوق القبة الزرقاء.

• الزيادة السابعة:

وقد تمت في عهد السلطان عبدالمجيد العثماني وشملت إضافة القسم المسقوف من الجهة الشمالية من حدود المنارة المجيدية إلى حدود المنارة السليمانية. كما أنشأ فيها كتاتيب ومخزناً للزيت الذي كان يضاء به الحرم النبوي الشريف. وتقدر مساحة الزيادة بـ ١٢٩٣ متراً مربعاً وبهذه الزيادة تنتهي الزيادات من الشمال في العهد العثماني. أما من جهة الشرق فقد زاد السلطان عبدالمجيد العثماني الرواق الواسع الذي يحتوي على الشبابيك الثلاثة، وأنشأ دكة تسمى دكة شيخ الحرم النبوي الشريف وباب جبريل وباب الجبر، وقد تمت هذه الزيادة خلال الفترة من ١٢٦٥هـ إلى ١٢٧٧هـ. بينما استمرت أعمال الزخرفة والنقوش ثلاث سنوات أخرى وانتهت عمارة الحرم النبوي الشريف في العهد العثماني في عام ١٢٨٠هـ.

أما أعمال الترميم والتجديد دون زيادة فكانت تجديد المعتصم والظاهر بيبرس والبندقداري وتجديدات الملك الناصر محمد بن قلاوون والأشرف برسباي والظاهر جقمق والسلطان سليمان.

العمارة والتوسعة السعودية للمسجد النبوي الشريف

لم يكن الاهتمام بعمارة وتوسعة الحرم النبوي الشريف منفصلاً عن عمارة وتوسعة الحرم المكي الشريف. إذ حظي الحرمان الشريفان، كما ذكرنا، بأولويات الاهتمام والعناية من لدن الدولة السعودية في وقت مبكر، فقد اهتم مؤسس هذه البلاد وموحدها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - بعمارة وتوسعة مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما اهتم بعمارة وتوسعة الحرم المكي الشريف.

وقد كان من اهتمامه البالغ - رحمه الله - بعمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف أن أعلن عن هذه التوسعة في شهر رمضان عام ١٣٦٨هـ. وأحضر المهندسين والرسامين والفنيين لوضع الخرائط اللازمة للعمارة والتوسعة.

وقد تمت إزالة الأروقة الثلاثة لصحن المسجد، الشرقي والغربي والشمالي، وبقي الرواق الجنوبي. و بلغت مساحة التوسعة ٦٠٢٤ متراً مربعاً، بينما كانت المساحة الكلية للمسجد النبوي قبل هذه التوسعة ١٠٣٠٣ أمتار مربعة. وأصبحت بعد هذه التوسعة ١٦٣٢٧ متراً مربعاً. وجُلب لهذا العمل الجليل المهندسون والفنيون والإداريون والمحاسبون والعاملون كما جلبت الآلات والمعدات الحديثة وأنشئ مكتب خاص لإدارة هذا العمل والإشراف عليه. ويمكن رصد أعمال هذه التوسعة وتواريخها في النقاط التالية:

- في ١٣ من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٢هـ وضع جلالة الملك سعود - رحمه الله - وقد كان ولياً للعهد آنذاك، الحجر الأساس بيده الكريمة. وفي ١١ شعبان ١٣٧٢هـ بدئ في حفر الأساسات في الجهة الغربية.
- في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ بدأ جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز وكان ما يزال ولياً للعهد بيده عمارة المسجد فوضع أربعة أحجار في إحدى زوايا الجدار الغربي تأسياً بالرسول، صلى الله عليه وسلم، وقد كتب على هذه الحجارة تاريخ بنائها.
- أُنشيء من أجل عمارة المسجد مصنع للأحجار الصناعية (المزايكو)، وأنشئت ورشة خاصة بالمدينة المنورة، زودت بالمهندسين الميكانيكيين والفنيين، وكلهم سعوديون.
- بلغ طول كل من الجدارين الغربي والشرقي ١٢٨ متراً والجدار الشمالي ٩١ متراً، وعدد الأعمدة المربعة المحيطة بالجدار ٤٧٤ عموداً، والمستديرة ٢٣٢ عموداً، وعدد العقود الجديدة ٦٨٩ عقداً، وعدد النوافذ ٤٤ نافذة، وعمق الأساسات للجدران والأعمدة ٤ أمتار، وعمق أساسات المآذن ١٧ متراً، وعدد المآذن الجديدة، اثنتان، وعدد البوابات الشمالية ٥، والوسطى ٣، وكل من الشرقية والغربية ٣، والأبواب الجديدة ٩.
- افتتح الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله - التوسعة في شهر ربيع الأول ١٣٧٥هـ بحضور وفود من البلاد العربية والإسلامية وعدد من العلماء والوزراء في مهرجان عظيم، أقيم في الجهة الغربية للمسجد النبوي الشريف. وفتح بيده الكريمة الباب السعودي للمسجد النبوي ودخل ومعه جميع الوفود، حيث اطلعوا على عظمة العمارة الجديدة وفخامتها ومتانتها، تلك العمارة التي أمر بها الملك عبدالعزيز، وقد كانت موضع اهتمام ورعاية الملك سعود بن عبدالعزيز فيما بعد وولي عهده آنذاك فيصل ابن عبدالعزيز رحمهم الله جميعاً.



أرامكو السعودية

الشكل النهائي للمظلات الواقية للمصلين من حرارة الشمس في المسجد النبوي الشريف.

العمارة والتوسعة الكبرى للمسجد النبوي الشريف في عهد خادم الحرمين الشريفين

تشرف خادم الحرمين الشريفين بتنفيذ أكبر مشروع توسعة للمسجد النبوي الشريف عرفها التاريخ منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكانت الدولة قد قررت في عام ١٣٩٢هـ في عهد الملك فيصل - رحمه الله - نزع ملكية الدور التي بجوار المسجد النبوي الشريف من الجهة الغربية فبدأ العمل في إزالة تلك الدور في شهر ربيع الآخر عام ١٣٩٣هـ . ولم يمض سوى سبعة أشهر حتى أصبحت مواقع الدور التي أزيلت ساحة صالحة للصلاة بعد أن هيئت فيها مظلات مؤقتة تقي المصلين حرارة الشمس.

وبعد مبايعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - ملكاً على المملكة العربية السعودية، في شعبان ١٤٠٢هـ، كان شغله الشاغل توفير الرعاية لحجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسول الله، وقد شعر أن المظلات السابقة غير كافية ولا تفي بالغرض المنشود أمام تزايد أعداد المصلين والزائرين. لذلك عند زيارته للمدينة المنورة في شهر المحرم ١٤٠٣هـ أمر بتوسعة مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، توسعة كبرى تستوعب أكبر عدد ممكن من المصلين. بحيث تمتد هذه التوسعة من جهة الغرب حتى شارع المناخة ومن الشرق إلى شارع أبي ذر بمحاذاة البقيع ومن الشمال حتى شارع السحيمي. ولم يمض وقت طويل حتى وضع خادم الحرمين الشريفين حجر الأساس لهذه التوسعة الكبرى في يوم الجمعة، التاسع من شهر صفر ١٤٠٥هـ (٢ نوفمبر ١٩٨٤م) . وفي السادس من شهر المحرم ١٤٠٦هـ (سبتمبر ١٩٨٥م) كانت البداية في هذا المشروع العملاق.

• مبنى التوسعة :

يتضمن مشروع توسعة وعمارة خادم الحرمين الشريفين للحرم النبوي الشريف، إضافة مبنى جديد، يحيط ويتصل بالمبنى القائم من جهات الشمال والشرق والغرب بمساحة قدرها ٨٢٠٠٠ متر مربع، تستوعب ١٦٧٠٠٠ مصل. وبذلك تصبح المساحة الإجمالية بعد التوسعة حوالي ٩٨٥٠٠ متر مربع. كما تمت أيضاً الاستفادة من سطح التوسعة للصلاة بعد تغطيته بالرخام بمساحة قدرها حوالي ٦٧٠٠٠ متر مربع تستوعب حوالي ٩٠٠٠٠ مصل. وبذلك أصبح المسجد النبوي الشريف بعد هذه التوسعة العملاقة يتسع لأكثر من ٢٧٠٠٠٠ مصل ضمن مساحة إجمالية قدرها ١٦٥٥٠٠ متر مربع. وتتضمن التوسعة إنشاء قبو بمساحة

الدور الأرضي للتوسعة لاستيعاب تجهيزات التكييف والتبريد والخدمات الأخرى .

• الساحات:

اشتمل مشروع التوسعة على إحاطة المسجد النبوي الشريف بساحات تبلغ مساحتها ٢٣٥٠٠٠ متر مربع، تم تبليطها بالرخام والجرانيت وفق أشكال هندسية بطرز إسلامية وألوان متعددة جميلة، ويستعمل جزء كبير من هذه الساحات للصلاة، مما جعل الطاقة الاستيعابية للمسجد والساحات المحيطة به تصل إلى ٧٠٠٠٠٠ مصل. يمكن للمسجد استيعاب حوالي مليون مصل في أوقات الذروة، باستخدام المسجد وسطح التوسعة والساحات المحيطة بالحرم النبوي.

وتضم هذه الساحات مداخل لأماكن الوضوء وبعض الخدمات التي تتصل بمواقف السيارات التي توجد في دورين تحت الأرض. وقد خصصت هذه الساحات للمشاة فقط، وتمت إضاءتها بوحدات إضاءة خاصة مثبتة على ١٥١ عموداً مكسوة بالجرانيت والحجر الصناعي، وتحيط بالساحات أسوار زخرفية وبوابات من كل جانب.

أما الحصوتان المكشوفتان الواقعتان ضمن التوسعة السعودية الأولى، فقد نُصبت اثنتا عشرة مظلة ضخمة فيهما، ست مظلات لكل من الحصوتين، بارتفاع السقف، تظلل كل منها ٣٠٦ أمتار مربعة، يتم فتحها وإغلاقها تلقائياً، وذلك لحماية المصلين من وهج الشمس والاستفادة من الجو الطبيعي عندما يكون مناسباً.

• الخصائص العمارية :

صمم الطابق الأرضي للتوسعة بارتفاع ١٢,٥٥ متر والدور السفلي للخدمات بارتفاع ٤ أمتار ، ويبلغ عدد الأعمدة بالدور الأرضي ٢٠٢٨ عموداً مكسوة بالرخام وبها تيجان نحاسية تحتوي على مكبرات الصوت، ولكل عمود قاعدة رخامية بها فتحات تكييف نحاسية، وتتباعد هذه الأعمدة عن بعضها بمسافة ٦ أمتار أو ١٨ متراً لتشكل أروقة وأفنية داخلية تنسجم مع الإطار العام للتوسعة.

• القباب المتحركة :

زود المسجد بسبع وعشرين قبة متحركة قطر كل منها ١٨ متراً وزنتها ٨٠ طناً، فيما تغطي مساحة مقدارها ٣٢٤ متراً مربعاً. وتتميز هذه القبب بخاصية الانزلاق على مجار حديدية مثبتة فوق سطح التوسعة، ويتم فتحها وإغلاقها بالكهرباء عن طريق التحكم عن بعد، مما يتيح الاستفادة من التهوية الطبيعية في الفترات التي تكون فيها الأحوال الجوية مناسبة. وتنفيذاً للتوجيهات السامية الكريمة، فقد روعي في التصميم أن يكون متوافقاً مع أحدث طرق الإنشاء وأفضل أساليب العمارة لينسجم ويتناسق مبنى التوسعة الجديد مع مبنى المسجد القائم، كما روعي أيضاً إمكانية بناء دور ثان فوق التوسعة إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك مستقبلاً.

• المداخل والسلالم والمآذن :

تضم التوسعة سبعة مداخل رئيسة بالجهات الشمالية والشرقية والغربية، ويضم كل مدخل رئيس خمس بوابات متجاورة بالإضافة إلى

صورة شاملة للمسجد النبوي الشريف بعد التوسعة الكبرى التي تمت في عهد خادم الحرمين الشريفين.


أرامكو السعودية

وزارة الإعلام

القبة الخضراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روعة الأعمدة داخل المسجد الحرام.

أرامكو السعودية

بوابتين جانبيتين. كما أن هناك مدخلين رئيسين بالجهة الجنوبية للتوسعة، يحتوي كل مدخل منهما على ثلاث بوابات متجاورة، إلى جانب وجود عشر بوابات جانبية واثنتي عشرة بوابة أخرى لمداخل ومخارج السلالم الكهربائية المتحركة التي تخدم سطح التوسعة، بينما يبلغ عدد البوابات الخشبية الخارجية للتوسعة ١٤٢ منها ٦٥ بوابة كبيرة. واضافة إلى ذلك هناك ثمانية عشر سلماً داخلياً، كما يوجد بالتوسعة ستة مبان للسلالم الكهربائية المتحركة تحتوي على ٢٤ سلماً كهربائياً. وفي وسط الجهة الشمالية للتوسعة يوجد مدخل «الملك فهد بن عبدالعزيز» وهو المدخل الرئيس للتوسعة، تعلوه سبع قباب تميزه، وتحده من كل جانب مئذنة ارتفاعها ١٠٥ أمتار تقريباً. وبذلك يكون للمسجد بعد التوسعة عشر مآذن، ست منها جديدة.

• الزخرفة :

صممت أعمال الزخرفة في التوسعة بحيث تحقق التناسق والانسجام مع نظيراتها في التوسعة السعودية الأولى، وذلك لإبراز الجانب الجمالي في الفن العماري الإسلامي. وقد شمل ذلك أعمال الحليات والزخارف والأطر لتجميل الحوائط والجسور والمآذن وأعمال الخشب المشغول كالمشربيات والشبابيك والأبواب الخشبية المطعَّمة بالنحاس، وأعمال النحاس كالأفاريز وتيجان الأعمدة والثريات المطلية بالذهب، وأعمال التكسية بالرخام المزخرف.

• الأعمال الكهربائية والميكانيكية

شملت الأعمال الكهربائية في مشروع التوسعة الجديدة، الإنارة، ومكبرات الصوت، ونظام التحكم التلقائي، والدوائر التلفزيونية المغلقة التي تغطي المسجد والساحات الخارجية، ونظام الإنارة للطوارئ، وأنظمة كشف الحرائق ومكافحتها، وغرف خاصة للوحات المفاتيح وتركيبات الإنارة وشبكات التوزيع، وأعمال الإنارة الخارجية للواجهات والمآذن.

أما الأعمال الميكانيكية، فشملت تمديدات الأنابيب لنوافير مياه الشرب المبردة، وأنابيب صرف مياه الأمطار والصرف الصحي، والتهوية، ونظام مكافحة الحريق، بالإضافة إلى مضخات المياه وأعمال تلطيف الهواء.

• التكييف :

لقد روعي عند تصميم نظام التكييف وتلطيف الهواء لمبنى التوسعة، الحفاظ على الناحية الجمالية والعمارية للمسجد، وذلك باستخدام قواعد الأعمدة المنتشرة بمبنى التوسعة ومن خلال الفتحات المصممة خصيصاً لنقل الهواء البارد. ويعد مشروع تلطيف هواء المسجد النبوي الشريف من أكبر المشروعات من نوعه في العالم، حيث تمر أنابيب التبريد بنفق للخدمات طوله سبعة كيلومترات يصل ما بين المحطة المركزية للخدمات التي توجد بها أجهزة التبريد ومولدات الكهرباء وبين مرافق التحكم في هذه الخدمات بالتوسعة.

• مواقف السيارات :

تقع مواقف السيارات في أسفل الساحات المحيطة بالحرم وتتكون من دورين وفق مواصفات حديثة تبلغ مساحتها الإجمالية ٣٩٠٠٠٠ متر مربع، وهي تكفي لاستيعاب ٤٠٠٠ سيارة.

خاتمة :

لاشك أن التاريخ سيسجل التوسعة الكبرى للحرمين الشريفين التي أمر بها خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - كأكبر وأعظم توسعة تحققت لبيت الله الحرام ومسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، في التاريخ.

لم يدع جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - مناسبة سانحة إلا وعبّر فيها بصدق عن اهتمامه بالحرمين الشريفين وبقاصديهما من كل أصقاع الأرض. وقد أتبع - رحمه الله - أقواله بالأفعال دائماً.

واليوم إذ تحتفل المملكة العربية السعودية بالذكرى المئوية الأولى لتأسيسها، يحق لها أن تشعر بالفخر والاعتزاز وهي تقوم بواجباتها على أكمل وجه تجاه حجاج بيت الله وتجاه المعتمرين والزائرين وتجاه الحرمين الشريفين وتجاه المدينتين المقدستين، مكة المكرمة والمدينة المنورة. فقد هيأت كلاً من بيت الله الحرام ومسجد رسول الله ، ﷺ، لاستيعاب أكثر من مليون مصل في وقت واحد، وهم ينعمون بأفضل الخدمات ويشعرون بالأمن والأمان والطمأنينة والسلام ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الحديد : ٢١] .

الهوامش :

١- باسلامه، حسين عبدالله «تاريخ عمارة المسجد الحرام» الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . الناشر : تهامة.
٢- باسلامه، حسين عبدالله «تاريخ الكعبة المعظمة - عمارتها وكسوتها وسدانتها» - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، الناشر: تهامة.
٣- الخيّاري، أحمد ياسين أحمد، «تاريخ معالم المدينة المنورة» الطبعة الثانية - ١٤١١هـ (١٩٩٠م) .
٤- مجموعة بن لادن السعودية «تقرير عن مشروعي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لتوسعة وعمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي» مكتب المستشار الخاص لرئيس مجلس الإدارة والمدير العام.
٥- عكاظ «توسعة وعمارة الحرمين الشريفين - رؤية حضارية» - الطبعة الثانية، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر.
٦- عطار، منصور حسين «الحرمان الشريفان قمة العمارة الإسلامية المعاصرة».
٧- عباس، حامد «قصة التوسعة الكبرى» الناشر: مجموعة بن لادن السعودية، المهندس يحيى محمد بن لادن.
٨- آل سعود، الأميرة هيا بنت محمد بن عبدالعزيز «توسعة الحرمين الشريفين في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود» .
٩- القافلة «توسعة المسجد الحرام» عدد شعبان ١٣٧٦هـ.
١٠- القافلة «توسعة وعمارة الحرمين الشريفين في العهد السعودي» ذوالحجة ١٣٩٠هـ.
١١- القافلة «المسجد النبوي الشريف - ماضيه وحاضره» عدد ربيع الأول ١٣٧٦هـ.
١٢- مجلة الجزيرة «رعاية الدولة السعودية للحرمين الشريفين ٢/١» السنة الثانية ، العدد السادس .

لقطات مصوَّرة من حياة

الملك عبدالعزيز - رحمه الله -

دخل الملك عبدالعزيز التاريخ كواحد من أعظم رجالات القرن العشرين، الذين صنعوا الأحداث وتركوا بصماتهم جلية في مسيرة أمتهم. كان بطلاً من أبطال الحرب والسلم، الذين لا تندثر سيرهم بوفاتهم، بل تتجدد على مر الزمان.

ويكفيه فخرا أنه وضع نواة أول دولة حديثة في جزيرة العرب عام ١٣١٩هـ ، نحتفل اليوم جميعا بمرور مائة عام من الزمان على قيامها. كما أن الملك عبدالعزيز هو الذي وضع حجر أساس نهضتها على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد استطاع أن ينجز تلك المآثر وسط ظروف دولية صعبة اتسمت بالصراعات الضارية، التي كانت وما تزال سمة من سمات السياسات الدولية.

وبفضل الله ثم بفضل حكمته، قاد سفينة الوطن إلى بر الأمان، ووضع بلاده على خريطة السياسة الدولية في العصر الحديث، خاصة بعد اكتشاف الزيت فيها بكميات تجارية عام ١٩٣٨م، مما أعطاها مكانة اقتصادية على الصعيد الدولي، بجانب مكانتها الدينية في العالَمين العربي والإسلامي.

ونتيجة لذلك أخذ نجم الملك عبدالعزيز بالصعود، وبدأت المملكة تلعب دورا متزايد الأهمية على جميع الأصعدة العربية والإسلامية والدولية، وانعكس ذلك في اللقاءات التاريخية التي عقدها مع زعماء العالم البارزين آنذاك.

ورغم مشاغله الكثيرة في مرحلة التأسيس، فإن الملك عبدالعزيز كان يتابع كل صغيرة وكبيرة في شؤون بلاده ، خاصة ما يتعلق منها باستثمار موارد البلاد الطبيعية من بترول وماء وزراعة، بهدف توفير سبل الاستقرار وكسب العيش لمواطنيه في البادية والحاضرة.

وبقدر ما كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - قائداً محنكاً يعرف لغة العصر الذي عايشه، فإنه كان مثال الأب المثالي الذي يهمه أن يلتقي دائما بأبنائه، ويشعرهم باهتمامه ورعايته. وهكذا.. فقد كان الملك عبدالعزيز شخصية لها بعدها العائلي والأسري الدافئ، بجانب أبعادها السياسية والاستراتيجية العميقة الجذور.

وتبين هذه الصور التاريخية التي تم التقاطها في أوقات مختلفة، بعضا من الجوانب السياسية والإنسانية والعائلية لهذا الرجل العظيم، الذي نحتفل اليوم، بفضل الله ثم بفضله، بذكرى مرور مائة عام على قيام كياننا الكبير، المملكة العربية السعودية.



جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله -
مؤسس وموحّد المملكة العربية السعودية
في صورة التقطت عام ١٩٣١م .



لالة الملك عبدالعزيز والملك فاروق يستعرضان حرس الشرف في القاهرة عام ١٩٤٦م.



الملك عبدالعزيز مجتمعاً إلى الشريف عبدالله بن الحسين ملك الأردن أثناء زيارته للمملكة العربية السعودية عام ١٩٤٦م.

لالة الملك عبدالعزيز مصحوبا بعدد من الأمراء والمسؤولين الحكوميين، أثناء زيارة لالته التفقدية للمنطقة الشرقية عام ١٩٤٧م.



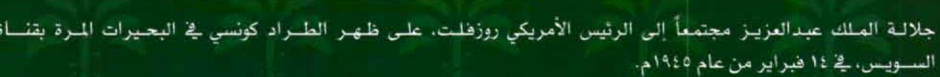


جلالة الملك عبدالعزيز في شرفة قصر خزام بجدة ويبدو بجانبه بعض أنجاله.



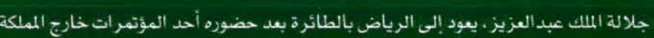






جلالة الملك عبدالعزيز مجتمعاً إلى الرئيس الأمريكي روزفلت، على ظهر الطراد كونسي في البحيرات المرة بقناة السويس، في ١٤ فبراير من عام ١٩٤٥م.

جلالة الملك عبدالعزيز وعدد من أنجاله في قصر المربع في الرياض، في لقطة تعود للأربعينيات من هذا القرن.



جلالة الملك عبدالعزيز، يعود إلى الرياض بالطائرة بعد حضوره أحد المؤتمرات خارج المملكة





قر الجزيرة، جلالة الملك عبدالعزيز، في لحظة تأمل.

جلالة الملك عبدالعزيز، ويقف خلفه جلالة الملك سعود، عندما كان ولياً للعهد، وجلالة الملك فيصل، عندما كان نائباً للملك في الحجاز.



لقطة داخل خيمة الاحتفالات الملكية، تُظهر جلالة الملك عبدالعزيز وبجانبه جلالة الملك سعود عندما كان ولياً للعهد أثناء الاحتفال بمناسبة اكتمال سكة حديد الدمام - الرياض عام ١٩٥١م.

جلالة الملك عبدالعزيز وعدد من أفراد عائلته الكريمة في صورة جماعية التقطت في قصر جلالته في الرياض عام ١٩٤٦م. ويبدو فيها جلالة الملك سعود -رحمه الله- عندما كان ولياً للعهد، وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد - يحفظه الله.

ماذا يقول الشعر

أَحْجَمَ الشّعرُ واعتراه الذُّهولُ ... ما الذي عنكِ يا بلادي يقولُ؟
أنتِ فوق الذُّرا شُموخاً وقَدْراً ... عزّ في المرتَقَى إليكِ الوصولُ
أنتِ أحرى بكلّ معنىً جميلٍ ... جَمَعَتْ شملها لديكِ الفُصُولُ
أنتِ أسمى من القريضِ وأزكى ... فيك أمُّ القُرى ومنكِ الرسولُ
أنا أهواكِ نائياً ومُقيماً ... يعذُبُ القولُ في هواكِ يطولُ
التفاعيلُ أعجزَتْها المعاني ... فتهاوت مَفَاعِلُن وفعُولُ

يا بِلادي أذوبُ فيكِ اشتياقاً ... بَوْحُكِ الفجرُ والضُّحى والأصيلُ
أتحدّى عواصفَ البينِ أمْضِي ... في دروب الهَوَى وحَظّي بخيلُ
كُلَّما حاولَ الرُّسُوَّ سفِيني ... شَتَّت الكيدُ شملها والفضولُ
يا بلادي كبيرةٌ أنتِ شأناً ... لم تنلْ من عُلاكِ قالٌ وقيلُ

هزَّ وجدانَ صقرِ آل سعودٍ ... مجدُ آبائِهِ العظيمُ الأثيلُ
فاستَحثَّ الخُطا وحثّ الليالي ... فتحامى لقاءه المستحيلُ
أيقظَ الأرضَ من سباتٍ تمشَّى ... في شرايينها وبئس الخليلُ
مدّ كفَّيهِ مُنقذاً واجتباها ... والمُنَى حولها صهيلٌ صليلُ
جاء لا يرهبُ المسافاتِ صُلباً ... يتحدَّى خصومهُ ويجولُ
جاء يُحيي تراث أمسٍ مجيدٍ ... فاز في ساحِهِ الصَّمُوتُ الفَعُولُ

عنكِ .. يا بلادي؟

شعر : أحمد سالم باعطب

وانبرى يُطْعِمُ السُّرى للصحارى ... واقتفى خطوه الكرامُ الفُحُولُ

إن ليلاً أتى يَزُفُّ إلينا ... فجرَ فتح الرياضِ يومٌ جميلُ

أشرقتْ بالمُنَى القلوبُ وفاضت ... حُلُماً وانطوى العذاب الطويلُ

هذَّبَ الصقرُ بالَّتي والَّتيَّا ... أنفسا دأبُها الحِوارُ العليلُ

لم يَذرْ في جزيرة العُربِ عضوا ... ينفثُ السُّمَّ بالوباءِ يجولُ

«غربل» الناسَ والزمانَ فألفى ... أنَّ عِبءَ الخلافِ عبءٌ ثقيلُ

فروى الأرض بالسلام فشبَّتْ ... هِجَرٌ أينعت وطابت سُهُولُ

ورأى وحدة الشعوب سبيلا ... للتآخي ونعم ذاك السَّبيلُ

سار من خَلْفِهِ كواكبُ عزٍّ ... ما دنا ليلةً إليها الأفولُ

كان مفتاحُ نصرها بيد الصَّقـ ... ـرِ وفي قلبه الجريء الدليلُ

فجَّرتْ كفُّهُ ينابيعَ شتَّى ... ماؤها يُطفئُ الصَّدَى سلسبيلُ

إنّ عبدَ العزيزِ حقق مُلكاً ... عالميّاً تَحَارُ فيه العقُولُ

وقف الناسُ صامتينَ انبهاراً ... أبصروا الأرضَ بالنُّضَار تَسِيلُ

ومضى الموكبُ العظيمُ طَموحاً ... والعُلىَ للطُّموح غُنْمٌ ضئيلُ

قادةٌ تعشقُ السلامَ وأرضٌ ... تفتديها النُّهَى وشعبٌ أصيلُ

وعقودٌ من السِّنين حِسَانٌ ... عَشْرةٌ زانها الكفاحُ النَّبِيلُ

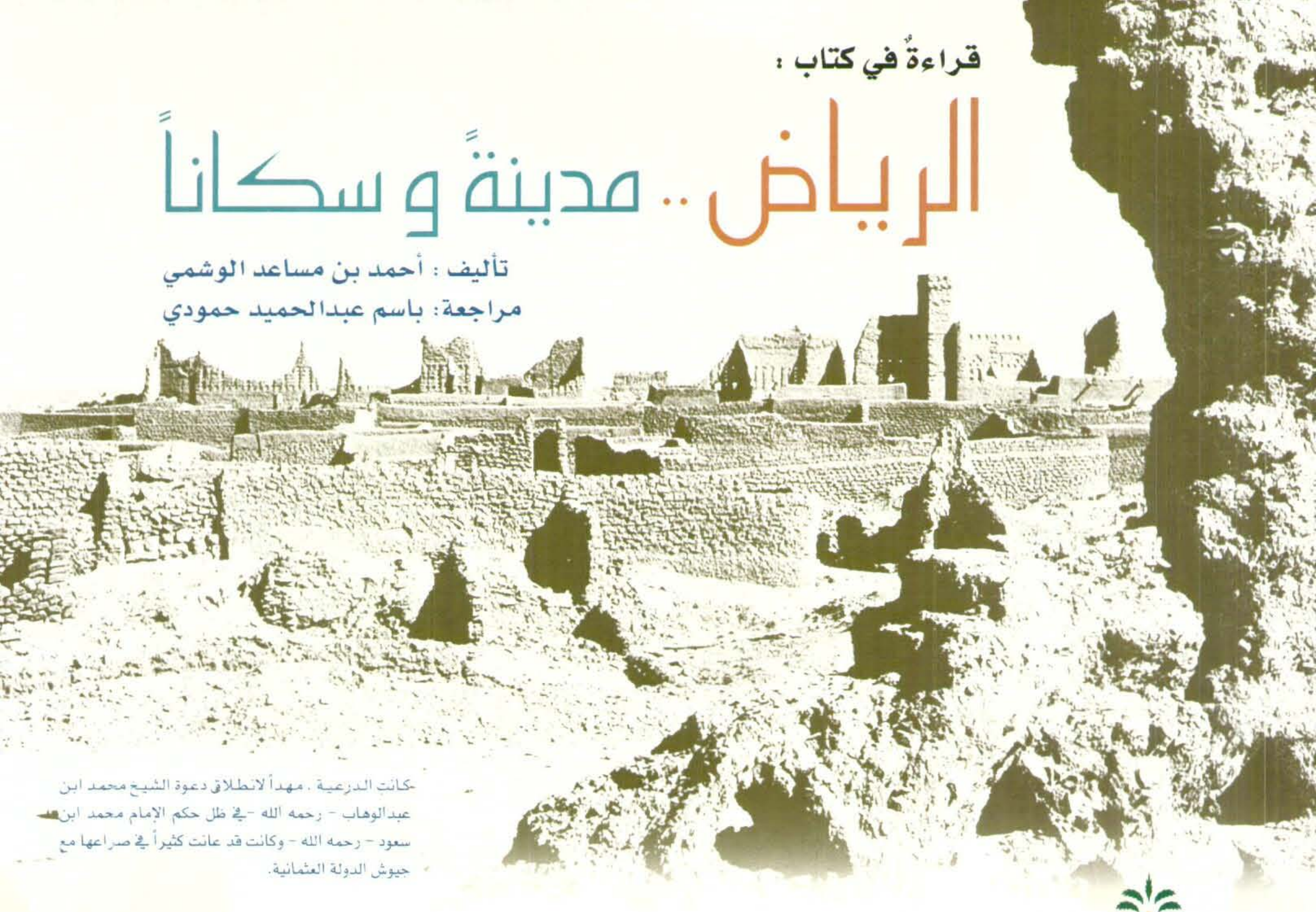
وإذا كانت العزائمُ شُمّاً ... والخُطَا وثبةٌ ومغزىً جليلُ

بلغت ذُروةَ العُلى، راحتاها: ... رغدُ العيشِ والنعيم الظليلُ

قراءةٌ في كتاب :

الرياض.. مدينةً وسكاناً

تأليف : أحمد بن مساعد الوشمي
مراجعة: باسم عبدالحميد حمودي



كانت الدرعية . مهداً لانطلاق دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب - رحمه الله - في ظل حكم الإمام محمد ابن سعود - رحمه الله - وكانت قد عانت كثيراً في صراعها مع جيوش الدولة العثمانية.

يستنطق كتاب «الرياض .. مدينةً وسكاناً» للأستاذ أحمد بن مساعد الوشمي، التاريخ الاجتماعي والعماري لمدينة الرياض، خلال النصف الثاني من القرن الهجري الرابع عشر، مع إشارات للفترات الماضية. وتتجلى أهمية هذا الكتاب الوثائقية في اعتماده مصادر الرواية المباشرة، عن طريق الرواة، من المخضرمين والمعمرين وإثباته لأسمائهم، وفي مراجعته للمتيسر من الكتب المساعدة، وفي توثيقه للتطور العماري بالصور الفوتوغرافية.

إن الكثير من الشواخص العمارية، والمادة الاجتماعية يضيع بحكم الزمن ومسيرته، وذلك لا يعني الرياض وحدها. بل كل بؤرة اجتماعية مدينية. لذا يبدو الحرص على التوثيق للكيان الاجتماعي والعماري القديم مهما لكل باحث في الإثنوغرافيات، وفي التاريخ الشعبي، وفي العمارة والأزياء والعادات والتقاليد. إنها قصة حياة مدينة تزدهر وتتوهج، ممتدة عبر التاريخ.

لقد درس العرب المسلمون قديماً البلدان والمدن التي حرروها بالإسلام، ووقفوا على عاداتها وتقاليدها وعمارتها، كما درسوا خطط المدن الجديدة التي ابتنوها، كالبصرة والكوفة وبغداد والفسطاط والقيروان. ومن هذه الدراسات «فتوح البلدان» للبلاذري، وكتاب المقريزي «المواعظ والاعتبار»، وكتاب الدمشقي «نخبة الدهر»، وكتب الرحلات، وغيرها كثير. ولكن هذه الكتب ظلت عامة فلم تتناول التفصيلات الإثنوغرافية بكاملها وتقف طويلاً عند تفصيلات العمران وتطوره والعادات والتقاليد.

ثم ظهرت كتب البلدان الحديثة، مثل كتاب (الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة) لعلي مبارك، المتوفى سنة ١٣١١هـ، في عشرين جزءاً، وكتاب (بغداد) لطه الراوي عام ١٩٥٤م، وكتاب (صور من حياة النبك وجبل القلمون) ليوسف موسى خنشت عام ١٩٣٧م، وكتاب (الشام) لعفيف بهنسي عام ١٩٨٠م، لتكون أكثر عناية بالجوانب الاجتماعية والعمارية، وما يزال الدرب واسعاً للمزيد من الدراسات، التي تتناول التاريخ الاجتماعي والعماري للمدن العربية الإسلامية.

وكان من نصيب الرياض أن صدر عنها كتاب (الرياض - مدينة وسكاناً) للأستاذ أحمد بن مساعد الوشمي، في رجب ١٤٠٦هـ، وسبقه كتاب (الرياض عبر التاريخ) للعلامة حمد الجاسر. وسنحاول عرض وتحليل كتاب الوشمي لحداثته النسبية، ولتناوله موضوعات متعددة خاصة بالمادة الاجتماعية الحضارية للمدينة، ولتوثيقه المادة المدونة بأسماء الرواة، وسنورد ملاحظاتنا في ذلك في مكانها.

يحتوي كتاب الوشمي على ثلاثة أبواب، أولها في المادة العمارية، وثانيها في الأسواق والحماميل وطرق التدريس والإفتاء والقضاء، وكان الباب الثالث في السكان والمهن والطب ووسائل الترفيه وأهل الرياض.

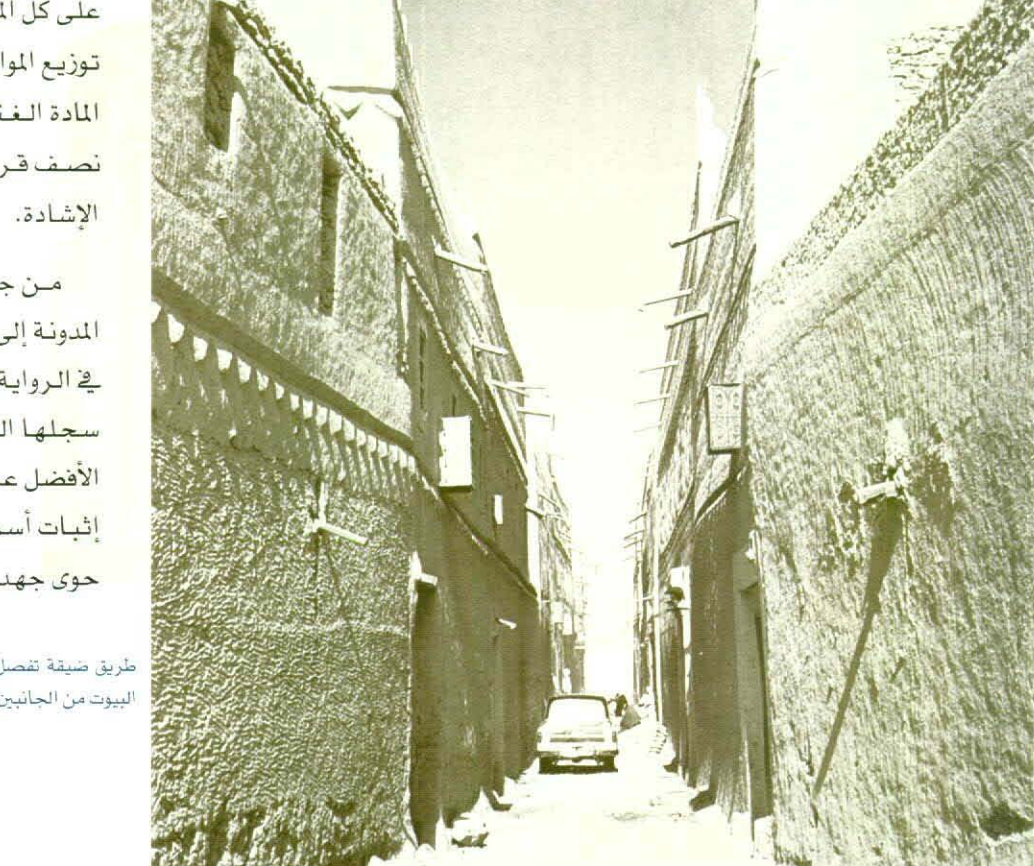
أورد المؤلف، بعد مقدمته القصيرة وتثبيت أسماء الرواة، فصلاً افتتاحياً بعنوان (الرياض عبر التاريخ)، ثم جاء الباب الأول ليشمل فصولاً أربعة، أولها يشمل عدة أقسام تتصل بأسوار الرياض وفقراته، هي: الحامي والحفور والسور وما يحيط بالحامي من الخارج. والفصل الثاني في هذا الباب حمل العناوين التالية: الأحياء والأبنية القديمة وبداية التوسع وتسلسل قطع النخيل، فيما يقف الفصل الثالث على البناء وتطوره، ويدرس الفصل الرابع المساقي والحويط والآبار والمدابغ.

وقد وضع المؤلف في الفصل الأول، من الباب الثاني، موضوعات الأسواق والحماميل، وقصور الضيافة، وكان من الأفضل أن يوضع هذا الفصل ضمن فصول الباب الأول لاتصاله بالجانب العماري، وأن توضع فقرة المدابغ في فصل أعمال السكان (اللاحق) من الباب الثالث.

جاء الفصل الثاني ليحوي فقرات تتصل بوظيفة المساجد وحلقات العلم وطرق التدريس فيها، وفي البيوت ومدارس الأولاد، ثم القضاء والإفتاء وطرقهما، وكانت فصول الباب الثالث تتصل بالفصلين الأولين ومنها ما يتعلق بتاريخية البناء الاجتماعي للرياض، منذ ظهور الملك عبدالعزيز، رحمه الله، وجهاد أهل الرياض معه. ثم أتى الفصل الثالث مصوراً للجوانب الاقتصادية من زراعة وسقي وطرق عمل، ثم أغاني العمل الشعبية. فيما حوى الفصل الرابع عدة فقرات تتصل بفعاليات الاستقرار في عهد الملك عبدالعزيز، ومنها أعمال السكان، وألعاب الأطفال. ووسائل الترفيه، والتطبيب. وجاء الفصل الخامس حاوياً لسردٍ أبجدي بأسماء عائلات الرياض.

والملاحظ على هذا التقسيم للأبواب والفصول أنه يحوي مادة مليئة بالمعلومات، تستحق إعادة التبويب، بحيث يتم توزيع المواد وفق علاقاتها ببعضها البعض، حيث يكون هناك باب للمادة العمارية، وباب للمادة التاريخية، وآخر لمادة العادات والتقاليد ومادة دورة الحياة، ثم باب للعلم وطرق التدريس، وأن تقسم الأبواب إلى قسمين: أولهما يسبق دخول الملك عبدالعزيز، وثانيهما بعد دخوله -رحمه الله- لكي يتابع القارئ التطور الحاصل على كل المستويات. ورغم هذه الملاحظة في توزيع المواد يظل جهد المؤلف الجامع لهذه المادة الغنية عن الرياض قبل أكثر من نصف قرن جهداً رائداً في بابه يستحق الإشادة.

من جانب آخر، نرى أن إسناد المادة المدونة إلى رواتها مباشرة، حسب جهدهم في الرواية والتوثيق، تظل مسألة ضرورية سجلها الباحث بوجه عام. ولكن كان من الأفضل عدم وضع جدول بأسماء الرواة بل إثبات أسمائهم مع الباب أو الفصل الذي حوى جهدهم في الرواية ليكون الأمر أدعى



طريق ضيقة تفصل بين المباني الطينية ، تطل عليها أبواب البيوت من الجانبين، في صورة للرياض تعود إلى عام ١٩٥٥م.

إلى الدقة. وسنحاول هنا أن نعرض لأهم فصول هذا الكتاب الحيوي في موضوعه وفقراته.

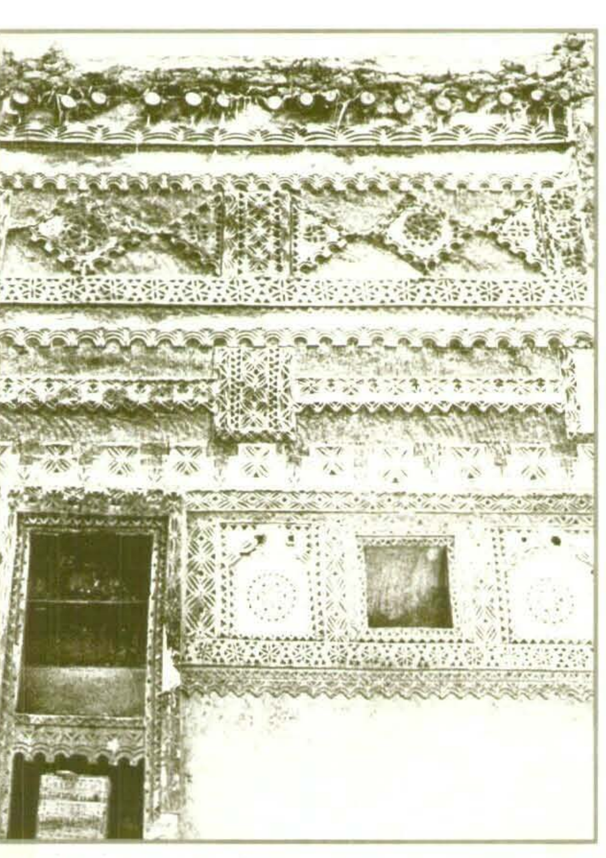
الرياض عبر التاريخ

هي المكان الأوسط بين الحضارات الشمالية والجنوبية، إضافة إلى خصوبة أرضها. كان اسمها قديماً حجر. وقد سكنتها طسم وجديس ثم سماها عبيد بن ثعلبة خضراء حجر خلال حكمه لها. وتقع حدودها آنذاك بين واديين هما وادي الوتر المعروف بالبطحاء، ووادي العرض المعروف الآن بوادي حنيفة. وقد ذكرتها الآثار التاريخية في عهد الملك الآشوري سرجون (٧١٥ ق.م.)، واستمرت (حجر) قاعدة لإقليم اليمامة حتى العهد العباسي الأول. لتنتهي شهرتها باحتلال الأخيضريين لها في منتصف القرن الثالث الهجري. لتظهر في القرن الحادي عشر الهجري تحت اسم الرياض.

ومعنى الرياض «المكان الذي ينتهي إليه السيل»، وقد بنى حولها حاكمها دهام بن دواس سوراً عام ١١٦٠هـ، وظل هذا السور قائماً حتى هدمه ابن رشيد عام ١٣٠٩هـ. ثم بنى الملك عبدالعزيز سوراً جديداً حولها عام ١٣١٩هـ، لتتسع المدينة بعد هذا خارجه، وليأمر الملك عبدالعزيز بإزالة ذلك السور عام ١٣٧٠هـ، بعد أن زالت المخاطر التي تستوجب وجوده.

عمارة الرياض الخارجية

● **الأسوار**: ويسمى السور الكبير الحامي، وهو يحيط بالمدينة من كافة الجهات،



لقطة تتضح فيها العناصر الجمالية والزخرفية الخارجية لمداخل وواجهات المنازل في الرياض عام ١٩٥٠م.

وقد بلغ ارتفاعه ستة أمتار، وهو مبني من الطين الخالص، وله مرابيع في الأركان فيها فتحات، ينظر الحرس منها إلى الخارج ويدافعون عنها عندما يدهمها عدو. ويوجد في الحامي أبواب ضخمة تدعى دراويز، ومفردها دروازة (وهي كلمة فارسية بمعنى الباب)، ويصنع الباب من خشب الإثل وجذوع النخل، ويوجد في بعض الأبواب باب صغير، يتسع لمرور شخص واحد ويفتح أثناء الليل، حيث لا تفتح الدروازة (الباب الكبير) ليلاً إلا لشأن، وأهم دروازات الرياض قديماً دروازة الثميري (شرق المدينة)، ودروازة القري في ركن الحامي الجنوبي الشرقي، ودروازة عرعير (جنوب المدينة)، ودروازة دخنه (مواجهة لشارع سلام جنوباً)، ودروازة المريقب (قرب مسجد ابن حمود)، ودروازة المذبح (غرب المدينة)، ودروازة آل سويلم (في مواجهة الدرعية). وهناك حامي ابن دواس الذي يعتبر امتداداً لشارع عسير والحبونية ومعكال حالياً، والحامي الذي بناه الملك عبدالعزيز عام ١٣١٨هـ.

● **الحفور**: وهي أراضي نُزع الكثير من تربتها لبناء الحامي، وتنتشر داخل وخارج الأسوار، وقد أخذ الطين منها أيضاً لبناء قصر الحكم والبيوت المجاورة، ومنها حفرة القطعي شرق المقيبرة، وحفرة ابن دغيثر.

● **السور**: وهو العازل البنائي المحاذي للحامي من الداخل.

● **النخيل المحيطة بالحامي من الخارج**: وهي بساتين لها أصحاب وأسماء كنخل الإمام عبدالرحمن بن فيصل (الوسيطي)، ونخل آل قباع، ونخل ابن جويسر، ونخل آل سويلم وغيرها. وقد حدد المؤلف مواضع لحوالي ثلاثين منطقة للنخيل خارج الحامي قديماً وحديثاً.

الأحياء والأبنية القديمة

حدد المؤلف حارات الرياض القديمة مثل دخنة، والمريقب، والقناعي، والمعيقلية، والظهيرة، والحلة (الدحو)، والمقيبرة، إضافة إلى قصر الحكم ومنازل الأسرة المالكة شرق المصمك، وكذلك المصمك ذاته والسوق المحاذي للجامع، والمصباح الممتد من قصر الحكم إلى المسجد الجامع، إضافة إلى اثني عشر مسجداً باعتبارها أهم الأبنية القديمة في الرياض.

التوسعة

جرت توسعة مدينة الرياض، بعد استعادتها، حيث استدعى الملك عبدالعزيز بنّاء ماهراً، يدعى صالح القصيمي، بدأ ببناء قصر أبناء الأمير سعد بن عبدالرحمن الفيصل في الصفاة، ثم توالى بناء القصور الأخرى على يد صالح القصيمي و ناصر بن عبدالله بن يعيش.

ومن أساتذة البناء، خلال تلك الفترة، عبدالرحمن بن ناصر، وحاتم الحاتم، وعثمان بن حاتم، ومن أساتذة البناء بالحصى، عبدالعزيز وعبدالله بن حمدان، ومحمد بن حماد. وقد بدأ الأهالي بتغيير نمط البناء من عروق الطين إلى اللبن، وزخرفة البيوت بالحصى وزيادة عدد غرف القصر أو المنزل، وإدخال الخشب بدل الإثل. ثم امتد البناء خارج الحارات القديمة والحواري بعد خروج الأسرة المالكة في قصور لها في المربع والفوطة والحنبلي، وصارت حارة الأسرة المالكة في شرق المصمك تسمى بحارة الأجناب، بعد خروج الأسرة منها، وسَكَن فيها من وفد إلى الرياض.

اتساع المدينة

امتد البناء خارج الحامي باستخدام طينه، ثم بدأ الأهالي بقطع النخيل المحيطة بالرياض وتحويل تلك البساتين إلى مناطق سكنية، حيث بنيت الدور من طابقين. واستفاد التجار من عملية خروج المدينة خارج الأسوار، فتكونت شركات لشراء البساتين وتحويلها إلى قطع سكنية، وخرجت إلى الوجود حارات جديدة كالحسَّاني ومعكال وآل منيف والدويبة والشرفية.

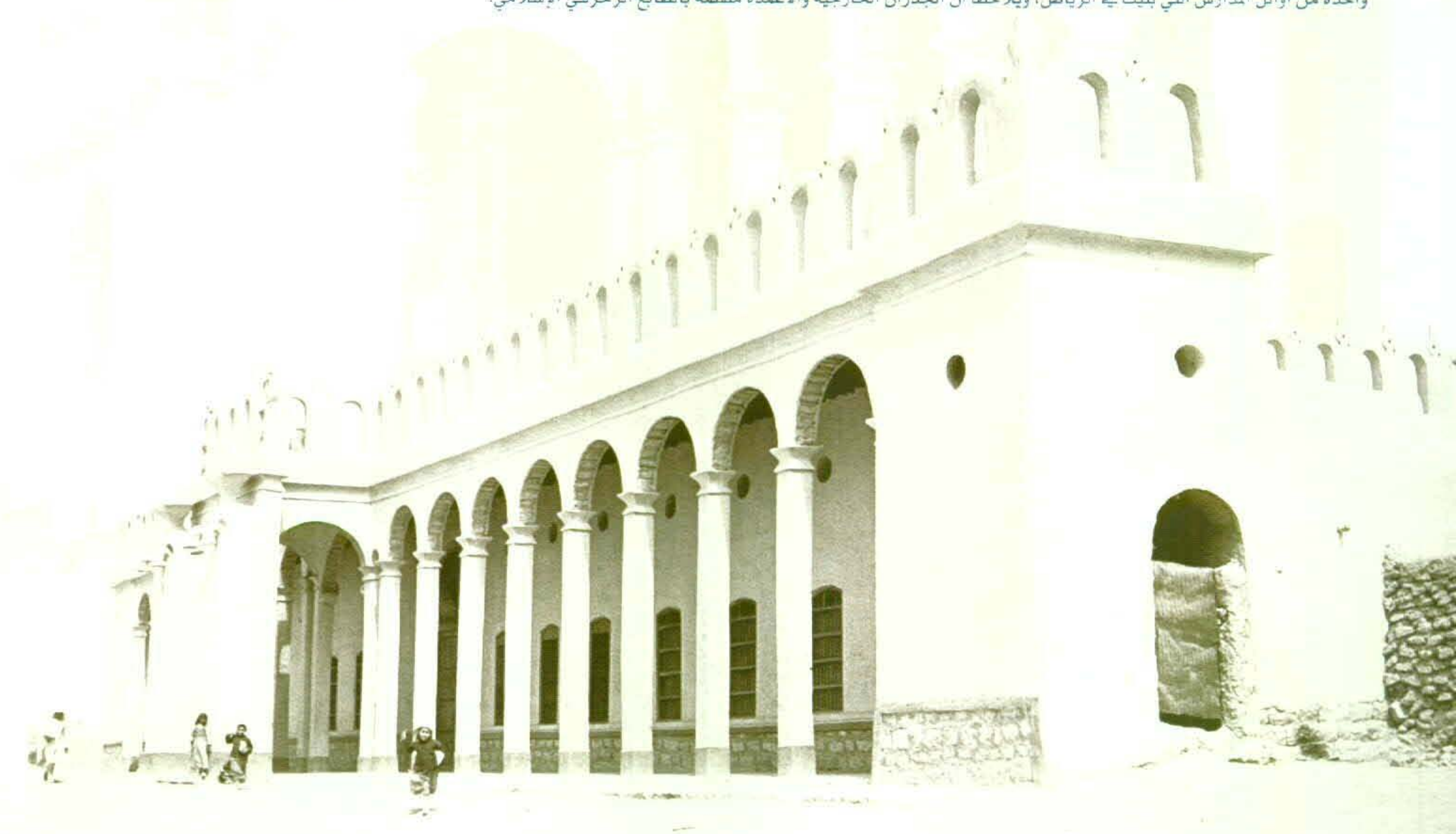
عملية البناء ووسائله

يصف الوشمي عملية بناء البيوت في الرياض القديمة كالتالي : يتم تحديد أرض البناء، ثم تخطط غرف الدار ومنافعها على الأرض بعسيب نخل، وتوضع بودرة الجص على الخطوط ويحفر الأساس، ثم يستغل تراب الأساس لعمل اللبن أو التشبيع ويورد الوشمي تفصيلات التلبين، وإعداد خشب السقوف من نخيل الرياض والدرعية، أوجلبه من القصيم وحائل والكويت.

بعد انتهاء عملية البناء الأساس يقوم البنّاء (الأستاذ) وأهم مساعديه (المديزريه) بسد نفقات اللبن في الجدران (صويعه)، وتجميل البناء بإكسائه من الخارج والداخل بالطين الناعم المخلوط بالتبن، ثم عمل الأشكال الجمالية للجدران بالأصابع (نومله)، ثم وضع الحداير في الواجهات، وتكون الطرمة (الفاتولة) من خشب الإثل، فيما تبنى النوافذ (درايش) على واجهة المنزل الرئيسة، (وتوضع في الدور العلوي) مزينة بالنقوش.

تقام وسط البيت في الرياض القديمة، ردهة مفتوحة تدعى (بطن الحوي)، وعلى جانبيها المصابيح والحجرات والمنافع. وتعتمد المصابيح (وهي الأعمدة) صيغة جمالية عمارية مميزة، فكل مصباح (عمود) يتألف من حجر اسطواني له تاج مؤلف من صخرتين مستطيلتين، كبراهما

واحدة من أوائل المدارس التي بنيت في الرياض، ويلاحظ أن الجدران الخارجية والأعمدة متسمة بالطابع الزخرفي الإسلامي.



تكون فوق الصغرى وتسمى (القنايع). وتكون المسافة بين كل مصباح وآخر بين خمس إلى سبع أذرع، وبعد بنائها تصف فوقها ثلاث خشبات عريضة تدعى بـ(السواكيف) تتكئ فوق القنايع، ثم تبنى فوقها سترة في الدور الأول . فيما يتم بناء مصابيح الدور الثاني بنفس الطريقة، ولكن دون ستار لأنها تكون مطلة على الشارع العام باعتبارها مادة عمارية وتزيينية معاً.

في التشطيبات النهائية للدار تركب أبواب الغرف الداخلية من جذوع النخل بعد تقطيعها، ومن خشب الإثل كعوارض، ويراعى وجود فتحة صغيرة في الباب الخارجي، ليدخل يده من يريد فتح الباب، التي تنغلق من الداخل. ويبنى في مجلس الضيوف كمسار مزخرف ومنقوش بالجص لوضع أواني القهوة، وتحته يبنى الوجار (مكان إصلاح القهوة)، مع وضع كشاف (فتحة في السقف) ليخرج منه الدخان، ويتدلى من الكشاف حبل مرتبط ببكرة في السقف يساعد المشرف على القهوة على الفتح والغلق.

ويسترسل الوشمي في شرح عملية بناء مكان حفظ التمر، وأحواض الحبوب، وطرق تجميل المنزل من الداخل. إضافة لبناء سواقي المياه ومجاريها المتعددة الأغراض. ثم يتابع تطور عمليات البناء وتنوع موادها، وتغيير تشكيلة البيت، الداخلية والخارجية، بفعل التطور. فقد تلاشت المصابيح تدريجياً وصغرت باحة البيت الداخلية (بطن الحوي) واعتمدت الحمامات الحديثة بدلاً من الصهروج، واستبدلت سواقي المياه بوسائل إيصال المياه النظيفة وإخراج المياه.

ويعقد الوشمي صفحات خاصة لاستذكار تقاليد البنائين القدامى وأجورهم والأداء الغنائي (أغاني العمل) الخاصة بهم، ثم ينتقل إلى البحث في أماكن المجاص، وهي أمكنة صناعة الجص قديماً، التي كانت موجودة في مناطق الغالة والملز والربوة. ثم يصف طريقة حرق الجص وأماكن وجوده وأدوات العمل وطعام العمال، وأنواع الجص اعتماداً على معلومات الإخباريين، الذين عاصروا تلك الفترة التي تسبق زمننا الحالي بحوالي ٧٥ عاماً.

مياه الرياض القديمة

كانت مساقي الرياض قديماً تتكون من آبار أُنشئت لأسباب متعددة، فهي إما أن تكون آبار نخيل، اقتطعت وبنيت المساكن مكانها، مثل مساقي دخنة، أو حفرت جوار المساجد والمساكن، على شكل أوقاف من قبل ذوي اليسار، ثم تطور الأمر إلى إنشاء آبار داخل الحارات ووسط البيوت، حيث تشترك عدة بيوت في قليب (بئر) واحدة، ويوضع بينها سواتر لتجنب الرؤية ولكل بيت دلو ورشاء.

وهناك (مساقي) كبيرة نسبياً وسط الحارات ينقل منها الماء عن طريق أواني (السحال) من قبل النساء. أما قديماً فقد كان هناك نوعان من الآبار خارج الرياض، أولاهما المدي، وهي بئر كبيرة ومسقوفة لها فتحات صغيرة والماء مجلوب إليها من بعض المزارع ليكون سبيلاً للشاربين

صورة للمباني الطينية والشوارع الترابية في مدينة الرياض عام ١٩٥٥م.



وللمستحمين. وثانيهما قليب البدو حيث يرد البدو إلى مسقى أو بئر كبيرة نسبياً مع إبلهم وأغنامهم ليشربوا ويحملوا منها ما يقيمهم لفترة.

ومن أسماء المساقي القديمة: مسقاة بير دخنة، ومسقاة بيت صالحة، ومساقي المريقب، والمعيقلية، والسوق، ويكون جوار المسقاة حويط وهو حفرة يجري إليها الماء المنصرف من البئر وتزرع النخيل عندها، ويكون ثمره للمشرف على خدمة المسقاة. ويتسع بحث الوشمي هنا ليشمل طرق بناء الآبار في المزارع والبيوت وأنواع المواد التي تستخدم في عملية البناء وكيفية ترتيبها.

الأسواق

أسواق الرياض القديمة على نوعين، سوق مسقوفة ولها مصابيح (أعمدة)، وسوق دكاكين من دون مصابيح. وللسوق الأولى أبواب من خشب الأثل، أما الأسواق التي لا مصابيح لها فأبواب دكاكينها مرنة وقابلة للانثناء لتعطي ظلا للبائع. وتقع السوق الأساس جوار قصر الحكم في ساحة الصفاة، وهناك ساحة بين قصر الحكم والمسجد الجامع تتجمع فيها البائعات بعيداً عن الطريق المسقوفة بين قصر الحكم والمسجد الجامع، التي يمر فيها موكب الملك عبدالعزيز للصلاة في الجامع.

وفي جدار الجامع الجنوبي والشرقي دكاكين موزعة على أصناف البائعين. فهناك قسم للخياطين وبيع القهوة والهال والبهارات، وقسم لبيع الثياب والمشالح، وآخر لأهل الصرافة (الجهة الجنوبية الشرقية). وآخر للخرازين وللجزارين، وهو قريب من سوق النساء، إضافة للمجاليب والمذابح.

الجماميل

وهي مجموعة الجمال الناقلة للبضاعة إلى الأسواق، وهي وسيلة المواصلات الرئيسة تقريباً آنذاك. ولكل نوع من الجماميل اختصاص، فهناك جماميل لنقل السكر والأرز والتمر وغيرها من البضائع من الأحساء إلى الرياض، والرجال المشرفون عليها يسمون رحيلية. وعدد هذه الجمال يتراوح بين الأربعين وأكثر، ويدعى هذا النوع من الحركة بالحملة. ولكل حملة دلاّل أو وكيل لبيع البضائع القادمة من الأحساء، أو يكون الوكيل هنا فرداً من أسرة تجارية لها فروعها في الأحساء والرياض وغيرها، وموقع توقف الحملة وتنزيل البضاعة في المقيبرة حول المسجد الجامع.

ومن أنواع الجماميل الأخرى جماميل لحمل الحطب والعرفج، وأصحابها من أهل البادية فقط. وجماميل لحمل الفحم والعاقول وشجر الرطاء للدباغين. وجماميل لنقل مواد البناء كالجص والحص واللبن. وهناك نوع من الجماميل تدعى (القراريش) وأصحابه يجلبون الحطب والحشيش مثل السبط والثمام والعرفج والعاقول ويبيعونها بالبطحاء. وهناك من يشتري العلف من المزارع باستخدام الحمير، ومنهم من يحمل الحزمة على رأسه ويبيعها في سوق العلف المقابل للمسجد الجامع تحت الجسر.

قصور الضيافة

أدى توسع الدولة واستقرارها إلى بناء قصور خاصة لوفود القبائل، ورجال الدولة العاملين في الأقاليم (الإمارات) المتعددة، وللزوار الرسميين من دول العالم. وفي البداية كان قصر خريمس (وموقعه بالصفاة شمال قصر الملك) يفي بهذا الغرض، ويقوم بالإشراف عليه كُتّاب ينظمون الوافدين على الملك عبدالعزيز. وقد ترتب على اتساع الزيارات إيجاد المراسم الملكية ووضع برامج الاستقبال والإقامة للوفود وإنشاء قصور للضيافة مرتبة حسب مكانة الضيف.

أما في السابق فقد كان أكثر الوافدين يستقبلون أولاً في خيام بالبطحاء، ثم يوجهون إلى قصر خريمس للأكل، وبعضهم يمكث في الخيام ويرسل له طعامه. وبعد امتداد الرياض خارج السور وسكن الملك في المربع أضحى قصر ثليم بالبطحاء يقوم بمهمة القصر السابق (خريمس). وقد كان ممكناً للباحث أن يصور التطور العماري الذي حدث لثليم قياساً إلى خريمس وإلى تطور المراسم أيضاً.

المساجد وحلقات الدرس والأوقاف

يتسع البحث لدراسة أنواع المساجد وحلقات الدرس فيها وفي البيوت، وطبيعة طرق التدريس في مراحل العلوم المختلفة، ثم يشمل مدارس الأولاد ومراحل تدريسهم. ثم يقف البحث على بيوت الأوقاف الخاصة بخدمة طالبي العلم وإسكانهم وإعاشتهم، ويشير إلى وجود ربط (حُجر) جوار المساجد يسكنها طلبة العلم القادمون من خارج الرياض. وهذا الجزء من البحث، وهو خاص بالعلم وطرق التدريس وعمارة الأماكن، يحتاج إلى جهد أشمل يدقق في العمارة وأنواعها، وفي العادات والتقاليد وأزياء الدارسين لأهميته وتفرده.

القضاء

كان القضاء قديماً يتم بجلوس القاضي بين المتخاصمين في بيته، أو في السوق، حيث

له مجلس خاص، ويتم النطق بالحكم من غير محاضر أو كتب رسمية، وكذلك الأمر في عملية الإفتاء، التي كان يقوم بها الشيخ محمد بن إبراهيم. أما الدماء والأملاك فتدون أحكامها لإثبات الحقوق. وكان هناك قضاء خاص بالحاضرة، وآخر للبادية. ثم بنيت أول محكمة، هي محكمة المقيبرة، وفيها القاضي سعود بن رشود ومعه كُتّاب ضبط، ثم أنشئت المحكمة المستعجلة في بيت الشيخ عبدالله بن زاحم. وبعد وفاته تولى القضاء فيها الشيخ محمد البواردي، وفي بيته أيضاً. والفرق بين هذه المحكمة وغيرها أنها مخصصة للخصومات الخفيفة، أو التي تتطلب بتاً سريعاً.

رحلات أهل الرياض

خرج الكثير من الدعاة لنشر العقيدة السلفية، وكان ذلك عند استقرار الملك فيها. ولكن خروج أهل الرياض قبل ذلك كان للتجارة وطلب الرزق في الخليج والهند. وقد تاجر بعضهم، بالسلاح واللؤلؤ والأرز والأقمشة . ومنهم من عمل في الغوص، ثم عاد كثير من المرتحلين إلى الرياض، بعد الاستقرار والتوسع، وترك بعضهم أولاده وأقاربه في الأماكن التي أقام فيها لضمان الإشراف على تجارته. وكان أثر هذه الرحلات الطويلة واضحاً سواء في توفر المواد الغذائية وزيادة السيولة، أو في تنوع طرق اللباس والأزياء.

مساندة أهل الرياض لجهاد الملك ولنشر العقيدة

ساند أهل الرياض الملك عبدالعزيز في نشر العقيدة السلفية، وكان لهم أثرهم الواضح في نصرة الدولة الوليدة، ومن هؤلاء كما يورد الوشمي: أسرة آل غشيان وآل دغيثر، وآل حميضان، وآل نفيس، وآل بتال، وآل مطرف والضفارى، وآل مشخص (آل عويبل)، وآل معشوق، والحقابين، والشماسا، وآل ريس، وآل جابر، وآل سبعان، وأسر وأفراد عديدون حرص الوشمي على إثباتهم والإشارة إلى دور كل جماعة أو فرد . ثم يصف الوشمي كيفية بدء الغزو والجهاد بأن يرسل الملك أناساً يدورون في الحارات ويضربون الطبل وينادون للجهاد. فإذا اجتمع الناس في المبرز سلمت لهم بنادق ، ثم يبدأ محمد ابن عجيبان بالمناداة. وقد يكون ذلك عند إعلان بدء التجمع، ثم تبدأ كل حارة بالعرضة النجدية في منطقة المبرز (شرق الحلة) ، حيث يتوجه أهل دخنة ومعكال والمعيقلية والظهيرة والمصانع وباقي أحياء المدينة ونخيلها وأهالي الدرعية، ثم يبدأون السير إلى الصفاة لمقابلة الملك عبدالعزيز، ثم يتوجهون بعد ذلك إلى مكان الغزو، وهم يؤدون العرضة وينشدون في الذهاب إلى الجهاد وفي العودة. وصارت العرضة بعد توحيد البلاد رمزاً وطنياً من رموز الماضي.

الزراعة

تحت هذا العنوان يمكن أن نضع تفصيلات الأعمال الزراعية ، التي يصفها الفصل الثالث من الباب الثالث، وهو فصل يصور طرق الحرث والبرنامج اليومي للعامل في المزرعة والسقي والدواس وطريقته، ثم أغاني الدواس ، ثم يتحدث عن الفلاحين وأصحاب المهن وعن علاقة الفلاحين بالمدينة، ثم موضوع مكافحة الجراد والأمراض الزراعية.

ويعتمد المزارعون في زراعة المحاصيل على التقويم القمري ومنازل الشمس، وتختلف نوعية العاملين في المزارع تبعاً لكبرها. فالمزرعة الكبيرة تضم الشواغيل (الحرفية)، والكلاليف (عمال الزراعة)، وكان يتم زرع النخيل والحبوب والذرة. أما صغار المزارعين فعمالهم قلة. وهم يخرجون في موسم الأمطار خارج الرياض للتبعيل. ويشير الوشمي إلى أن الخضراوات التي كانت تزرع قديماً لا تتعدى القرع والبصل، ثم نتيجة للاحتكاك مع الأحساء والبحرين تجارياً، زرعت اللوبيا، والباذنجان وغيرهما، مما أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية .

ومن مستلزمات الزراعة ، في كل عصر، إيجاد مصادر الماء، وهو أمر يوجب في الرياض قديماً حفر القلبان (الآبار)، وتنظيم السقي منها. والملاحظ أن النساء يشتركن في الحرث وفي الحصاد، والعناية بالمزروعات وخصوصاً في المزارع الصغيرة، التي تعتمد على أموال قليلة نسبياً.

ويدون الوشمي المصطلحات الخاصة بالعمل الزراعي، ومنها :

- الشربة : وهو سنبل الحب الذي يظهر بعد السقي.
- المعاويد : الإبل التي تستخدم في السواني وتمتاز بقوتها.
- القوع: مكان جمع الحبوب للدوس.
- المقلاب: عصا الدوس.
- الطايف: حمير الدواس، التي تكون في طرف المجموعة الدائسة.
- القعدة: حمير الدواس، التي تكون قرب خشبة الدوس.
- السنوف: الحبوب العالقة بالسنابل بعد التذرية.
- الشيله: القصيدة التي تردد أثناء الحصاد والدواس.

وتعد تفصيلات عملية مكافحة الجراد،

خلال هجومه على المزارع، وثيقة فولكلورية واجتماعية نظراً للمعلومات، التي تحويها والإيضاحات التي تضمها في تسمية أنواع الجراد وطرق مكافحته.

معالم الاستقرار والتغيير زمن الملك عبدالعزيز

كان من معالم الاستقرار، عند دخول الملك عبدالعزيز الرياض، أن اندفع الناس للعمل، وإلى التنقل بحرية، إضافة إلى وجود فسحة من الوقت لتطوير المعارف والمهارات، وزيادة العناية بالجوانب الفقهية والتعليمية العامة، وتنوع مصادر الرزق عن طريق حيوية الاحتكاك بالعالم الخارجي، فازدهرت التجارة وأعمال البناء، وتطورت وسائل النقل.

وقد جاء ذلك كله نتيجة تغيير توجهات المجتمع من بنية مستنفرة تحارب إلى بنية مدينية مستقرة إلى حد كبير. ويقسم الباحث الفصل الرابع الذي يدرس معالم الاستقرار في زمن الملك عبدالعزيز إلى فقرات، منها : الأهالي وتنوع مصادر الرزق والطب، ووسائل الترفيه، والأطفال والحرية، وهو يؤشر في كل فقرة طريقة تنفيذها على المستوى الشعبي. ففي فقرة (الأهالي) يتابع الباحث حركة الناس بعد يوم عمل كامل، ويبدأ من الاجتماع بعد صلاة المغرب للعشاء، إما على شكل وليمة أقامها فرد بسبب اجتماعي لتبدأ جلسة السمر أو دراسة كتاب بعينه بعد هذا، ثم تنتهي الجلسة بانتهاء صلاة العشاء، أو يتم تناول الطعام في الدار من قبل الرجال ويلي ذلك طعام النساء. ولكن الأمر في رمضان يختلف إذ يفضل الناس قضاء الوقت في المسجد، ثم الانصراف إلى بعض المجالس المعروفة بعد هذا.

وبوجه عام، تصحو النساء عند أذان الفجر لإشعال النار وإعداد القهوة، ريثما يعود الرجال من المسجد لتناول الإفطار، الذي يتألف إما من تمر ولبن، أو من مراصيع (إذا كانت الحال ميسورة). وقد يكون الإفطار مؤلفاً من حنيني أو مريس، حسب المادة الموجودة في الدار. ويخرج الرجال للعمل فيما تبدأ النساء بالأشغال المنزلية، وتحضير طعام الغداء، فيطحنّ ويجرشن ويحلبن الحليب، ثم يستمر الباحث في متابعة يوم العمل وأقسامه.

وفي فقرة (تنوع مصادر الرزق) يعدد الباحث أنواع المهن التي يمارسها أهل الرياض، كالتجارة والدباغة والخرازة والحدادة وتطريز الثياب وخبن المشالح والبناء وأعمال الزراعة.

وفي القسم الخاص بالطب والطب الشعبي يؤكد الوشمي أن تعاطي مجتمع الرياض القديم للطب الشعبي كان يتم نتيجة خبرة الأكبر سناً، إضافة لوجود رجال يتعاطون هذا النوع من الطب، أمثال ابن امهيني، وأبو عون (عبدالعزيز بن جاسر)، وأحمد الدكان. ويذكر الوشمي أن من طبيبات النساء والأطفال منيرة بنت احمد الدكان، مما يشير إلى وجود أسر تتعاطى الطب الشعبي وتتناقل وصفاته. ولا يحدد الوشمي تاريخ افتتاح أول مستشفى في الحلة، في بيت الطميشي، لكنه يذكر انتقاله بعد ذلك إلى شارع الوزير، ثم إلى الشميسي بعد هذا.

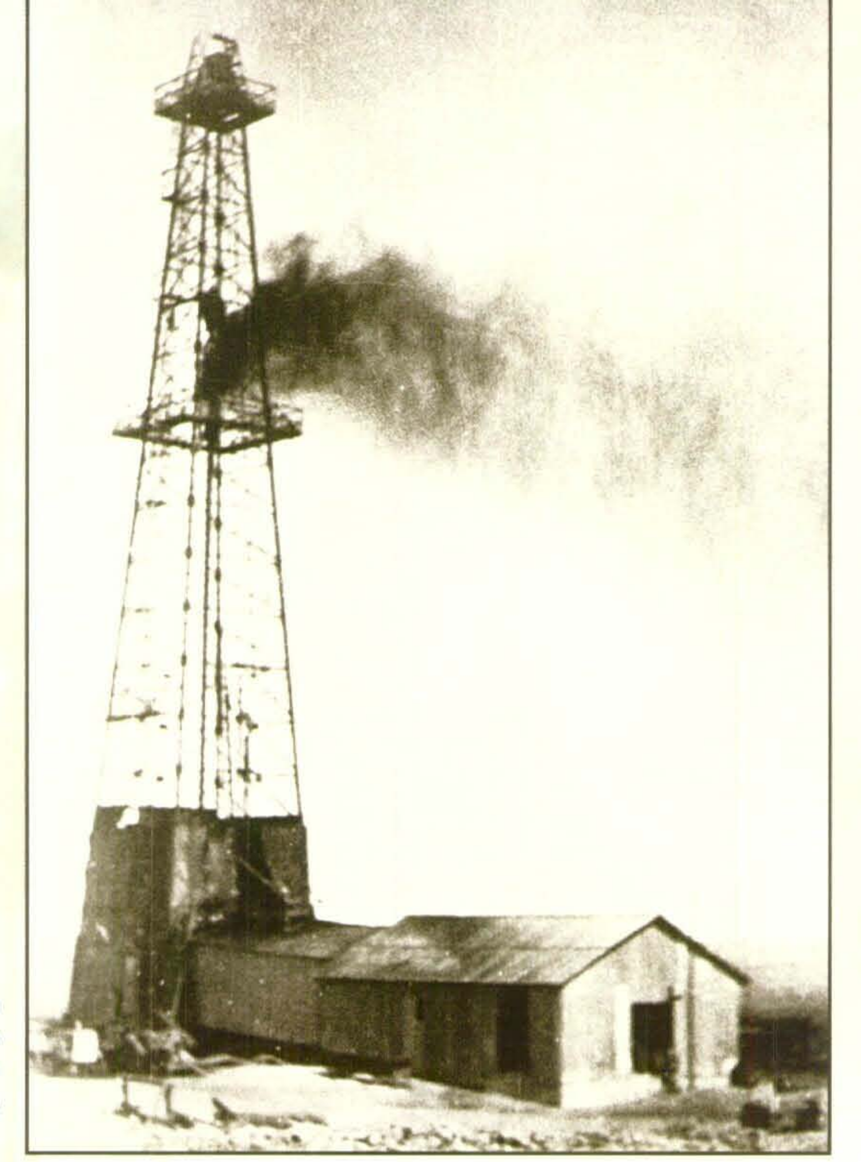
ويذكر صاحب كتاب (الرياض) أنه في عام ١٣٤٦هـ حل بالرياض رجل يدعى سلمان قراطة (من إيران)، أتى مع سائق الملك عبدالعزيز الذي أدخل أول سيارة إلى الرياض، وسكن في الحلة، ومارس الطب الحديث لخبرته في التمريض والصيدلة، ثم أتى بعده يوسف جريدة، ثم الطباع، ثم د. رشاد فرعون، الذي أتى به الملك لمعالجة الأسرة وسائر الناس حتى اتسع أمر الطب الحديث.

ويتحدث الوشمي بعد هذا عن وسائل الترفيه القليلة، فيقف عند مناسبات الأعياد وتفصيلاتها، وإقامة الولائم لمن زار الرياض بعد غيبة، واجتماع الناس أوقات الدواس للعمل، وانطلاق بعضهم بالشعر أو بالغناء. ويعد المؤلف مناسبة الزواج ومراسمه مناسبة ترفيه للنساء والرجال، كل في مجاله، وهو أمر صحيح إذا أخذنا في الاعتبار الجانب الاحتفالي الاجتماعي في ذلك .

ويخصص المؤلف في قسم (أهالي الرياض)، وهو القسم الأخير، فهرساً مرتباً حسب حروف الهجاء لأسماء أشهر الأسر في الرياض. والملاحظ على هذا القسم التوثيقي المهم أنه بحاجة إلى نوع من الإيضاح، وذلك بذكر أسماء أبرز رجال الأسر وعدم الاكتفاء بذكر شهرة الأسرة، مثل آل منيف، وآل منقاش، وآل هدهود، كما أن ذلك يخلص الباحث من هنات يمكن تداركها مثل ذكره لآل ناصر وآل غنيم وآل غانم ثلاث مرات، بينما بلغ عدد مرات ذكر آل عثمان ست مرات، دون أن يعرف القارئ ما الفرق بين هذه الأسرة أو تلك تحت نفس التسمية.

وبعد.. فإن كتاباً شاملاً كهذا يستحق الإشادة، رغم كل الملاحظات. والمهم بعد هذا أن يتصدى باحثون آخرون لاستدراك ما فات الوشمي ومن سبقه، ولتعقب ريادته في التأليف بالمزيد من الدراسات الموضحة لأبواب أخرى من هذه المدينة، التي تنفتح على التاريخ السياسي والشعبي القديم قدر انفتاحها على عالم اليوم والغد. ■

* صور المقال : أرامكو السعودية .



بئر الدمام رقم ٧، أول بئر تدفق منها الزيت بكميات تجارية في المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٨م.

أقل من ستين متراً كانت المسافة الفاصلة بين الإخفاق والنجاح

بئر الدمام رقم [٧]: بشارة الخير العميم

بقلم: ماري نورتون
ترجمة: محمد عبدالقادر الفقي



في تاريخ الأمم لحظات تفصل بين العصور. وفي محرم ١٣٥٧هـ (مارس ١٩٣٨م) شهدت المملكة لحظة حاسمة أنهت حقبة من الزمن وفتحت الباب لحقبة أخرى. فقد انساب نهر الخير، حاملاً معه النفط، من بئر اختبار جرى حفرها حتى عمق ١٤٤١متراً في قبة الدمام بالمنطقة الشرقية.

كان استغلال الثروات الطبيعية للمملكة ومنها البترول والثروات المعدنية حلماً يراود جلالة الملك عبدالعزيز أثناء توحيده للمملكة. وليس أدل على ذلك من سعيه إلى توقيع اتفاقيات لاستغلال تلك الثروات لما فيه مصلحة البلاد. وقد عزز اكتشـــاف البترول في دولة البحرين آمال الملك عبدالعزيز في العثور على هذا المورد الاقتصادي الحيوي في بلاده وقد توجت مساعي جلالته في هذا الاتجاه بتوقيع اتفاقية الامتياز الأساس مع شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا «سوكال» في ٤ صفر ١٣٥٢هـ الموافق ٢٩ مايو ١٩٣٣م. وتوافد الجيولوجيون إلى المنطقة الصحراوية المحيطة بالدمام، وراحوا يدقون على الصخور ويجسون نبض الأرض لعلها تبوح بالسر الدفين الذي تخبئه بين طياتها .

وقد استغرق الأمر زهاء خمس سنوات للإجابة عن تساؤلات الجيولوجيين. فقد عثر على الصخر - الذي يحمل في خباياه الذهب الأسود - في الطبقة التي منحها الجيولوجيون اسم (المنطقة الجيولوجية العربية). وكانت البئر رقم (٧) - التي حفرت في التكوين الجيولوجي المعروف باسم (قبة الدمام) - هي بشارة الخير العميم، بعدما توّجت بالنجاح أعمال البحث والتنقيب. فقد ترتّب على هذا الحدث الكبير أن أصبحت المملكة بعد سنوات في طليعة الدول المنتجة للنفط. وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على كل شيء في المملكة، فتزدهر، وتتوافر فيها عوامل البناء اللازمة لتشييد المستقبل، وترتقي فيكون لها صوت مسموع في المحافل الدولية، وفوق هذا وذاك ينتقل شعبها نقلة حضارية عظيمة تجعله يطوّع كل تقنيات العصر لخدمته وازدهاره. وكان من نتائج هذا الحدث أيضاً إنشاء الشركة التي يعرفها العالم اليوم باسم شركة الزيت العربية السعودية أو أرامكو السعودية .

وعلى الرغم من أن اسم «بئر الدمام رقم ٧» لا يحمل أي تعبير شاعري، فإنه ظل رمزاً للنجاح والفأل الحسن. وقد حفرت آلاف الآبار بعد هذه البئر، لكن لم تحظ واحدة منها بالمكانة التي حظيت بها بئر الدمام رقم ٧. وفي هذا العام، نحتفل بمرور واحد وستين عاماً على حفر هذه البئر واكتشاف النفط في المملكة. كما تحتفل الشركة بمرور ستة عقود على استمرار إنتاج البترول.

وتقع بئر الدمام رقم (٧) على التل المعروف باسم (جبل الظهران). ويمثل هذا التل السطح الظاهر من قبة الدمام، التي توجد على مقربة من مجموعة من القمم المعروفة باسم (أم الروس). ولايبعد مركز التنقيب وهندسة البترول التابع لأرامكو السعودية كثيراً عن هذا الموقع. فهذا المركز- الذي يعد قلعة من قلاع تقنيات النفط الحديثة - يوجد في منطقة تعلو الطريق المؤدية إلى البئر. كما يقع خلفه المركز الرئيس لإدارة الشركة والأحياء السكنية التابعة لها في الظهران. والذي يرى مدينة الظهران اليوم، ويقارن حالها بالأيام الأولى حين كانت مجرد مخيم للعاملين في حفر آبار النفط، سوف

لقطة تجمع بين بئر الدمام رقم ١ وبئر الدمام رقم٧ في صورة تعود لعام ١٩٣٩م.





الظهران في عام ١٩٣٩م.

يدرك مدى التغير الكبير الذي طرأ عليها. فقد اكتست رمال الصحراء باللون الأخضر البهيج، وزودت المباني السكنية بوسائل الراحة. ودخلت تقنية رقائق السليكون والصلب الذي لا يصدأ أماكن العمل، وأصبحت ظهران التسعينات متقدمة بشكل عظيم عن ظهران الثلاثينات. وبرغم ذلك فإن أرامكو السعودية لم تغفل عن جذورها الجيولوجية الراسخة.

وتمتد هذه الجذور إلى شهر صفر عام ١٣٥٢هـ الموافق شهر مايو عام ١٩٣٣م، حينما وقعت اتفاقية امتياز البحث عن البترول، كما أسلفنا القول. وقد بدأت أعمال البحث والتنقيب تأخذ مسارها في الخريف التالي، وبالتحديد في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٣م، حينما وصل الجيولوجيون الأوائل إلى المملكة. وقد حطوا رحالهم - أول الأمر - عند قرية الجبيل الساحلية الهادئة، التي تبعد نحو ١٠٥ كيلومترات شمال قبة الدمام. وما أن التقطوا أنفاسهم، حتى امتطوا الإبل والسيارة في يوم وصولهم نفسه لكي يلقوا نظرة على «جبل البري» الذي يقع على بعد ١١ كيلومتراً جنوب الجبيل.

وفي طريق العودة، اعتقدوا أنهم شاهدوا سراباً، ولكن تبين - فيما بعد - أنهم كانوا ينظرون إلى المستقبل. كانت الأرض الفسيحة تمتد أمامهم، ولكن فجأة تغير كل شيء. وحل محل السراب اللامع ضوء آخر ساطع، وابتسمت صحراء الجزيرة العربية ابتسامة عريضة، جعلتهم يتفاءلون بالمستقبل، وينظرون إلى الجبيل، تلك القرية الصغيرة الوادعة، وقد أصبحت مدينة تضاهي أبراجها ومبانيها المدن الصناعية الكبرى.

وقد تحولت هذه النظرة المستقبلية إلى واقع ملموس في هذه الأيام، فصارت الجبيل قلعة صناعية تزخر بالأبراج والمداخن والمآذن التي تتلألأ على السهل الساحلي. وانتشرت فيها المصانع ومعامل التكرير التي تتزود بالوقود والمواد الخام من أرامكو السعودية. ولم تقف عجلة التطور عند الجبيل فحسب ، بل وصلت إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض وجدة وينبع وأبها والطائف والهفوف والدمام وجميع المدن والأماكن الأخرى بالمملكة. وكان معدل النمو والتطور كبيراً وعلى نطاق واسع وفي زمن قياسي لايصدق !

كانت بداية هذا التطور وتلك الإنجازات هي اكتشاف النفط في بئر الدمام رقم (٧). وحينما اختبرت هذه البئر في الرابع من مارس ١٩٣٨م أنتجت ١٥٨٥ برميلاً في اليوم، ثم ارتفع هذا الرقم إلى ٣٦٩٠ برميلاً في السابع من مارس، وسجل إنتاج البئر ٢١٣٠ برميلاً بعد ذلك بتسعة أيام، ثم ٣٧٣٢ برميلاً بعد خمسة أيام أخرى، ثم ٣٨١٠ براميل في اليوم التالي مباشرة. وواصلت البئر عطاءها على هذا المنوال مما أكد نجاحها كبئر منتجة. وفي ذلك الوقت، كان قد تم تعميق بئري الدمام رقم (٢) ورقم (٤) حتى مستوى المنطقة الجيولوجية العربية. ولم تخيب هاتان البئران آمال الباحثين عن النفط، فقد أعطتا نتائج طيبة. وعمّ الفرح والسرور أرجاء مخيم العمل الذي أقيم في الدمام.

ومن الجدير بالذكر أن جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، لم يبخل أبداً بتقديم كل مساعدة ممكنة للشركة، فقد مد لها يد العون، على أمل أن تسفر الجهود المبذولة في العثور على النفط. ولهذا، ما أن أعلن رسمياً عن اكتشاف النفط بكميات تجارية (وكان ذلك عقب شهر اكتوبر ١٩٣٨م) حتى بدأت الاستعدادات لزيارة جلالته للمنطقة الشرقية التي كانت تعرف آنذاك باسم منطقة الأحساء.

وفي ربيع عام ١٩٣٩م، تحرك جلالة الملك والوفد المرافق له من الرياض باتجاه الشرق، في موكب ضم ٢٠٠٠ شخص. واجتاز الركب صحراء الدهناء ذات الرمال الحمراء واستمر في قطع الطرق الصحراوية حتى وصل إلى مخيم الشركة الذي كان قد أطلق عليه رسميا اسم «الظهران». وقبل وصول جلالته بعشرة أسابيع، كانت قد أقيمت مدينة بالقرب من المخيم، قوامها ٣٥٠ خيمة لتكون مركزاً للاحتفالات التي تضمنت زيارة الآبار، وإقامة الولائم، واستقبال وفود المهنئين، والقيام بجولات بحرية في الخليج العربي.

وقد تزامن توقيت زيارة جلالة الملك عبدالعزيز مع اكتمال خط الأنابيب الذي امتد من حقل الدمام إلى ميناء رأس تنورة، بطول ٦٩ كيلومتراً، حيث رست ناقلة النفط التي أدار الملك عبدالعزيز الصمام بيده لتعبئتها بأول شحنة من النفط السعودي. وهكذا، كانت هذه أول شحنة من الزيت الخام تصدِّرها المملكة على متن ناقلة في ١١ ربيع الأول ١٣٥٨هـ الموافق للأول من مايو عام ١٩٣٩م.

فوهة بئر الدمام رقم ٧ الأصلية . منصوبة أمام مدخل مركز التنقيب وهندسة البترول في الظهران.

لقد ابتهج الشعب السعودي وقتذاك باكتشاف البترول وإنتاجه. وفي الواقع، فإن الشيء الذي لم يعرفه أولئك الذين احتفلوا بهذا الاكتشاف في المملكة هو أن حقل الدمام ليس إلا واحداً من عشرات من حقول النفط والغاز الطبيعي، بما في ذلك حقل الغوار، أكبر حقول النفط في العالم، وحقل السفانية الذي يعد أكبر حقل نفطي في المناطق المغمورة على مستوى العالم أيضاً.

وحينما قام الرواد الأوائل من الجيولوجيين التابعين للشركة بمسح منطقة الامتياز التي بلغت مساحتها مليون كيلومتر مربع، بحثاً عن الأماكن التي يرجح وجود النفط فيها، لم يتخيلوا أن زهاء ربع الزيت الموجود في العالم مخزون في باطن اراضي المملكة. ولم يدر بخلد أحد منهم أن احتياطي الزيت القابل للاستخراج في المملكة سوف يتجاوز في يوم من الأيام ٢٦٠ بليون برميل. ولم يتصور أحدهم أيضاً أن احتياطي الغاز الطبيعي القابل للاستخراج سوف يزيد على ٢٠٤ ترليونات من الأقدام المكعبة القياسية. وفي ذلك الوقت، لم يكن أحد يقدر الغاز الطبيعي حق قدره، أما الزيت فكانت النظرة إليه مختلفة، إذ كان محط اهتمام المنتجين والمستهلكين على حد سواء.

وإضافة لما سبق، لم يكن الحفارون الأوائل يتخيلون أن بئر الدمام رقم (٧)، حتى بعد أن نجحت في إنتاج النفط بكميات تجارية، سوف تظل قادرة على مواصلة الإنتاج لعدة عقود من الزمن، وأن هذه البئر سوف تنتج وحدها أكثر من ٣٢ مليون برميل من الزيت. ولم يتخيل قدامى المهندسين والمخططين في الشركة أن إجمالي الإنتاج اليومي من الزيت الخام سوف يصل إلى عشرة ملايين برميل، كما حدث في عام ١٩٨٢م، وأن المجموع الكلي للإنتاج سوف يبلغ ٧٩,٨ بليون برميل من الزيت الخام و٣,٩ بليون برميل من سوائل الغاز الطبيعي حتى عام ١٩٩٧م.

وعلى هذا، فإن خيال أولئك الرواد الذين بدأوا العمل في الشركة في الثلاثينيات لم يكن بعيداً عن الواقع كثيراً. فمن كان يتوقع في ذلك الزمان البعيد أن يصل إجمالي عدد الموظفين بالشركة إلى قرابة ٥٦٠٠٠ موظف، أكثر من ٨١ في المائة منهم سعوديون، وأن عدد الآبار المنتجة سيبلغ نحو ٢٢٠٠ بئر، وأن تمتد شبكة خطوط الأنابيب

وخطوط التدفق إلى أكثر من ٢٥٠٠٠ كيلومتر، وأن تحتوي الشركة على ٤٢ معملاً لفرز الغاز من الزيت.

أما الغاز فقد أصبح اليوم أحد المنتوجات المهمة، ولم تعد الشركة تتخلص منه بالحرق كما كان يجري في الأيام الخوالي. وثمة شبكة موجودة الآن لتجميع الغاز، تضم حوالي اثنين وأربعين معملا تفرز الغاز من الزيت وثلاثة معامل رئيسة لمعالجة الغاز يمكنها معالجة ما يزيد على ١٣٠ مليون متر مكعب يومياً من الغاز الطبيعي الخام. كما تقوم الشركة بتشغيل معملين كبيرين من معامل التجزئة لسوائل الغاز الطبيعي، بالإضافة إلى ثلاث فرض لتصدير الزيت، وفرضتين لتصدير غاز البترول المسال وثلاث فرض لشحن المنتوجات المكررة.

وتعنى أرامكو السعودية عناية خاصة في هذه الأيام بالاستثمار في مجالي التكرير والتسويق داخل المملكة وخارجها. وهي تدير شبكة محلية لتوزيع المنتوجات البترولية تلبي الحاجات اليومية لملايين المستهلكين في مختلف أنحاء المملكة. وإضافة إلى ذلك، تدير الشركة أيضاً خمسة معامل للتكرير في المملكة، يصل إجمالي طاقتها الإنتاجية إلى أكثر من مليون برميل من الزيت الخام يومياً. كما أنها تشارك في ستة مشروعات لتكرير البترول في المملكة، وجمهورية كوريا، والفليبين، واليونان، والولايات المتحدة الأمريكية. وتصل طاقة التكرير الإجمالية لهذه المشروعات المشتركة إلى ٢,٣ مليون برميل يومياً. وتشارك أرامكو السعودية أيضاً في عدد من شركات تكرير زيوت التشحيم ومزجها داخل المملكة. وهي تمتلك أسطولاً من ناقلات النفط العملاقة، يتكون من ٢٧ ناقلة، من بينها ١٩ ناقلة زيت خام ضخمة وأربع ناقلات زيت خام عملاقة، وأربع ناقلات للمنتوجات. ويقوم هذا الأسطول بنقل كميات كبيرة ومتزايدة من الصادرات النفطية للشركة.

وعلى الرغم من أن هذه الإنجازات الكبيرة لم تخطر على قلب أحد في المراحل الأولى للبحث عن النفط بالمملكة، إلا أن عام ١٩٣٨م كان يحمل معه بعض الآمال والبشائر التي تدل على أن حقبة جديدة قد بدأت في تاريخ المملكة.

منذ اللحظة التي وصل فيها الجيولوجيون الأوائل قاموا بإجراء فحص جيولوجي لتلال جبل الظهران خلال أسبوع واحد فقط من وصولهم إلى الجبيل. وبعد رسم الخرائط السطحية التي توضح تضاريس المنطقة، والقيام بعمليات الاستطلاع الجوي التي تساعد في أعمال البحوث الجيولوجية، وانتقال مجموعات التنقيب عن النفط

لقطة لمباني أرامكو السعودية الإدارية الرئيسة في الظهران.



إلى مناطق أخرى للبحث فيها، ظلت قبة الدمام محط أنظارهم، وقد أوصوا بأن تبدأ أعمال التنقيب عن النفط فيها. وكان الجيولوجيون يأملون في اكتشاف النفط في نفس الطبقة الجيولوجية التي عثر عليه فيها بالبحرين. وعند العمق نفسه «٦٠٠ متر في منطقة البحرين الجيولوجية». وكان الخبراء في حفر الآبار الاستكشافية، والحفارون المهرة، وعمال تركيب أبراج الحفر، وعمال الإنشاءات، قد عملوا في البحرين منذ خريف عام ١٩٣٤م. وكان هؤلاء الرجال يتصفون بحبهم للتحدي وقدرتهم على التحمل، كما كانوا واثقين في قدراتهم.

وبرغم هذه الإمكانات والقدرات، فإن قبة الدمام كانت تمثل اختباراً لهم. وقد جاء في إحدى الطبعات الأولى لدليل أرامكو: «لم يكن الأمر قاصراً على نقل جهاز الحفر والمعدات إلى مواقع العمل، بل كان من الضروري نقل جميع الإمدادات اللازمة من خارج المملكة بما في ذلك ألواح الخشب، والمعدات الثقيلة، ولوازم السباكة وأنابيب الصلب وغيرها من متطلبات تشييد مساكن العاملين، ومواسير التزويد بالمياه، ومعدات النقل وقطع الغيار، بالإضافة إلى الغذاء والمتطلبات الشخصية». وإلى جانب ذلك، كان من الضروري حفر الآبار لتوفير مياه الشرب، وتشييد الطرق، وتوفير الطاقة الكهربائية.

ورغم أن أعمال الحفر، والعمل وفق نظام الورديات، كانت أمراً جديداً بالنسبة للعاملين السعوديين، فقد اسهموا بشكل فعال في حفر بئر الدمام رقم (١) في ٣٠ أبريل ١٩٣٥م باستخدام جهاز الحفر الذي يعمل بالدق (الدقاق). وكان برج الحفر، الذي يشبه المسلة، أطول منشأة في المنطقة. وبعد سبعة أشهر من التأرجح بين الأمل واليأس، والإخفاق والنجاح، أنتجت البئر دفقة قوية من الغاز وبعض بشائر الزيت، وذلك حينما وصل عمق الحفر إلى قرابة سبعمائة متر، ولكن عطلاً في المعدات أجبر طاقم الحفر على إيقاف تدفق البئر ثم سده بالإسمنت.

وكانت بئر الدمام رقم (٢) أفضل حالاً. وقد بدأ العمل في حفرها في الوقت الذي أُغلقت فيه بئر الدمام رقم (١)، أي في ٨ فبراير ١٩٣٦م. وما أن جاء يوم ١١ مايو حتى كان فريق الحفر قد وصل إلى عمق ٦٦٣ متراً، وهو عمق الطبقة التي ظهر منها النفط في منطقة البحرين الجيولوجية. وحينما اختبرت البئر في شهر يونيه ١٩٣٩م، تدفق الزيت منها بمعدل ٣٣٥ برميلاً في اليوم. وحينما انقضى أسبوع على ذلك الاختبار، وبعد المعالجة بالحامض، بلغ إنتاج الزيت المتدفق من البئر ٣٨٤٠ برميلاً يومياً. وشجع ذلك على حفر آبار الدمام أرقام ٣، ٤، ٥ و٦، دون انتظار التأكد من أن الإنتاج سيكون بكميات تجارية أو التعرف على حجم الحقل المكتشف. ثم صدر قرار في شهر يوليه بإعداد بئر الدمام رقم (٧) لتكون بئر اختبار عميقة.

وكانت زيادة حجم العمل تعني المزيد من الرجال والعتاد والمواد، وأصبح موقع العمل غير قادر على استيعاب الزيادة في عدد العاملين. فمع نهاية عام ١٩٣٦م، ارتفع عدد العاملين السعوديين إلى ١٠٧٦ بالإضافة إلى ٦٢ عاملاً من غير السعوديين. وكان يفترض أن تسير الأمور بشكل طبيعي، لكن حدث في ذلك الوقت ما لم يكن متوقعاً، فقد أخفقت بئر الدمام رقم (١)، بعد أن جرى حفرها إلى عمق يزيد على ٩٧٥متراً. أما بئر الدمام رقم (٢) فقد تبين أنها «رطبة» بمعنى أنها تنتج الماء بشكل رئيس، إذ كان إنتاجها منه يزيد بمقدار ثماني أو تسع مرات على حجم إنتاجها من الزيت. ولم يزد إنتاج بئر الدمام رقم (٣) على ١٠٠ برميل من النفط الثقيل يومياً، مع وجود الماء في هذا الإنتاج بنسبة ١٥٪ . وبالنسبة لبئري الدمام رقمي (٤) و (٥) فقد اتضح أنهما جافتان، أي غير قادرتين على إنتاج أية سوائل. وقد حفرت بئر استكشافية على بعد ٢٠ ميلاً في الجهة الشمالية الغربية من الظهران، غير أن الحفر في هذا الموقع لم يسفر عن أية نتائج إيجابية، برغم استمراره إلى عمق ١٣٨٠متراً. وحينما حفرت بئر الدمام رقم (٦) في أوائل عام ١٩٣٦م لم تنتج غير كمية قليلة من الزيت الممتزج بالماء.

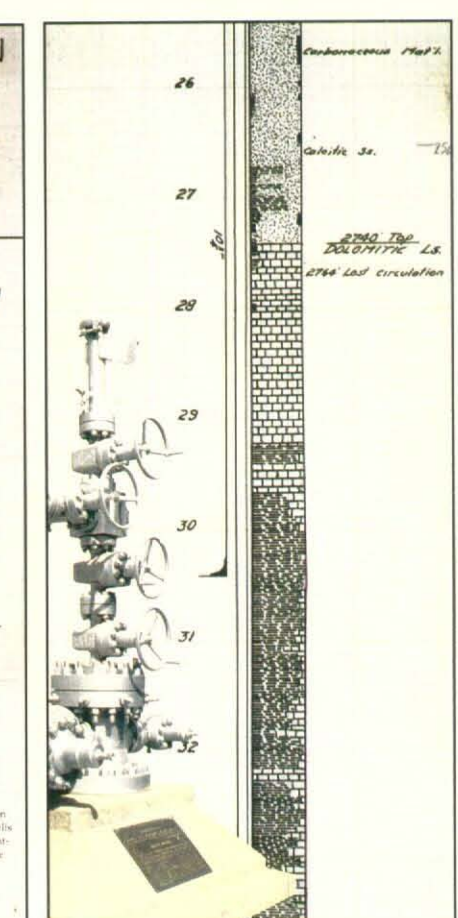
وفي السابع من ديسمبر ١٩٣٦م بدأ أخصائيو حفر الآبار الاستكشافية في حفر بئر الاختبار العميقة رقم (٧). وإذا كانت الآبار الأخرى مخيبة للأمال، فإن البئر رقم (٧) لم تكن خالية من ذلك، في البداية.

فقد حدث تأخير في عملية الحفر، كما كانت هناك بعض المعوقات، حيث انحشر أنبوب الحفر، وحدث كسر في جنزير الرحى، وسقطت مثاقيب الحفر في قاع البئر المحفورة، وكان لا بد من التقاطها. كما حدث انهيار لجدران البئر. ورغم وصول جهاز الحفر الرحوي - الذي يعمل بقوة البخار - إلى طبقة البحرين الجيولوجية فقد ظلت النتيجة واحدة وهي أنه: لا يوجد نفط!

وبعد ذلك بعشرة أشهر، وبالتحديد في ١٦ أكتوبر ١٩٣٧م، وعند عمق ١٠٩٧ متراً ، شاهد الحفارون البشارة الأولى: ٥,٧ لترات من الزيت في طين الحفر المخفف العائد من البئر، مع بعض الغاز. وفي آخر يوم في عام ١٩٣٧م، حدث أن أخفقت معدات التحكم في السيطرة على البئر، وكان أن ثارت البئر قاذفة بما فيها من السوائل والغازات. وبعد الحفر إلى عمق ١٣٨٢ متراً، لم يجد فريق الحفر كمية تذكر من الزيت.

وهكذا ذهب ذلك الإخفاق بمسحة التفاؤل التي سادت قبل ذلك لمدة عام ونصف العام. وبدأت الأسئلة الصعبة تطرح حول مستقبل هذه المخاطرة الاستثمارية التي تكلفت الملايين.

ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال. ففي الأسبوع الأول من مارس ١٩٣٨م، حققت بئر الدمام رقم (٧) الأمل المرجو، وكان ذلك عند



سجل خصائص التكوينات الجيولوجية لبئر الدمام رقم ٧.

مسافة ١٤٤٠متراً تحت سطح الأرض، أي بزيادة تقل عن ٦٠ متراً عن العمق الذي كان الجيولوجيون يتوقعون وجود النفط عنده. وحينما أكد كل من بئري الدمام رقمي (٢) و (٤) هذا الاكتشاف، أعلن أن حقل الدمام ملائم للاستثمار التجاري.

وما حدث بعد ذلك - في غضون العقود الستة المنصرمة - يمثل في واقع الأمر قصة من أروع قصص النجاح والتعاون بين أبناء الوطن الواحد. فقد ازدهرت المملكة العربية السعودية وتقدمت في ركب الحضارة، ونمت الشركة نمواً كبيراً حتى أصبحت أولى شركات إنتاج النفط على المستوى العالمي. وأصبحت أرامكو السعودية نموذجاً مثالياً لنقل التقنيات الصناعية من العالم المتقدم إلى الدول النامية. وقد كان هذا النجاح ثمرة التعاون المشترك ومحصلة طبيعية لما بذل من جهد يومي على مدار ستة وستين عاماً. ولانكون مجافين للحقيقة إذا قلنا إن جزءا كبيراً مما تحقق يعود فضله إلى طبيعة أبناء هذا الوطن الذين حملوا الأمانة بإخلاص وإلى طبيعة الذين شاركوهم العمل، حيث تعاملوا بصدق وإخلاص ووضوح مع بعضهم، واستطاعوا معاً أن يتغلبوا على الصعوبات التي واجهتهم في العمل.

والآن، كيف أصبح حال بئر الدمام رقم (٧) بعد هذه السنين؟

لقد كانت البداية صعبة كما ذكرنا من قبل، لكن سرعان ما استقرت حال البئر فأصبحت مثالاً حسناً للآبار النفطية المنتجة. وخلال فترة الحرب العالمية الثانية ارتفعت مساهمتها حتى وصل إنتاجها من ١٢٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠ برميل يومياً، وكانت هذه الكمية تضخ من حقل الدمام إلى ميناء الخبر، حيث كانت تنقل بالمراكب إلى البحرين. وقد أغلقت البئر لبضعة أسابيع في غضون عام ١٩٥٠م، حينما أصبح النفط يتدفق من حقلي بقيق والقطيف بمعدل ٦٠٠ ألف برميل يومياً، وفي الوقت نفسه اكتشفت حقول أبو حدرية والغوار والفاضلي، ثم أعيدت بئر الدمام رقم (٧) بعد ذلك للإنتاج، واستمر الزيت يتدفق منها خلال الخمس وعشرين سنة التالية.

وكان قد تم تركيب غطاء جديد من الألومنيوم في عام ١٩٧٠م، لفوهة بئر الدمام رقم (٧)، تلك الفوهة التي تضم مجموعة الصمامات الموجودة فوق سطح الأرض. وفي ذلك الوقت، وضعت لوحة بالقرب من قاعدة فوهة البئر تبين تاريخ بدء الحفر في البئر وتاريخ بدء الإنتاج. وقد جذبت هذه اللوحة انتباه بعض الزوار والسكان المقيمين في المنطقة الذين زاروا موقع البئر. وفي عام ١٩٨٢م، استبعدت بئر الدمام رقم (٧) من قائمة الآبار المنتجة لأسباب تشغيلية، وذلك بعد ٤٥ سنة من الإنتاج المستمر. ولكن هذا الحدث لا يعني أنها نضبت، فما تزال قادرة على إنتاج ١٨٠٠ برميل يومياً بالتدفق الطبيعي ، أي كما كانت عليه في الماضي. ومنذ فترة قريبة، ظهر ما يمكن أن نسميه بالوجه الجديد لهذه البئر. فالفوهة الثانية للبئر رقم (٧)، التي ظلت قيد العمل والإنتاج من عام ١٩٥٢م حتى عام ١٩٨٧م، أعيد صقلها وتجديدها وتثبيتها فوق قاعدة عند مدخل مبنى التنقيب وهندسة البترول بالظهران. ويعد هذا الأثر بمثابة ذكرى حية تذكّر بقصة بئر الدمام رقم (٧) التي جرى حفرها من أعلى إحدى التلال القريبة، فكان تدفق النفط منها إيذاناً بدخول المملكة العربية السعودية مجال الصناعة البترولية، وبشارة بالخير العميم الذي حبا الله به أهل هذا البلد الأمين، والذي بدأ عطاؤه يغمر البلاد وما عليها من عباد منذ واحد وستين عاماً. ■

بتصرف عن أرامكو وورلد

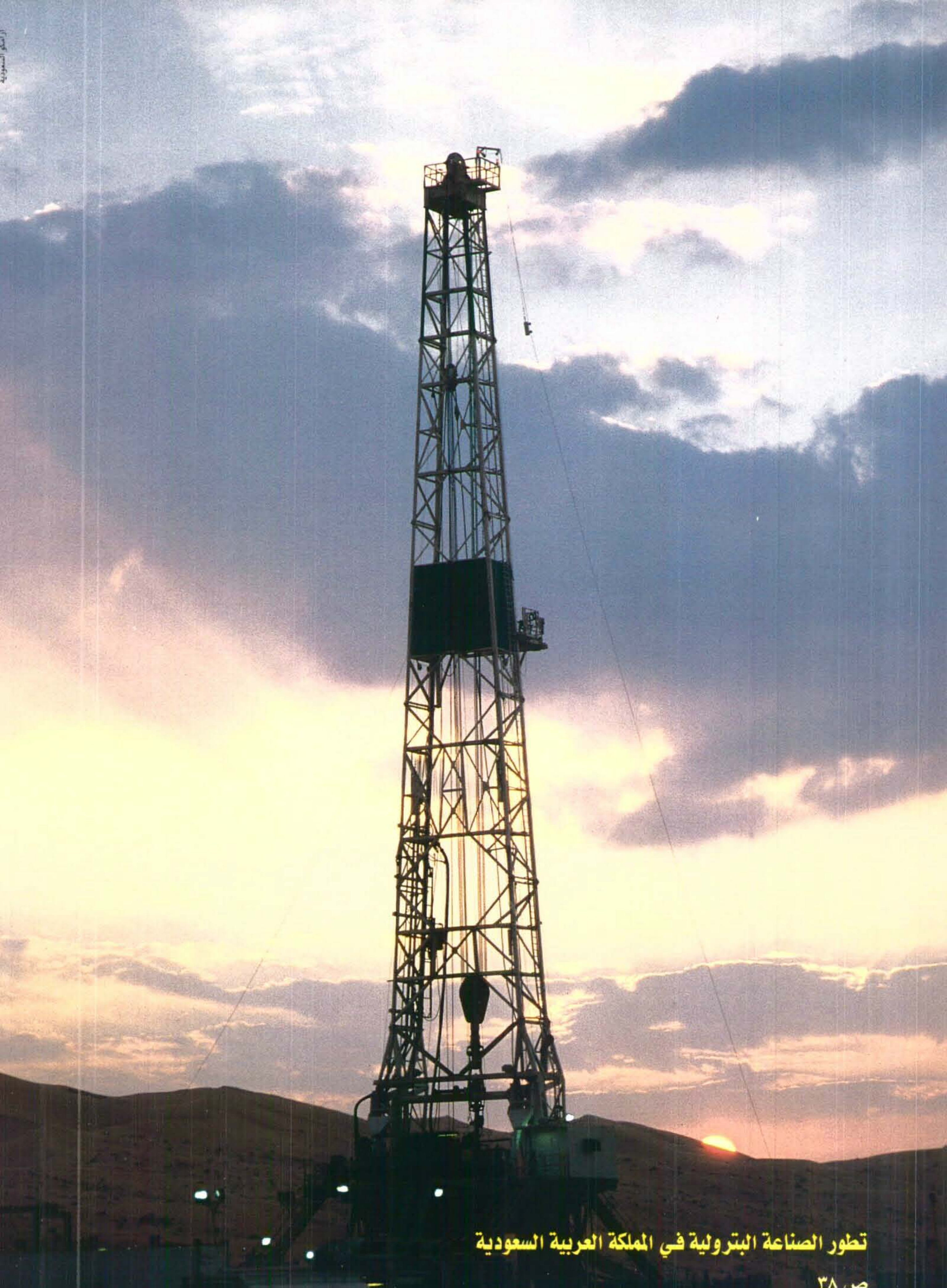
صور المقال : أرامكو السعودية .



أرامكو السعودية

الرياض تتقلد عقدها الماسي

ص٢٠


تطور الصناعة البترولية في المملكة العربية السعودية
ص ٣٨